

فايز قوصرة

الرحالة في محافظة إدلب

اطلالة تاريخية

(الجزء الثاني)

فايز قوصرة





الرحالة في محافظة إدلب

اطلالة تاريخية

(الجزء الثاني)



الطبعة الاولى

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م

٢٥٠٠/١

مطبعة الشرق ـ حلب العبارة ـ هاتف : ٢١٨٧١٣

صورة الغلاف

الجزء الاول : قوس النصر في باب الهوا في منطقة حارم سترد التفاصيل في الجزء الثالث

الجزء الثاني : المدفن الهرمي الثاني في البارا ـ القرن الخامس

(الفهرس)

المقدمة

بعد أن كادت النفس تحبط ، والهمة تضعف أمام هذا العمل الذي لايعرف قيمته الا من يكابده، والرحلة التي لاندري نهايتها يصدر الجزء الثاني من كتاب « الرحالة في محافظة ادلب » . وبعد أن كنا في الجزء الاول مع أكثر من ثلاثين رحالة ، نرافق اليوم أكثر من خمسة وسبعين رحالة عرب وأجانب ، من الشرق والغرب بالاضافة الى المصادر والمراجع التي عدنا اليها . نقف معهم ، ونستضيفهم في ربوع محافظة ادلب الخضراء ، نتابع كتاباتهم عنها ، مهما بعدت الشقة بيننا وبينهم ، وبما ان لكل منهم كتابته الخاصة به ، وآراؤه التي يدلي بها ، فقد كان لزاما علينا فهم ما يريد كل منهم ، والى أين يهدف . مما فرض علينا العمل الدؤوب الذي لاينضب ، ترجمة ومتابعة وتحقيقا وربطا بين أزمنة متباينة بأحداثها ، وعهد مغاير لعهد آخر في تفكيره وواقعه وحضارته . لقد كانت المهمة التي القيناها على عاتقنا جسيمة ، وخاصة في كتاب الرحالة الذي يدرس مناطق واسعة ، وأحقابا مختلفة ، وأفكارا غير متقاربة .. فلو كان الامر عهدا خاصا ، أو فترة معينة ، أو موقعا واحدا لهان الامر ، وقصرت المسافة ، وتوضحت المسألة أكثر .. أما أن نرافق كل هؤلاء ، ليدلوا بآرائهم ، كما يشاؤون ، فهذا ما لم يقبله بعض الاخوة القراء ، حيث أشاروا الى تلك النزعات الفكرية للرحالة الكيالي ـ ١٨١٥ ـ أو لدسائس الانكليزي والبول ـ ١٨٥٠ ـ أو الاراء الخاصة لبوركهارد ـ ١٨١٢ ـ والتي تركناها كما كتبوها ، للامانة العلمية ، والحقيقة التاريخية ، وليكون القارىء فكرة عن نظرتهم الى الحياة ، ومواقفهم من حضارتنا وأوابدنا الخالدة .. وأما

موقفي الخاص عنهم ، فسيطالعه القارىء في فصل الفصول ـ واقع الرحالة ـ • وسيجد القارىء في هذا الجزء ، نقلة نوعية، أقدمت عليها بعد تردد واحجام ، فقد كنت أعايشها منذ كتبت الجزء الاول ، هل أتوسع أم أوجز ؟! وكانت رغبة الجميع ممن حاورني في كتابي الاول : التوسع •• فهذا غير راض عن بحث معرة مصرين الموجز ، وآخر يقول : لم تتطرقوا الى منطقة شرق المعرة الغنية بالاثار العظيمة ، وآخر يضيف : أهملتم ادلب فهي تستحق أكثر من ذلك •• وكانت الفرحة تغمرنا •• فأبناء الوطن مازالوا، كما عهدناهم محبين لبلدهم ووطنهم ، يتشوقون الى معرفة تاريخه ، والوقوف على أطلاله احتراما وقدسية • وفي الوقت ذاته يعتصرني الالم يوما بعد يوم ، فالهمة ليست كما كانت والوقت ليس معنا ، والامكانيات غير متوفرة لتحقيق مطالب الجميع • وتذكرت قول الرحالة أحمد وصفي زكريا الذي كتب سنة ١٩٣٤ « وهذه الابحاث كما يعلمها العارفون ، تقوم في الغرب بمساعي رجالات وبعثات تمدها الجمعيات أو الجامعات بالمال ، وترعاها الدول بالعناية والحماية ، بينما أحدنا لا يحلم بمثل هذا المدد والعناية ، والتنشيط والهداية ، وليس له سوى التعويل على نفسه ونفيسه الضئيلين فقط ، وحسبي ان أكون قد استرعيت الانظار نحو هذه الابحاث الطريفة ليقوم غيري من أبناء هذه البلاد ، فينسج على هذا المنوال ، ويأتي فيها بأحسن وأصح الاقوال » •• وتذكرت كذلك ما وقع مع جدي لامي الشيخ محمد راغب الطباخ[1] من معاناته الكثير بطبع كتابه عن تاريخ حلب واعلامها في الربع الاول من هذا القرن • ولكن ثناءات أساتذة قسم

---

١ ـ مؤلف كتاب سير اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ـ ٧ مجلدات عام ٢٣ ـ ١٩٢٥ • ولد بحلب ١٢٢٣ هـ وتوفي ١٣٧٠ هـ له عدة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة •

التاريخ في جامعة دمشق[2] وتشجيعهم ، ونظرات الفلاح البسيط في قريته الذي يدعونا لزيارة أوابد أجداده ، دفعتنا لمتابعة هذا العمل مرة ثانية ، بعد أن كاد يتوقف ٠٠ لم أكن راضيا كل الرضى عن الجزء الاول ، فاضطررت لوضع عنوان ثان له (اطلالة تاريخية) ورغم عدم الحديث عن جميع المواقع فيجبل الزاوية في هذا الجزء ، فاني أقر أني لم أوف هذه المواقع حقها كل الايفاء واكتفيت بذكرها من خلال الرحالة الذين تطرقوا الى المواقع التي زاروها ، وهذا لايعني أنه لا يوجد غيرها ، فهناك الكثير[3] وهذا يبعدنا عن موضوع الرحالة ، فاضطررت للايجاز ، وقررت أن يكون الجزء الثاني خاصا بمنطقتي ريحا وجسر الشغر ، بالاضافة الى البحث الخاص بآثار جبلي دويلي والوسطاني مع سلقين المبني على دراساتنا الخاصة ، على أن تغطى منطقة حارم في جزء خاص بها ، وهو الجزء الثالث ٠ وأما الجزء الرابع فيتضمن التحليلات العامة لجميع المناطق ، وربط الابحاث والمواضيع ، كصورة متكاملة عبر مراحل التاريخ في فصل شامل بعنوان « فصل الفصول[4] » ٠ تطرقنا في هذا الجزء الى تقديم نماذج عن واقع هذه المحافظة ، أثريا وتاريخيا واقتصاديا وما الى ذلك ، وكان هذا من خلال الرحالة ، بعد المراجعة والنقد والربط

---

٢ ـ منها رسالة الدكتورة ليلى الصباغ أستاذة التاريخ بجامعة دمشق «٠٠وشكرا على الجهد الذي بذلته لاخراج هذا الكتاب ، وشكرا على اهتمامك بهذا الجزء من بلاد الشام ، الذي لاتزال معلوماتنا عنه ضئيلة ٠ وآمل ان يتلو مؤلفك هذا مؤلفات أخرى تنير تاريخ المنطقة ، وتستوفي جوانب البحث من جميع النواحي ٠ ومع انتظاري لمثل هذه المؤلفات ، تقبل مني التحية والاحترام والدعاء بالتوفيق وسداد الخطى ٠ ودمت سعيدا وبصحة جيدة ، وعمل مثمر »

٣ ـ لم نتمكن بعد من اجراء الاحصاء الشامل للمواقع الاثرية في المحافظة ، ونحب ان ننوه الى ان عدد المواقع الاثرية في جبل الزاوية /١٠٧/ وفي جبل الاعلى وباريشا ودويلي والوسطاني /١٥٢/ وفي جبل الحلقة (ناحية الدانا) حوالي ٣٥ موقعا ، عدا المواقع الاخرى في ناحية دركوش وغربي جسر الشغر وسهل ادلب وسهل الروج وسهل قنسرين وسهل كفر طاب وشرقي المعرة ٠

٤ ـ في الجزء الاخير ملحق خاص بما فاتنا الحديث عنه في الاجزاء السابقة ، والاستدراكات الخاصة بكل جزء ٠

والتحليل وابداء الرأي الخاص عنها : فكانت نماذج عن الدارات والبيوت في البارا وغيرها ، وعن الاديرة والكنائس في البارا وريحا ومجليا والقنية وطورين وغيرها ، وعن المعاصر في البارا ، وعن المعابد الوثنية والمسيحية في كل من رويحا وطورين وحصن دويلي أو المعابد الاسلامية كجوامع ريحا والجسر ودركوش ٠ كما قدمنا نماذج عن رفاهية هذا الشعب وتقدمه من خلال حمام سرجلا وقهوتها مع نموذج وصفي لحمام وسطوي عثماني في ريحا ٠ وعن الفن والرياضة في طورين أو الكتابات الاثرية باللغات اليونانية القديمة كما في ريحا والبارا ورويحا وطورين وحصن دويلي ودركوش ، وغيرها كثير ، أو اللاتينية في البارا، أو العربية في سرجلا ، أو السريانية كما سيرد في الجزء الثالث[٥] وقدمنا نماذج عن النقوش في البارا وطورين وعن الينابيع في كفر لاثا وغيرها ، وعن المدافن الوثنية والمسيحية والاسلامية في رويحا ـ البارا ـ طورين ـ فاسوق ـ كوارو ـ ملس ٠وعن الخانات (وكما ورد في الجزء الاول الحديث عن خان مراد باشا في المعرة تفصيلا) في جسر الشغر ودركوش وغيرها ٠ وقدمنا نماذج عن الفن والفنون ، وخاصة فن العمارة ورصف الفسيفساء في الفسانية (انكزيك) وقنية وخراب سلطان ومعراتا دركوش ٠ بالاضافة الى تحليلاتنا عن واقع الطرق والمواصلات والجسور كجسر جسر الشغر وجسر دركوش ، وأسماء المواقع والمدن والحياة الاقتصادية ، وخاصة الزراعة ٠ وحاولنا جهدنا تقديم صورة شاملة للقارىء عن واقع المحافظة في عهودها المختلفة ، والتفاعل الحضاري المستمر فيها ، وهي تعطي ومازالت ، مددا حضاريا زاهيا ، لها الحق كل الحق الفخر به ٠ وننوه كذلك الى اننا لم نف

---

٥ ـ كانت لغة الشعب السائدة قبل الفتح العربي الاسلامي الارامية ـ السريانية وهي لغة سامية شقيقة للعربية، ومعظم ألفاظنا ومصطلحاتنا العامية سريانية بينما كانت اليونانية اللغة الرسمية ٠ وننوه الى ان مصطلح العهد الرومامي أو البيزنطي لا يعني مضمونه فعلا حضاريا بل هذه الحضارة هي حضارة محلية عربية أصيلة وان لم تخلو من بعض التأثيرات ، ولكنها مؤثرة فاعلة أكثر مما هي متأثرة بغيرها ٠ بل هذا تقسيم تاريخي للدلالة على الزمن ٠٠

بعض العهود حقها من البحث كالعهد العثماني والحروب الصليبية، اذ هناك موضوع خاص بها . وكذلك بعض المواضيع التي ينبغي علينا ايفاءها حقها من البحث والمتابعة ، كأعلام المحافظة ، اذ لم نذكرهم الا عرضا حسب سير الموضوع ، فهم يستحقون كتابا خاصا بهم . كما دعمنا الابحاث بالصور والوثائق الكافية مع الهوامش المستفيضة ، والمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها ، مقتصرين على ذكر اسم المصادر المكررة برموز خاصة بها ، والملحقة في هذا الجزء . وكذلك الحقنا بالكتاب لائحة بالمصطلحات المكررة المتعلقة بمواضيع الكتاب ، بالاضافة الى لائحة خاصة بأهم أحداث المحافظة ، والتي انفرد بها الجزء الثاني ، مع فهرس تفصيلي عام . ولا أقول اني بلغت الكمال في الجزء الاول أو الثاني[٦] ، فقد ذكرت سابقا ان للمجتهد أجرين ان أصاب وأجرا ان أخطأ .. ولكني أبدي الرضى عن الجزء الثاني بعد جهد سبع سنوات ، حتى خرج بحلته القشيبة ، ومضمونه الشامل ، ونظرته العامة الى الحضارة في هذه المحافظة ليتأكد القارىء أن المقولة التي آتخذتها عنوانا للسلسلة « محافظة ادلب . بوابة الحضارة السورية » أنها حقيقة وليست بنت الخيال أو الاراء الذاتية . ومن لايستطيع زيارة هذه المواقع ، فليقرأ هذه السلسلة ليتأكد له ذلك ، وكما قيل في الامثال « من يعش ير كثيرا، ومن يمشي ير أكثر» ونضيف: من لايعرف حضارته، لن يحب أرضه ، ومن لا يحب أرضه ، لن يكون ابنا بارا لها ...ونحن كنا بارين بها عبر التاريخ ، وسنبقى ونظل ، لاننا منها واليها نعود .. والله ولي التوفيق .

فايز قوصرة

ادلب في ١٩٨٧/٥/٢٢

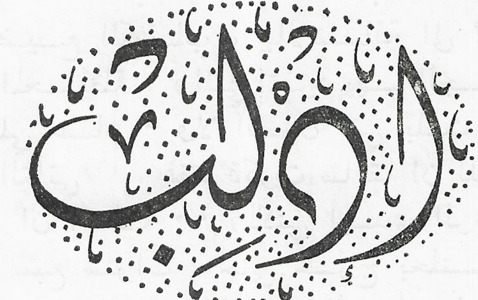
---

٦ ـ بعد الانتهاء من اعداد الجزء الثاني ، قررت حذف مواضيع كاملة في جبل الزاوية كفركيا ـ المغارة ـ أورم الجوز ـ دير سنبل ـ مرعيان ـ نحليا . وأخرى اختصرتها كبحث البارا وسرجلا ومجليا ورويحا على أن أعود اليها والى غيرها في كتاب خاص باسم « الحضارة في جبل الزاوية » قيد الاعداد .

الكتاب المنتظر



فايز قوصرة



البلدة المنسية..!



معجم المصطلحات الرئيسية الواردة في الكتاب

التقويم السلوقي : وهو الذي يبدأ سنة ٣١٢ ــ ٣١١ ق٠م ايذانا بميلاد الدولة السورية ، وبدء التاريخ السلوقي ٠ أطلق السوريون عليه اسم التاريخ اليوناني ٠

التقويم الانطاكي : وهو التقويم الذي يبدأ سنة ٤٩ ق٠م وسمي بالعصر الانطاكي ، حيث أعطى يوليوس قيصر لانطاكية لقب متروبول أي أم المدن ٠

السالنامة : وهي سالنامة ولاية حلب باللغة العثمانية ٠ أطلقت على الكتاب السنوي الصادر عن احصائيات الولاية المالية وغيرها ٠ صدرت عام ١٢٨٤ هـ ٠ وسالنامة كلمة فارسية مركبة من كلمتين سال = سنة ونامة = ورقة ٠ أي بمعنى التقويم السنوي أو الاحصاء السنوي الان ٠

الاحصائيات السكانية : عن السالنامة لعدة سنين وعن الغزي عام ١٩٢٢ وعن الاحصاء الفرنسي لعام ١٩٤٥ وعن مديرية الاحصاء بادلب حسب معدل النمو السكاني لعام ٨٦ ٠

ألفا وأوميغا : A-FΩ أول واخر حرف في الابجدية اليونانية ٠ فالاول يعبر عن البداية والثاني عن النهاية ٠ وهما يرمزان للسيد المسيح ٠ ذكرا في كتاب الرؤيا لماريوحنا الفصل الاول الاية ــ ٨ ــ أنا ألفا وأوميغا البداية والنهاية ٠

بازليك : مبنى روماني مستطيل ، فيه ثلاثة أروقة أوسعها الاوسط وينتهي طرفاه بجزء ناتىء نصف دائري ٠

الكنيسة البازليكية : وهي المبينة على النموذج الروماني السابق ٠

بيما : مصطبة أو منصة واسعة ، مبنية في صحن الكنيسة ٠ وتدعى المنبر ٠

الصحن : المكان المخصص لاجتماع الناس في الكنيسة ٠

قدس الاقداس : الشطر الشرقي من الكنيسة المؤلف من ثلاثة أقسام ٠ بيت القدس أو الهيكل في الوسط وفيه يقام المذبح والمارتيريون أو بيت الشهداء ، وهي الغرفة اليمنى أي الجنوبية والدياكونيكن أو غرفة الشمامسة المحاذية للمذبح لجهة الشمال ٠

ناووس : قبر خاص بواحد أو ثلاث ٠ اما ان يكون على شكل تابوت حجري فوق الارض ، أو القسم الاعلى منه ، أو كله محفور في الصخر على شكل حفرة خاصة ٠ وفي أشكال أخرى ، ويدعوه العامة (ناغوس) ٠

أكروبول : نجد توضعت فوقه الاوابد الاثرية ٠

نيكروبول : تجمع عدة قبور ، أو مايسمى مقبرة ٠

دارة : تعريب الكلمة الفرنسية فيلا Villa ٠ وهي بيت كبير مؤلف من عدة حجرات وأكثر من طابق تحيط به حديقة ٠

ليتورجية : مجموعة الطقوس الدينية والعناصر اللغوية والفنية والتقاليد الكنسية ٠

الاكانت : نبات أو شوك معمر أوراقها سنبلية مخرمة ، تستعمل للتزيين ٠ موطنها حوض البحر الابيض المتوسط ٠ أوراقها مفصصة وأحيانا شائكة الجدران ، وترمز في الرسوم المسيحية الى السماء ٠

مونغرام أو قرص : رسم مسيحي على شكل قرص بداخله صليب أو حرفا ألفا وأوميغا ٠ ينقش على مداخل البيوت والنوافذ ٠

المدن الميتة : Les Villes Mortes الاسم الذي أطلق على

المدن الاوابد : البلدان والقرى الاثرية في الشمال الغربي من سورية ، والتي هجرها سكانها وما زالت قائمة ٠ ذكرها الرحالة باسم The Desert cities المدن المهجورة ، والتي تتوضع فوق الهضبة الحوارية ، والتي تشغل محافظة ادلب والقسم الاكبر فيها ٠ والافضل تسميتها بالمدن الاوابد ٠

البعثة الامريكية : أول بعثة علمية أثرية تأتي بعد فوغيه ووادنغتون لدراسة المدن الميتة في جنوب وشمال سورية وشرق العاصي الاولى ١٨٩٩ ــ ١٩٠٠ ، والثانية ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ والثالثة ١٩٠٩ والاخيرة ١٩١٤ ٠ وضعت دراساتها في حوالي الفي صفحة من الحجم الكبير ٠ جمعت علماء في الاثار واللغات اليونانية والسامية برئاسة العلامة العلامة الامريكي بطلر(١) ٠

---

١ ــ هوارد كروسبي بطلر (١٨٧٢ ــ ١٩٢٣) خريج جامعة برنستون في علم الآثار ٠ ثم درس العمارة في جامعة كولومبيا ٠ حصل على منحة لمتابعة دراساته الكلاسيكية في روما وأثينا ٠ أصبح أستاذا في جامعة برنستون ١٩٢٠ ٠ كان عضوا في عدة مؤسسات وجمعيات مهتمة بأمور الشرق ٠ منح عام ١٩١٠ وساما ذهبيا لانجازاته الاثارية ٠ وقد ختمت مراسم حفل تأبينه التي قام بها زملاؤه بجملة يونانية درسوها في رويحا في محافظة ادلب ، وموجودة على قبر بيزوس من القرن السادس ٠ تعريبها «بيزوس بن بردو حسنا أقمت ٠٠) وحسنا رحلت ٠ وحسنا سأرقد بسلام ٠ ادعوا من أجلي » راجع بحث رويحا هامش ٨٧ ٠

المصطلحات الخاصة بالمصادر والمراجع

أ ـ كتب الرحالة والمشار اليها برموز خاصة بها :

1 — R. E ... ... = Ritter (C) : Die Erkunde Oder Allgemeineine Vergleichendende Geographie, T, XVII (SYRIEN) En Deux Tomes, Berlin , 1845 et 1855 .

2 — B. T = Burkhardt : Travels in Syria and Hoyl Land — London 1822.

3 — M. J = Maundrell (H) : Ajovrnrney From Aleppo to Jerusalem. London 1848.

4 — P. D = Pococke : Descriptions of the East and Some Other Countries — London 1743 — 45 .

5 — W. T = Walpole : Travels in Further East in 1850 — 51 3 Vol . London 1851 .

6 — B. D = Bell (G) : The Desert and Sown. London 1919 .

7 — L. A = Lyde : The Ansyreeh and Ismaeleeh, Lnodon. 1853.

8 — BDUS - 2 = Burton and Drake: Unexplored Syria,2 vol, London 1872

9 — P. T = Parsons : Trauvels in Asia and Africa, London 1808 .

10 — B. V = Berchem : Voyage en Syrie — Caire — 1914 .

11 — C. I = Corancez (L) : Itineraire De L'Asie Mineure . Paris - 1816 .

12 — J. S = Jullien : Sinai et Syrie France Lille . 1893 .

13 — B. PS = Baedeker : Palestin et Syrie, Leipzig - 1893 .

14 — B. G = Berggren (J) : Guide Francaise Arabe. Vulgaire Upsal 1844 .

١٥ ــ ج ٠ س EULIYA - GELEBI : Seyahat Namasi - Istanbul - = 1928 - 30 .
في عشرة أجزاء باللغة العثمانية

١٦ ــ ز ٠ ج = زكريا أحمد وصفي : جولة أثرية في بعض البلاد الشامية دمشق ١٩٣٤٠

١٧ ــ ب ٠ خ = البستاني ــ فؤاد : خمسة أيام في ربوع الشام ٠ بيروت ١٩٥٠٠

ب ــ مراجع أشير اليها برموز خاصة بها :

18 — AAES = Publi cations of Tht Ameri can Archaeological Expedition to Syria in 1899 - 1900 , New York 1903 - 1930 in 4 Parts .

19 — PAES = Publications of The Princenton Urivessity Arch - aelogical Expedition to Syria , in 1904 - 1905 and 1909 LEYDEN 1907 - 1949 in 4 Parts .

20 — V. SC = M. De Vogue : Syrie Centrale , Architecture Civile et Relegieuse , de Ier au VII'S 2 vol, Paris 1865 - 1877 .

21 — VASN = G. Thalenko : Villages Antique de la Syrie du Nord 3 vol - Paris 1953 - 58 .

22 — M.VM = J. Mattern , Villes Mortes de Haute Syrie, Beyrouth 1933 .

23 — IGLS = (C. F.) Jalabert et R. Mouterde : Inscriptions Grec et Latins de La Syrie 5 vol - Paris 1929 - 1950 .

24 — SRANFF = Alphabetique des Noms des Lieux Habites Dresse et Publie par Le Service Geographique des Forces Francaises du Le vant 1945 - Beyrouth .

25 — G. B = The Middle East. Paris 1966. (Named Guide Blue) .

26 — D. T = Dussaud (R) : Topographie Historique De La Syrie Antique et Medievale Paris - 1927 .

27 — BDOT = Buletin D'etudes Oriental Tomes XXII - XXXIII . Annes 1980 - 81 - Damas 1982 .

28 — Cahen. SN = Cahen (CL) : La Syrie Du Nord A L'Epoque Des Croisades Paris - 1940 .

٢٩ ـ الطباخ = محمد راغب الطباخ : سير اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ٧ أجزاء ١٣٤٢ ـ ١٣٤٥ هـ

٣٠ ـ الغزي = كامل الغزي : نهر الذهب في تاريخ حلب ١٣٤١ ـ ١٣٤٥ هـ .

ـ راجع بقية المصادر والمراجع في نهاية الكتاب ـ

★ ★ ★

****

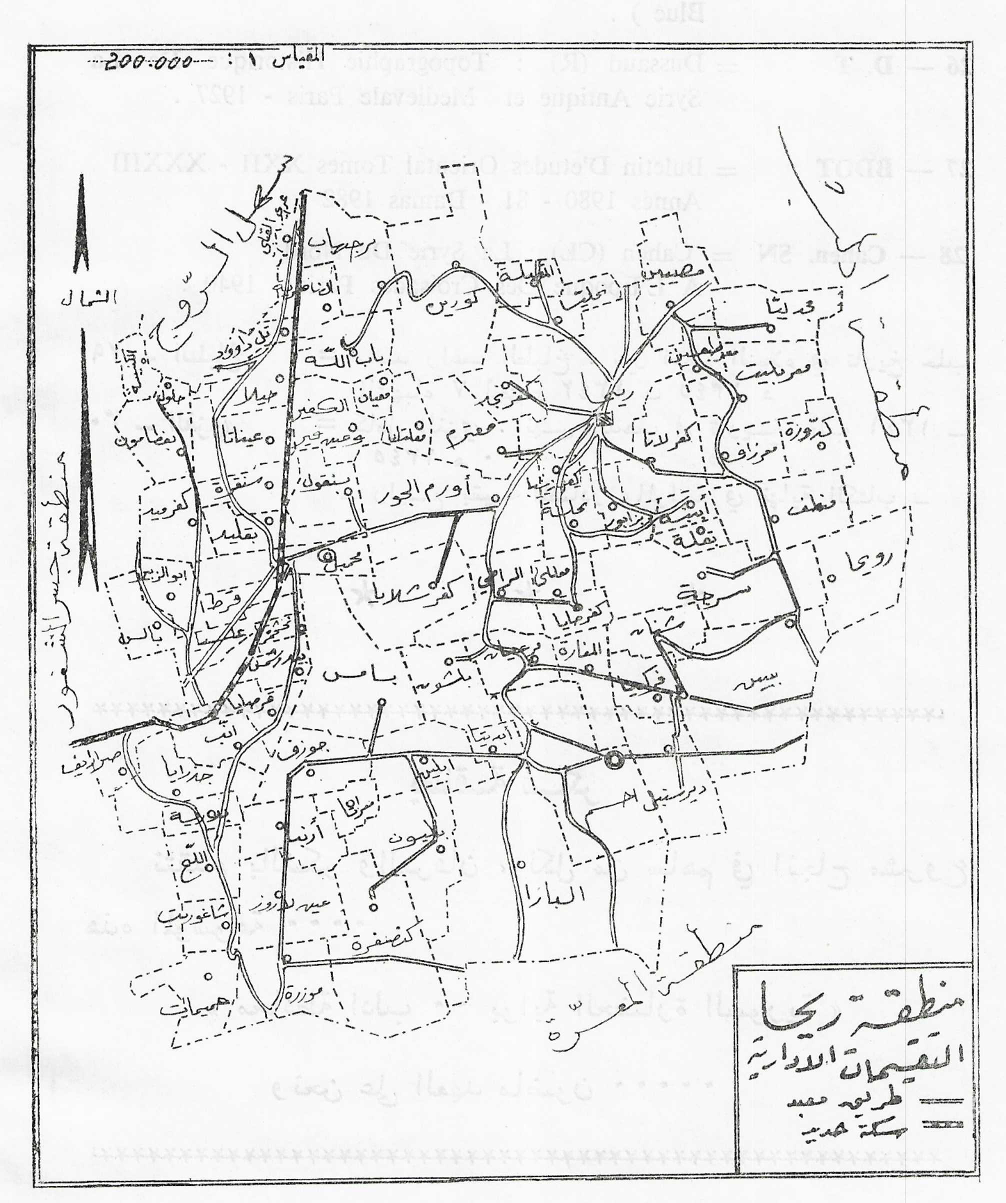
بطاقة شكر

نتقدم بالشكر والعرفان ، لكل من ساهم في انجاح مشروع هذه الموسوعة ....

« محافظة ادلب .. بوابة الحضارة السورية »

ونحن على العهد ماضون .....

****



١ ـ خريطة التقسيمات الادارية في منطقة ريحا

الفصل الثالث

منطقة ريحا

تقع مدينة ريحا جنوب مركز المحافظة ، تحدها شمالا منطقة ادلب ، وغربا منطقة جسر الشغور ومحافظة حماه ، وجنوبا منطقة معرة النعمان ، وشرقا منطقتي ادلب ومعرة النعمان . تبلغ مساحتها ٦٧٥ كم٢ . وتقع المنطقة بمعظمها في جبل الزاوية . قدر عدد سكانها عام ٨٦ / ٩٩٣٠٧/ نسمة وعدد نفوسها /١٣٤١٠٣/ نسمة . تتشكل من ثلاث نواحي :

١ ـ ناحية قرى مركز ريحا يتبعها ٢٢ قرية و ١٧ مزرعة
٢ ـ ناحية احسم يتبعها ١٨ قرية و ٣ مزارع .
٣ ـ ناحية محمبل يتبعها ١٦ قرية و ١٧ مزرعة والمجموع ٥٦ قرية و ٣٧ مزرعة .

مركز المنطقة مدينة ريحا ، والتي كانت مركز قضاء مرة ومركز ناحية مرة اخرى . وقد كان معظم جبل الزاوية (١) في العهد البيزنطي يتبع اقليم سوريا الثانية ، والتي كانت عاصمتها أفاميا . ولكن جبل الاربعين كان يتبع اقليم سوريا الاولى والتي كانت عاصمتها انطاكيا . أما في العصر العربي الاسلامي فقد كانت منطقة ريحا تابعة في قسمها الجنوبي لاقليم حمص ثم معرة

---

(١) ذكر بعضهم أن سبب تسمية جبل الزاوية ، يعود الى زاوية مرعيان ـ راجع بحث مرعيان ـ وهذا غير صحيح ، فهي زاوية تعود الى القرن التاسع عشر واسمه اقدم من ذلك ـ راجع الفصل الاخير ـ فصل الفصول ـ الواقع الطبيعي : جبل الزاوية .

النعمان ، وقسمها الشمالي لقنسرين حتى حوالي القرن الرابع الهجري . وفي العهدين الايوبي والمملوكي ، ظل معظم جبل الزاوية تابعا لمملكة حلب . وفي أوائل العهد العثماني أصبحت ريحا تابعة لسنجق (معرة) في ولاية حلب . وقد أشارت الوثائق العائدة الى العهد العثماني في منتصف القرن السادس عشر ، الى وجود (قضاء أريحا) يليه بالدرجة قضاء جبل الزاوية. ولكن الدكتور ساحلي[٢] يؤكد أنه في عهد سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) كان هناك ناحيتان احداهما باسم الزاوية ، والثانية باسم جبل بني عليم . وفي العقد الاخير من القرن السادس عشر ، أكدت الوثائق وجود قضاء أريحا وقضاء الزاوية ، ولكن قرى ومزارع قضاء أريحا ، كانت أكثر من قرى قضاء الزاوية[٣] وأرجح مكان مركز ناحية ثم قضاء الزاوية بليدة البارا ، بموجب المعطيات التالية

أولا - كما حدث ان انتقل مركز نيابة قلعة الشغر الى قرية الشغر القديم ، ودعيت فيما بعد قضاء الشغر .

ثانيا - لانها كانت تسمى كما ذكر ياقوت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م زاوية البارا ، وهذا الاسم حديث العهد بالحروب الصليبية ، وقلة قرى قضاء الزاوية عن قرى قضاء ريحا ، تضعضع القرى نتيجة الحروب والكوارث وأما ناحية جبل بني عليم في النصف الاول من القرن السادس عشر ، فهي ناحية ريحا بالذات . وفي القرن السابع عشر قسمت ولاية حلب الى اقضية ، ومنها قضاء ريحا . وقد ذكر الرحالة التركي جلبي عام ١٦٤٨ أن قصبة ريحا من القصبات المعمورة[٤] وأما وثائق الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، وأوائل هذا القرن ، فقد أشارت الى وجود ناحية أريحا

---

(٢) د. ساحلي : استاذ معاصر في كلية الاقتصاد في جامعة استنبول . وقد اورد هذا في الامر رسالة جوابية للدكتورة ليلى الصباغ الاستاذة في جامعة دمشق - قسم التاريخ .

(٣) سيتم تفصيل ذلك في كتاب - محافظة ادلب في العهد العثماني - قيد الاعداد .

(٤) جلبي - سياحت جزء ١٣٨/١ وجزء ٣٦٧/٩ - ٣٦٨ .

التابعة لقضاء ادلب[٥] وظلت ناحية الى ان أصبحت قضاء عام ١٩٦٣ ، بعد أن أصبحت ادلب مركز المحافظة وستوضح نصوص الرحالة بعضا من واقعها السياسي والاداري والطبيعي والسكاني وقد ذكر غي Guys حين زيارته ولاية حلب ـ١٨٤٥ـ ان ناحية ريحا تابعة لولاية حلب مباشرة ، ويتبعها ـ ٥٨ ـ قرية بلغ عدد سكانها (١٣٠٠٠) نسـمة منهم (٩٥٠٠) مسلمون و (٥٠٠) نصـارى ارثوذكس و (٣٠٠٠) نصيرية . وفي عام ١٩٠٣ كان يتبع ناحية ريحا /٥٩/ قرية .

مدينـة ريحـا

تحتل موقعا هاما ، فهي ملتقى الطرق بينها وبين (لاذقية ـ جسر الشغور ـ حلب) و (حماة ـ معرة النعمان ـ ادلب) . هذا الموقع الممتاز ، وما تتمتع به من مناظر خلابة ، وأشجار مزهرة ، ووقوعها بين احضان جبل الاربعين المطل عليها ، بينابيعه التي ترويها . كل ذلك جعلها محطة راحة للمسافرين منذ القديم ، وحتى وقتنا الحالي . قدر عدد سكانها عام ١٩٨٦/ ٢١٣٣٥/ نسمة و ٢٧٩٦٩ نسمة حسب القيود المدنية . تبعد عن ادلب ١٣ كم وعن لاذقية ١١٤ كم وعن حلب ٧٣ كم وعن معرة النعمان ٢٥ كم وعن دمشق ٣٢٩ كم عرفها ياقوت الحموي المتوفي عـام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م فقال (وأما ريحا بغير ألف فهي بلدة من نواحي حلب أنزه بلاد الله وأطيبها ذات بساتين وأشجار وانهار ، وليس في نواحي حلب انزه منها) وهناك من كتبها بألف وكذلك أريحاء والاصح بدون الف . قال البغدادي المتوفي عام ٧٣٩ هـ (آريحا

---

(٥) ذكر مؤلفا كتاب آثار الادهار عام ١٢٩١ هـ/١٨٧٥ م ان ريحا قصبة ناحية باسـمها تابعة قضاء ادلب ولناحيتها /٥٠/ قرية ، انظر ص/١١٢ ـ بيروت . وشا . سامي صاحب قاموس الاعـلام ـ استانبـول ١٣٠٦ هـ ـ ١٨٨٨ م ـ ذكرهاباسم اريحا وهي قصبة صغيرة . اما سالنامة حلب لعام ١٨٧٠ م ذكرتها ناحية ريحا التابعة لقضاء ادلب ومديرها أحمد آغا . وسالنامة عام ١٩٠٣ وكذلك ١٩٠٦ ذكرتا (ناحية ريحا) .

مدينة الجبارين في الغور بينها وبين بيت المقدس يوم وقد حرك الشاعر جرير الياء منه ومده ٠

فقـال :

شياطين البلاد يَخفْنَ داري — وحيّة أريحاء لي استجابا

والمقصود هنا أريحا فلسطين ، وليس ريحا حلب . وقد كتبها مؤرخونا بدون ألف «ريحا» . ونحن نفضل اطلاق كلمة ريحا عليها بدون الف تمييزا لها عن أريحا فلسطين ، كما ذكر ياقوت ، وكذلك البغدادي المتوفي بعد ياقوت ، بأنه فرق بين الموضعين بالالف في الاولى دون الثانية . ومازال عامة السكان يلفظونها (ريحا) بينما الكتابات الرسمية تكتبها (أريحا) . وهي بلدة موغلة في القدم ، اذ ذكر الغزي أنها كلدانية أي تعود للالف الاولى قبل الميلاد ٠ ولكنني أرجح أنها أقدم من ذلك ، اذ جرت في أراضيها والى الغرب منها عدة معارك حاسمة مع جيوش الملك الفرعوني المصري تحتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق.م) عندما غزا سورية عام ١٤٦٠ ق.م . وما تل ريحا الواقع الى الغرب منها ، الا أحد التلال الاثرية التي تعود الى ذاك العهد ، حيث وجدت فيه بعض الفخاريات القديمة(٦) وقد ورد اسمها في نص كتابي على مدفن في كونكورديا في شمال ايطاليا باللغة اليونانية باسم مغارة ريحون ، وهو الاسم الكامل لقرية المغارة الاثرية الحالية الواقعة في جنوبها ، والتي سنذكرها فيما بعد ، وكانت تدعى في ذلك الوقت (مغارة ريحون(٧)) لشيوع اسم ريحا في المنطقة ـ وسيرد

---

(٦) يروى انه لما تم هدم الساحة امام خان البازار ـ عثر على مغر يستمر من عند الجامع الكبير ـ سوق الحدادين ـ الى التل ، وسرداب هذا المغر نحتت فيه متعرجات ، ومحلات استراحة . وفي عام ١٩٨٣ تم العثور على جرة فخارية في البلدة ، فيها نقود بيزنطية ـ بندقية ـ عربية !

(٧) يعتبر بعضهمان هذا الاسم ، موجود كذلك في موقع مزرعة معر تارح التابعة لقرية كفر سجنة في ناحية خان شيخون ، ولكنني ارجح موقع قرية المغارة الاثرية ، وذلك حسب سير سترابون وغيره ـ راجع بحث المغارة ـ في الحضارة في جبل الزاوية ٠

اسمها عند جلبي ريحي وهو قريب من ريحون ـ وطالما ان هذه القرية القديمة الاثرية تعود الى العهد السلوقي (٣١٢ـ٦٥ ق٠م) واسمها مرتبط باسم ريحا ، فهذا يؤكد بدلالة قاطعة على قدمها وأهميتها الاقتصادية والادارية كما وجدنا اسمها كذلك في بلدة رويحا الاثرية ، وهي تصغير لاسم ريحا . هذا وقد كان لها دورها الهام في العهد الروماني (٦٤ ق.م ـ ٣٢٩ م) ثم في العهد البيزنطي، لوقوعها بين عاصمتين هامتين انطاكيا عاصمة سوريا الاولى ، وأفاميا عاصمة سوريا الثانية . وبلدة ريحا كانت تابعة لانطاكية وظلت تحتفظ حتى أوائل هذا القرن ببعض النصب الاثرية القديمة ، كالقبة الرومانية الكبيرة القائمة فوق نبع الماء في جنوبها وبعض القبور المحفورة في الصخر[8] وفي العهد البيزنطي (٣٣٠ ـ ٦٣٧ م) نشطت الحياة الدينية على يد الرهبان ، الذين أقاموا صوامعهم ومناسكهم في جبل الاربعين ـ الجزء الشمالي لجبل الزاوية ـ ونظرا لوقوع بلدة ريحا في سفحه ، فقد كانت أحد المراكز الدينية الهامة لهم . ولذا فان هذه الفترة تعتبر فترة ازدهار حقيقي للبلدة ـ النصف الثاني من القرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع الميلادي . ومما يؤكد ذلك وجود (مغر رمضان) الواقع الى الشرق من ريحا بـ ٣ كم ، والذي يشتمل على عدة قبور محفورة في الصخر حيث أن وجود أحد المقالع الحجرية قبل القبور ، وعدم وجود أبنية قديمة أو حديثة بقربهم ، دليل على أن هذا الموقع يخص ريحا القديمة . والدليل على أن هذه القبور تعود للعهد المسيحي هو وجود الصليب ، ورسوم صلبان اصغر وزينة الكرمة عليها . وتشير الكتابات والزينة المنقوشة عليها ، أنها تعود الى نهاية القرن الرابع الميلادي . فهذا مدفن عليه كتابة خاصة بالعصر الانطاكي ومؤرخة عام ٣٨٦ م . ان تشابه هذه

---

(٨) M, VM - P, 27 واضاف ماترن انه لم يتمكن حين زيارته عام ١٩٢٧ . من قراءة الكتابة الموجودة على القبور الجنوبية ، لطلائها بالكلس كعادة المسلمين في تزييناتهم ، ولكني تمكنت من الحصول على مراجع اخرى ، سهلت لي الاطلاع على هذه الكتابات .

القبور يدل دلالة اكيدة ، انها تعود لذات الوقت بل ان كثافة المقالع والتاريخ المنقوش على القبور ، لا يشير الى انها تعود فقط الى نهاية القرن الرابع ، بل ما قبل ذلك كما ذكرنا انفا . ولنتحدث قليلا عن هذه المدافن :

المدفن الاول : ٣٨٦ م. في الجدار المواجه للمدخل قبر مضاعف يشتمل على حجرتين واسعتين مفتوحتين على الرواق ، ومنقورين في الصخر ، وفيه أربع مقاطع كتابية باللغة اليونانية القديمة ، وتعريبها اله واحد. تذكار من باسوس. بدأ باسوس بناء هذا المدفن لـ ثيوسيبس وزوجته مع أولادهما . وقد تم تكميله من قبل المعمار سكند نوس في التاسع والعشرين من شهر بانِموس عام ٤٣٤ = تموز ٣٨٦ م ، وفي ذات المدفن كتابة اخرى فوق المدخل على اليمين. ويبلغ ارتفاع كل الاسطر حوالي ٥ سم ، وهي تختلف في شكل كتابتها عن السابقة ، ومؤلفة من مقطعين تعريبهما (يرقد في هذا المدفن الذي بناه المعمار سكنِدنوس ، الاخوان ثيوتكنوس وارتبانِس أولاد بامانوس . نلاحظ في النص كلمة الاخوان ، من المحتمل تعني اخوان المسيح أوراهبان وثيوتكنوس وارتبانِس، أسمين غريبين ذات صوت فارسي ، ليسا يونانيين أو ساميين . هناك اسم مصري آرامي . وكذلك ان اسم با ــ مو ــ نو يوجد في البابلية . أو أن بامانوس هي باناموس ؟ . ونلاحظ كذلك اسم المعمار سكندنوس مرة أخرى .

المدفن الثاني : ويقع الى الشرق من المدفن الاول ، محفور في الصخر برواق مقوس . كتابة شبيهة بالكتابة الاولى منقوشة فوق المدخل الغربي ، وهي واقعة بين غصني نخيل . وتحت الكتابة نقش رسم لكرمتين ، وفي مركز حلقتهما صليب صغير ضمن دائرة ، وفوق كل زاوية من زوايا المدخل قرص ، اليمين منهما فيه ست علامات نجمية منقوشة ومطلية . وهذا القرص المنقوش ، كان مطليا كذلك بثلاثة ألوان ، أحدها بلون أحمر عادي ، والآخر من المحتمل

أصفر . وكان يوجد تحت هذا القرص غصن نخيل واسع ، مطلي بالاحمر ولكنه غير منقوش وتعريب الكتابة (الاله واحد) .

المدفن الثالث : الاخير محفور في الصخر، فيه كتابة منقوشة فوق المدخل بين القوس٠ ارتفاع الاحرف ١٣سم ، وهي مطلية باللون الاحمر وتعريبها (ثيوتكنوس ولونجينا) ٠ الاول اسم ذكر والثاني اسم انثى[٩] وفي عام ١٩١١ تم اكتشاف أحد القبور في ريحا ، ويظن أنه قبر اسقف ، وجدوا فيه قطعتين من الفضة الثمينتين : كأس وصينية[١٠] .

الكأس : وهو من الفضة ، مؤلف من مقطع عميق محمول على رجل واسعة بارتفاع ١٧ سم وقطر الفتحة ١٦ سم والقدم مدور بشكل مقلوب ، ومصنوع من بلاتين الفضة . وفي قدم الكأس خمس أختام (نقط) نافرة والتي تدل على هذا العصر ، كما في أيامنا بطلاء المعدن ٠ وعلى حافة الكأس كتب بين خطين من الذهب ، كتابة ليتورجية، منقوشة باحرف كبيرة ، وهي مأخوذة من كلمات القداس حسب طقوس ماريوحنا فم الذهب ، الذي صار مطرانا في انطاكيا ٣٩٨ ـ ٤٠٤ م واليه تنسب الليورجية أو مراسيم الخدمة الدينية

---

(9) AAES - 3 : P 231 - 34 , IGLS - V2 , P 375 - 77

(10) M, VM : P 27 - 28 , IGLS - V 2 P 377 - 78 , SYRIA - XII P 306 , Gazetle des beaux - arts , LXII 1920 , P 175 - 178 fig P 176 (calice) et PL (Pat ene) , J , Charles : l'Orient des Premiers Chretiens - Paris 1966 P 103 , J , Lassus Sanctuaires Chretien De Syrie Paris 1947 P , 197 , 200 214 et PL , 1

ومجلة المشرق ـ بيروت ـ ١٩٢٣ المجلد (٢١) ص ٣٨٣ ، وقد سبق لهذا الاكتشاف الكبير ، اكتشاف صينيةفضية أخرى شبيهة لها عام ١٨٩٥ في مسطومة جنوب ادلب ٨ كم ـ راجع التفاصيل عنها في كتاب ادلب ٠٠ البلدة المنسية ! ـ قسم القرى والمزارع ـ ٠

تباينت الاراء حول تاريخ كأس وصينية ريحا فجالامبير وشارلز قالا انهما من القرن السادس ، بينما لاسوس ذكر انهما من القرن الخامس ، وابي انفق مع الاخير ، لان تاريخ المدافن يعود الى القرن الخامس ٠



٢ ـ كاس ريحا الفضي

القرن الخامس

المشهورة في الكنيسة اليونانية . وهذه الكتابة منقوشة باللغة اليونانية القديمة ، تعريبها (انها ملكيتك يارب ، نقدمها لك ، والتي تلقيناها منك) ويعود الكأس الى القرن الخامس الميلادي ، وموجود الان بباريس في فرنسا .

الصينية : وهي من الفضة الخالصة وأجمل من الكأس بكثير ، قطرها ٣٤ سم ووزنها ٩٠٨ غ . وفي مركزها مقطع دقيق النقش نافر . يظهر فيه مشهد العشاء الاخير ، حيث صورة السيد المسيح مع الحواريين ، وهو يوزع سر جسده ودمه على تلاميذه ، وفيها رسمان له ، يمثلان مرحلتين : الاولى يعطي المناول لستة رسل والثانية يعطي للستة الاخرين وجسده مستور جزئيا بمنضدة المذبح . فالى اليسار نشاهد السيد المسيح يمسك بيديه الاثنتين كأسا يقدمها الى أحد الحواريين ليشرب منه ، وهذا الاخير غطت يداه بخمار . والحواريون الخمسة خلف الاول يشكلون مجموعة ملتحمة ، يبدو أنها تأتي من خلفية اللوحة . وتتكرر هذه المجموعة الى اليمين ، ولكن المسيح هذه المرة يبدو انه يعطي يده ليقبلها أحد الحواريين ، ولكن هذه اليد تمسك بشيء غامض . وهذا الحواري يمسك المسيح بيديه العاريتين ، وبلا شك



٣ ـ صينية ريحا الفضية ـ السيد المسيح في العشاء الاخير ـ القرن الخامس .

يتلقى بيديه قطعة كبيرة من خبز العشاء . وبالتأكيد هكذا يكون الشكل الطقسي . ونلاحظ خلف المذبح منضدة ، غطت واجهتها بستارة ، وعمودين مضلعين بشكل حلزوني ، يحملان دعامة قائمة عليهما . وهذه الدعامة تتبدل في الوسط الى (قوس) عقد مقولب يغطي أعلى المدخل ، ويحيط بصدفة . انه ديكور الخلفية العادي للاطباق في فن الصياغة في هذا العصر، بالاضافة الى درع يتودورس من صواني قبرص ، وصليب يعلو القوس ، وقنديلين متوضعين

على الدعامة ٠ وفي المنتصف مذبح مستطيل الشكل، يحتوي الحواريين ومنضدة مزينة بستارة جوخ ، ولتستر الاقدام وعلى المنضدة كأس وأطباق عليها الخبز ٠ وفي الاسفل ، ابريق وطاس ، يرمزان للطهارة . ونلاحظ الصورة تمثل بيتا على شكل البيوت الرومانية . فهناك عمود وتاج وقناديل . اعتبرها الاختصاصيون من أجمل الآثار البيزنطية القديمة ـ وحول تأثيراتها الطقسية والفنية انظر فصل الفصول ـ وبرأي تمثل الفن السوري في تلك الحقبة ، وهي من ايات الصناعة السورية وهي تدل على نموذج شخصي جدا في مصانعتها ، وتظهر شكلا جميلا لتعميد المسيح للحواريين وعلى حافتها كتابة مناظرة لكتابة الكأس ، بالاضافة الى الكتابة التالية (+من أجل راحة نفوس يوحناسركيس×ثيوطس وستريّس ميغال' ونون' وأولادهم) ٠

تشير هذه الكتابة العائدة الى القرن الخامس ، أن هذه التقدمة كانت من أجل الراحة الابدية لنفوس الموتى ، ولتجلو خلاصهم وتقدمتهم ونجاحهم ، والتي قدمت من المقدم وعائلته . ونون' اسم مصدري لاسم مؤنث نونوس ، وهذه الاسماء عادية في سوريا أنذاك . وقد تنقلت هذه الصينية من مكان لآخر ، الى أن وصلت الى متحف كامبردج الفني بمساشوست فيأمريكا ٠ والجدير بالذكر أن رسم السيد المسيح موجود كذلك في كنيسة قلب لوزة ، كما سيرد في الجزء الثالث وفي جنوبها مغارات واجهاتها شمالية ، وقد وصل البناء اليها الان ٠ يدعوها الاهالي ـ القنيطرة ـ وهي بالذات التي ذكرها الرحالة بوكوك والباحثون الاثريون فيما بعد ٠ وعن بوكوك ووادنغتون ، نقلت كتابات هذه المدافن المنقورة في الصخر ٠ وأما المدفن ذو القوسة المنقورة في الصخر ـ والسابق للقبر المنقور كذلك ـ جنوبا ، وواجهته باتجاه الشمال، فقد نقشت على القوسة كتابة مؤلفة من سطرين ، في المركز قرص يحتوي على الصليب اليوناني وحرفي W و A الفا واوميغا . ولم تعد

تشاهد مثل هذه الرسوم والكتابات اليوم لطلائها بالكلس الذي شوهها . وتعريبها :

+ في عام ٤٧٠ في الشهر الثالث تقريبا + هذا مدفن الكسندروس ... ومستشار الحكومة ولولده يد سكيوس (؟) في عهد جورجينوس ؟ (آب ٤٢٢ م)

+ ΕΤΟΥϹ ΟΥ ΜΗΝΟϹ ΛѠΟΥΓ Ι
ΑΛΕΞΑΝΔΡΟϹ ΑΟΝΕΠΤΟΠΟϹ ΚΑΙ ΚΑΝΚΕ
ΛΛΑΡΙΟΥΕΠΑ ΡΧѠΝΥΙΟΥΛΙΔΕϹΓΙΟΥΔΙ
ΛΓΟΡΓΟΝΙΟΥΡΓΙ ?]

٤ ــ ريحا ــ كتابة مدفن الكسندروس ٤٢٢ م

وفي مدفن آخر الى الغرب من السابق،ومثله منقور في الصخر، وواجهته للشمال ، توجد كتابة اخرى على المدخل وهي المجموعة A وأما المجموعة B على الجانب الايمنمن المدخل . طليت هذه الكتابات باللون الاحمر وهي مع تعريبها :

... مالكوس بن مينا ندروس ...
ومالكوس المعمار .
وهذه الكتابة كما يبدو تعود لعام ٤٢١ ــ ٤٢٢ م ؟[11] .

A. Ο Υ
ΕΟΖ ΘΝΟ
ΗΛΛΧΟϹΗΕΝΑΝΔΡΟΥ

B. Η Ο

ΚΕΗΑ
ΛΧΟΥ
ΤΕΧΝΙ
ΤѠΝ

٥ ــ ريحا ــ كتابة مدفن مالكوس ٤٢١ م

(11) AAES - 3 : P 234 - 35 , IGLS - V 2 : P, 374 - 75

وكما لاحظنا فان المعمار يدعى مالكوس باليوناني ، وهذا المدفن يمكن أن يكون من أجله ، ويقابله مالك بالعربية . والجدير بالذكر أن هناك مدفن آخر في البارا ، دفن فيه مالكوس بن غوراس عام ٤١٧ م أي ذات الزمن . وهذا يدل على شيوع اسم مالك في المنطقة . ولعل المدفن الاول تم نقره من قبل المعمار جورجينوس عام ٤٢٢ م ، والذي أعده الكسندروس مستشار الحكم في المنطقة له ولولده يدسكيوس . ومازالت هذه الاسماء شائعة في المنطقة باسم جورج أو جورجس واسكندر . وأما الكسندروس هذا ، فقد شغل منصب (شنستور) في العهد البيزنطي ، وتعني الموظف المكلف بانجاز التعداد المفصل للملكيات العقارية ، بقصد تقدير الضرائب . وبعدذلك أصبح كانشلاريوس Cancellarius أي رئيس مكتب لعدد من حكام المناطق . ومن المؤكد أنه لم يكن في سنة ٤٢٢ م حكام الولايات قد لعبوا دور المفتشين عن المناطق التي كانوا مسؤولين عنها كما في القرن السادس[١٢] وفي الفتح العربي الاسلامي أصبحت ريحا من عمل قنسرين ، والتي تولاها معاوية بن ابي سفيان . وفي العهد الايوبي كانت تابعة لمملكة حلب ، كما ذكر الرحالة شيخ الربوة المتوفي ٧٢٧ هـ : بأنها من اعمال حلب وفي أواخر العهد المملوكي ، أصبحت ريحا من عمل قنسرين[١٣] ثانية . وحينما قدم السلطان العثماني سليم الاول الى محافظة ادلب عام ١٥١٦ سلمت له مفاتيح بلدة ريحا[١٤] وبعد استتباب الامور في الشمال السوري ، جعل من مملكة حلب ولاية ، وضع فيها الوزير كمال جلبي افندي . وحصل الوزير من مخالفي القانون في ريحا والبلدان المجاورة بما فيها انطاكيا /٧٠/ الف غروش و /٥/ آلاف أقجة . وفي أوائل القرن السابع عشر قسمت ولاية حلب الى اقضية ، وأصبحت ريحا مركز قضاء باسمها[١٥] .

---

(12) IGLS - V 2 : P, 374 .

(١٣) الطباخ ٢٤١/٥ عام ٨٤٩ هـ ـ ١٤٤٥ م (أريحا من عمل قنسرين) .

(١٤) ج . س ١٠٨/١٠ .

(١٥) المصدر السابق ٢٩٨/١ .

وفيما بعد ذكر الدكتور رسل Russel بأن ريحا أصبحت تابعة للجسر ، وذلك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، لان جسر الشغر كما قال استقلت مؤخرا ، نظرا لتبعيتها لاسطنبول وتشمل سلطتها ريحا وادلب أيضا ثم استقلت ريحا عنها لتصبح كما ذكر كوارنسيز ـ ١٨٠٩ ـ أغوية أو حكومة صغيرة خاصة مرتبطة مباشرة بالباب العالي في استنبول وهكذا نرى ريحا تتغير تبعيتها ، وكذلك واقعها الاداري من ناحية الى قضاء ، ثم ناحية ، الى مركز قضاء مؤخرا . تعرضت ريحا لزلزال دمر بعضا من مبانيها وذلك عام ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م . وقد وصفه الشاعر تقي الدين بن الشيخ محمد المطلبي بقوله :

فكم خطوب بأرض الشام وقعت — وفي حماة وحمص اعين دمعت
وفي المعرة كم من نسوة فجعت — وأرض ريحا وسلقين لقد صدعت
ريحا قراها قراها الدهر كاس ظما — والعين من أجلها شربت كؤوس عما
وللبين هدم اركانا لهم ورمى — والحتف في أهلها كالبحر حين طما

ناداهم الموت فاتبعوا مناديها

وفيما بعد تعرضت البلدة الى البرد الشديد في الثامن عشر من شوال عام ١٢٥٤ هـ / ١٨٣٨ م نتيجة الثلج الشديد وسقوطه بمقدار نصف الشجر في كل من ريحا وادلب وأرمناز ، ثم تعرضت كذلك قصبة ريحا في ليلة الجمعة في السابع والعشرين من صفر عام ١٢٨٤ هـ ؟ / ١٨٦٧ الى تيارات هوائية شديدة البرودة لم يعهد مثلها من قبل[١٦] . هذا وقد برز فيها علماء كثيرون في العهدين المملوكي والعثماني وسعى اليها كبار القضاة . ففي عام ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م رغب القاضي شرف الدين بن ابي مسعود الشافعي واصلة من قرية دير حشان من حلقة سرمدا ـ ناحية الدانا في منطقة حارم الان ـ الى قاضي القضاة بحلب ، لكي يوليه القضاء

---

(١٦) الغزي ٣/٣٦٣ و ٣٩٧ .

في ريحا ، فامتنع الاخير عن ذلك ٠ وذهب الى القاهرة يسعى بقضاء ريحا ، فأشار عليه كمال الدين بن العديم بالاعراض عن قصده وأن يسعى بقضاء حلب ، وهكذا[١٧] وكان قد تولى قضاء ريحا من عمل قنسرين اسماعيل بن الحسين بن الزيرتاج المولود سنة ٧٩٠ هـ / ١٣٨٨ ٠ ووجود قاض في بلدة حينذاك ، أمر له شأنه ، اذ لايوجد قاض في بلدة ، الا اذا كانت عامرة ، وسكانها كثيرون ، ولها مكانتها الادارية الجيدة . وفي العهد العثماني ، تشير الوثائق الى أن السلطان العثماني كان يهتم بها كثيرا ، ويرسل الامر السلطاني تلو الاخر للاهتمام بأهاليها ، ومراعاة طلباتهم ، وعدم ارهاقهم بالضرائب ، لما لهم من مكانة خاصة لدى الدولة العثمانية. والسبب وجود اصحاب النسب الشريف ، وكثرتهم فيها، والسادات الكرام،ويجب احترامهم بموجب اللوائح والقوانين الموضوعة لذلك وتشير احدى الوثائق في عام ١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م الى الامر السلطاني الصادر في القسطنطينية ، والذي مضمونه الطلب بمنع وضع الشارة الخضراء ، لغير المنتسبين للسلالة النبوية في ريحا٠٠ و ... يجب نسبة لهذا السبب · وذكرت وثيقة اخرى صادرة كذلك عن السلطان العثماني في القسطنطينية ـ استنبول ـ مايلي «أمر عال بتخصيص مبلغ ٨٠٠٠ غرشا لتأمين حراسة الجردة ـ ـ المقصود بها حماية عودة الحجاج ـ موزعة على بعض الاقضية .. قضاء اريحا /٨٠٠/ قضاء مركز حلب /١٠٠٠/ وهكذا وذلك حسب ما ورد في القيود ، على شاكلة القاعدة المتبعة في السنين السابقة . حرر في اواسط ذي القعدة ١١٥٤ هـ ـ ١٧٤١ م . نستنتج من هذه الوثيقة أهمية ريحا كممر للحجاج والمسافرين ليفرض عليها مبلغ قريب من مبلغ مركز حلب . ونظرا لمكانة الاشراف في ريحا ، فقد كان رئيسهم يدعى نقيب الاشراف ومركزه في حلب . وهؤلاء الاشراف من اولاد الامام علي بن ابي طالب وهي احدى الوظائف الدينية ، يقوم متوليها بالفحص عن أنسابه (ر) من زوجته فاطمة بنت الرسول محمد (ﷺ) . ونقابة الاشراف

---

(١٧) الغزي ٢٩٨/١ ٠

الاشراف والتحدث في أقاربهم ، والاخذ على يد المعتدي منهم ، ونحو ذلك ، وكان يعبر عن هذه النقابة في زمن الخلفاء المتقدمين، العباسيين ومن يليهم بـ (نقابة الطالبين) . ويلبس النقيب عمامة خضراء في شكل مخصوص يعرف به .

فهي لم تعرف الا بالبلدة الهادئة ، ولم تحدث فيها معارك أو مشكلات اجتماعية كبيرة،لما عرف عن أهلها من حب للوداعة والطمأنينة ومن الناحية الاقتصادية فقد كانت ريحا مثلا مقاطعة لتاج الدين جلبي واخوه حسن جلبي ولدا يوسف بك الشهير بابن سلطان امير لواء بالس ، حيث أخذ هذا الالتزام عن طريق المزاودة ، والتزما هذه المقاطعات بما فيها سرمين وحارم بزيادة ٩ آلاف دينار ديوانية ،ومدة الالتزام ست سنوات وذلك عام ٩٩٩ هـ - ١٥٩٠ م والحديث عن ريحا في العهد العثماني يطول ، وهذا له موضوع آخر وقد نسب اليها بعض المؤلفين في العلوم العربية أشهرهم :

- منصور بن محمد الاريحاوي من أبناء القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وعبد الرحمن الاريحاوي الحلبي المتوفي ١١٢٨ هـ - ١٧١٦ م مؤلف (الدرة الدرية في العوامل النحوية) و (منجاة الراغب وبغية الطالب[١٨]) . وفي ابحاث اخرى نقدم المزيد عن هذه البلدة . لكننا قبل مرافقة الرحالة نذكر كتابا صدر مؤخرا في استنبول ، لاحد علماء ريحا واسمه «محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي» شارح الكنز المتوفي عام ١٢٢٨ هـ واسم الكتاب (نخبة اللآلي لشرح الامالي) وتاريخ الاصدار ١٩٨٣ . والآن آن لنا مرافقة الرحالة اليها ، فهم يستعجلوننا زيارتها ومشاهدتها ، خاصة وهي احدى المدن النزهة والجميلة في المحافظة. وبعد زيارتها ننتقل الى جبل الاربعين. كفرلاثا ورويحا وغيرها ، لنتمتع بتراث المنطقة الحضاري ، ونأكل من ثمراتها الطازجة اللذيذة ، ونشرب من مياهها العذبة ، وننتقل في ربوعها الخلابة الخضراء ..

---

(١٨) البستاني : دائرة المعارف ج ١١ ص ٢٢ - بيروت ١٩٧٤ .

١٦٧١ ـ الاب الايطالي وانسلبن Le Pere Wanslepen

لدى وصوله اليها كتب يقول «وصلنا الى ريحا Rieha وهي قرية كبيرة وجميلة جدا ، شهيرة بمياهها العذبة ، وسوق الاقمشة القطنية الذي يقام صباح كل يوم سبت وخميس[١٩]

١٠٨٢ هـ ـ ١٦٧١ م جلبي :

وهو اعظم وافضل الرحالة الاتراك . قدم لنا وصفا مسهبا لبلدة ريحا فقال (وصف قصبة ريحى ، راحات ، ريحا : وهي تابعة لولاية حلب ، ومرتبطة بحاكم سرمين الذي يدعى فوي فادادر Voyvadadir ويبلغ دخلها /١٥٠/ أقجة . وهي قضاء لطيف ، من حوله عدة قرى تعاقب عليها مئات الاجيال .. كما ان فيها كروم وورود ومزارع ورد ، مما يعطي لهوائها رائحة لطيفة تنعش الروح ، حتى أن الانسان المريض جدا تنتعش روحه فيها كثيرا . فيها ستمائة أرض معمرة ، ومحلات مزينة ، وتسعة مساجد وجامعان وحمام ، وخانان ، وسبعون دكانا، وثلاثة الاف شجرة كرمة ، واغلب سكانها فلاحون . وهممحبوبون ومحبتهم هذه لها شهرتها في الدنيا . ويمدح طعامها وشرابها ، كما ان لعنبها شهرته الخاصة به . مزارات ريحا : وبقرب البلدة مزار الشيخ أحمد شيباني . وفي الطرف الغربي من البلدة يقع الشيخ يوسف وفي شمالها مزار الشيخ قاصف ، وبقربها الى الجنوب في سفح الجبل مقام الاربعين وفي قلب البلدة مزار الشيخ محمد غازي ـ قدس سره[٢٠] يتضح لنا من هذا النص أن ريحا من الناحية الادارية قصبة ـ وتعني الان ناحية ـ يطلق عليها عدة اسماء ريحى ، ريحات ، ريحا ، وكأنه أراد تفسير الاسم بالرجوع الى

---

(19) Omont (Henry) : Mission archeologiquesen Orient 2 vol Paris 1902 P, 82 - 83 ,

ولم يبق غير بازار واحد يوم السبت .

(٢٠) ج . س ٣٨٤/٩ و ٣٨٥ .

مصدره من ريحى[21] وهي تابعة لولاية حلب ، وصلتها الادارية مباشرة بحاكم سرمين بينما ذكر الرحالة غي Guys ـ ١٨٤٥ ـ أنها تابعة في هذا العام الى حلب مباشرة . نظرا لبدء ضعف بلدة سرمين، وهي في دخلها وواقعها الاداري تعادل ادلب الصغرى ـ ادلب الحالية ـ اذ كانت الاخيرة في بداية نشوئها وازدهارها الاداري والاقتصادي ، وان كانت ريحا قد تبعت ادلب اداريا فيما بعد ، وبعد ضعف سرمين اداريا واقتصاديا وأما دخلها البالغ /١٥٠/ أقجة والذي كان يعادل دخل سرمين وكذلك ادلب ، فكل منهما بلغ /١٥٠/ أقجة وأما معرة النعمان فكان دخلها /٣٠٠/ أقجة كما ذكر في رحلته الاولى عام ١٦٤٨ م ، وعن الواقع السكاني كما يستدل من نصه ، فهو أقدم عدد سكاني وصلنا ، والرحالة الذين قدموا فيما بعد ذكروا لنا عدد سكانها ، ونضيف من المصادر التي لدينا :

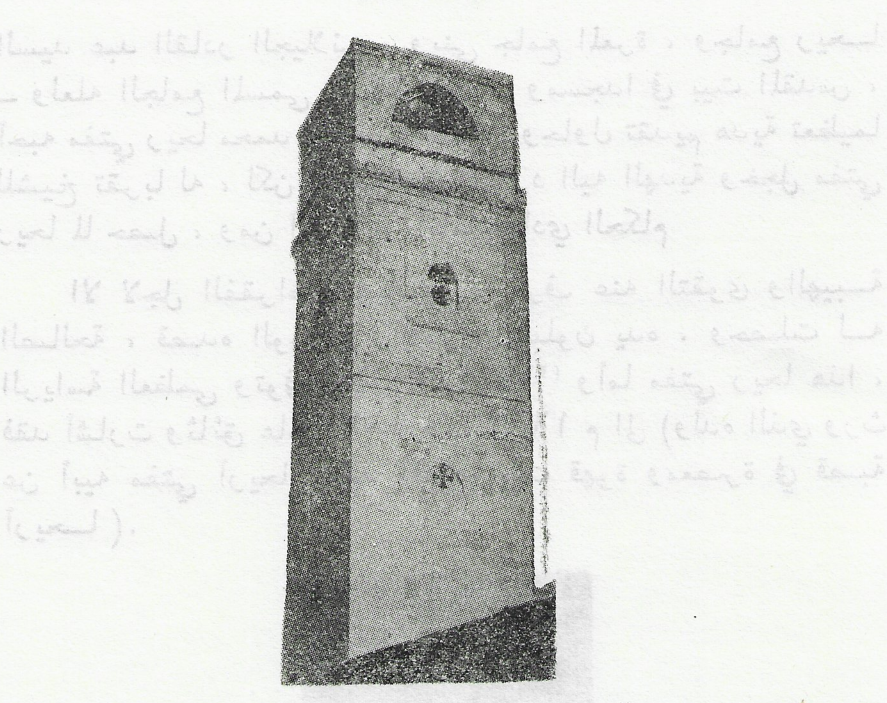
العام	المصدر	عدد السكان	
١٦٧١ م ـ ١٠٨٢ هـ	اوليا جلبي	٤٥٠٠	نلاحظ في هذا الجدول
١٨١٢	بوركهارد	٣٥٠٠	تراجع عدد سكانها في مطلع
١٨٤٦	طومسون	٣٠٠٠	القرن التاسع عشر ، عما
١٨٨٨ م ـ ١٣٠٦ هـ	قاموس الاعلام	٣٠٠٠	كانت عليه حين زيارة جلبي
	العثماني		نتيجة ازدهار ادلب في الربع
١٨٩٣	بايدكة	٣٠٠٠	الاخير من القرن السابع عشر
١٨٩٦	السالنامة العثمانية	٤٦٦٨	والقرن الثامن عشر ، اذ هاجر
	(٦٥٣ عائلة)		الكثير من سكان ريحا الى
١٩٠١ م ـ ١٣١٩ هـ	السالنامة	٤٧٠٠	ادلب الصغرى وحلب وهذا
١٩٠٣ م ـ ١٣٢١ هـ	(٧١٥ عائلة)	٥٢٨٠	ما دعا السلطة ، لتحويلها من
١٩٠٦ م ـ ١٣٢٤ هـ	السالنامة	٤٨٦٨	قضاء الى قصبة ـ ناحية ـ
	(٨٦٢ عائلة)		تابعة لادلب كما ذكرت
١٩٢٢ م	الغزي	٤١٠٦	السالنامة العثمانية لولاية
١٩٣٢	احمد زكريا	٦٠٠٠	حلب لعام ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠١.
١٩٤٥	الاحصاء الفرنسي	٧٠٤٢	والجدير بالذكران سكانها قد
١٩٨١	التعداد السكاني	١٧٨٠٥	تضاعفوا خلال ثلاثة قرون ،
١٩٨٦	التعداد حسب	٢١٣٥١	ثلاثة امثالهم ٠ بينما بعد
	النمو السكاني		الاستقلال تضاعف الى
١٩٨٦	حسب القيود	٢٧٩٦٩	الضعفين ، نظرا للاستقرار
	المدنية		الذي تمتعت به هذه المدينة .

(٢١) راجع معنى الاسم في معجم أسماء بلدان محافظة ادلب وقراها ـ قيد الاعداد ٠

وللمقارنة نضيف انه ذكر وجود تسعة مساجد وجامعين وحمام ، وخانين ، وسبعين دكانا عام ١٦٧١ بينما سالنامة ولاية حلب لعام ١٩٠٣ م ـ ١٣٢١ هـ ذكرت وجود ٦ جوامع ومسجد و ٣ حمامات و ٤ خانات و ٢٠٠ دكان ، لقد تضاعف كل شيء باستثناء الابنية الدينية ، والتي قل عددها ، ويعود هذا الى المضايقات التي كان يتعرض لها علماء الدين من الانكشارية والمتسلطين عليها ، فكانت هجرة علمائها ومشايخها الى ادلب وسرمين وخصوصا الى حلب ، وأما الجوامع ففيها الجامع الكبير[٢٢] العائد للعهد المملوكي ، تبين من خلال عمارته له بابان شمالي وشرقي ، وفي بابه الشرقي زخرفة جميلة بقوسته المنحنية ، تواجهك لوحتان في مدخله الاولى على اليمين والاخرى على الشمال ، لم نتمكن من قرائتهما لطلائهما بالكلس ، وأما مئذنته المربعة المزينة بالنقوش الحجرية الجميلة ، فكما لاحظنا قد جددت عمارتها أكثر من مرة واستخدمت فيها الاحجار القديمة ، حيث كان كنيسة وحول الى جامع ، كما شاهدنا لدى زيارتنا له ـ ١٩٨٦ ـ ففي الطبقة الثانية من المئذنة أستخدمت احجار قديمة مزخرفة عليها شكل الصليب ، وما زال الاهالي يروون انه كان كنيسة ، وأما باحته الجميلة فمحاطة بالاروقة ، ذات الاعمدة المغطاة ببروز ناتىء لتشكل الزخارف ، ولم نتمكن من نقل بعض الكتابات غير كتابة كوفية تربيعية نقرت على حجر مربع الشكل ـ وهي مملوكية ـ عليها الاسماء التالية : في الوسط اسم النبي محمد (ﷺ) وفي الاسفل ـ ابو بكر والي الشمال عمر وللاعلى عثمان ولليمين علي . وهناك حجر اخرى الى يمين الاولى في الباحة ، كتبت بنفس الخط تتضمن (الله ، لا اله الا الله . محمد رسول الله) وكلا الكتابتين

---

(٢٢)ريحاوي . عبدالقادر : العمارة العربية الاسلامية ص ١٩٧ . دمشق ١٩٧٩
و Sawaf : Six Tournee , Alep 1967 , ,P , 71
وفي ريحا عدة جوامع اقدمها بعد الجامع الكبير جامع الشيباني ويليه جامع قره محمد الى الشرق من الكبير مؤرخ عام ١٢٣٣ هـ ، وزاوية العاري ١٢٠٠ هـ بناها نجل الفتى عبد الكريم أخو العلا ومؤازره كما كتب على مدخلها .



٦ ـ ريحا ـ مئذنة الجامع الكبير

نقرتا بشكل نافر ، وهناك نجفة أخرى فوقها لوحة نقر عليها اسم من عمر المئذنة بثلاثة اسطر وهي منقطة تمكنا من قراءة الكلمات التالية عمر هذه المئذنة في ملك المعز السلطان المظفر ؟ العاص بن الملند ؟ العزيز خلد الله ملكه) وهي بلا تاريخ .. ولكنها تعود للعهد المملوكي ، وأما المزار الذي ذكره جلبي قرب البلدة باسم مزار الشيخ أحمد الشيباني ، فقد أصبح داخل البلدة ، وحول مزاره الى جامع سمي باسمه ، وأجريت التعديلات عليه أكثر من مرة ، كما كانت تنقل المياه اليه عن طريق أقنية فخارية من جبل الاربعين ، من نبع الجرينة على بعد ٢ كم .

والشيخ الشيباني «من حماة دفين زاويته فيها ، شافعي المذهب بن محمد القادري من ذرية القطب الكبير الجيلاني ، تولى خلافة السادة القادرية بعد أخيه الشيخ عبدالله ، حظى بالكلمة النافذة ، واقبال الوزراء والامراء والقضاة والعلماء أخذ بطريقة

السيد عبد القادر الجيلاني ، وبنى جامع المعرة ، وجامع ريحـا ـ ولعله الجامع المسمى باسمه الان ـ ومسجدا في بيت المقدس ، أحبه مفتي ريحا محمد افندي وعظمه ، وحاول تقديم هدية تعظيما للشيخ تقربا له ، لكن الشيخ غضب ورد اليه الهدية وخجل مفتي ريحا لما حصل ، ومن أقواله : أناما أهادي الحكام

الا لاجل الفقراء ومصالحهم ، عرف عنه التقوى والهيبـة الصالحة ، قصده الوزراء والامراء يقبلون يده ، وحصلت لـه الرياسة العظمى وتوفي سنة ١٠٣٠ هـ[٢٣] وأما مفتي ريحا هذا ، فقد أشارت وثائق عام ١٠٧٣ هـ ـ ١٦٦٢ م الى (ولده الذي ورث عن أبيه مفتي أريحا محمد أفندي بيت قهوة ومعصرة في قصبة أريحـا).


٧ ـ ريحـا ـ زقاق قديم

وأما جامع الشيخ محمد فيروي بأنه قديم وفي باحته ضريح ولي ذكره الرحالة ، وأما مزار الشيخ يوسف الواقع في الطرف الغربي للبلدة ، فقد أصبح مكانه الان حديقة تتوسط البلدة ، وينتسب هذا الشيـخ الى العاريين (آل العاري) وهـو من أهالي

(٢٣) المحبي : خلاصة الاثر · السفر الثاني ص ٢٥٦ · دمشق ١٩٨٣ · ومنصب الرياسة العظمى عنى بها نقيب الاشراف ·

البلدة . وأما مزار الشيخ قاصف فيطلق عليه الآن الشيخ قصيف شرق المجمع الحكومي ، قريب من مقام نبي الله يهودا ، الذي لازال موجودا ضمن السور في الطرف الشرقي . ولم يبق من الزوايا غير زاوية آل الكيالي وبداخلها قبور ، وزاوية سخيطة ، وزاوية التكية قرب السوق دثرت الان وشيد مكانها مسجد التكية . ومقام الاربعين سنتحدث عنه فيما بعد . وأما الخانات فقد أزيلت جميعها مؤخرا، أمام التقدم العمراني وهي :

خان السوق : من أكبر الخانات تبلغ مساحته حوالي ١٨٠٠م٢ هدم عام ١٩٨٠ مؤلف من طابقين ، فيه بلاطة كبيرة ونقوش في السقف ، وحوضة ماء بداخلها رسم لحيوان . وهو أقدم خان في ريحا ، استخدم للتجارة والبضائع .

خان القيصرية : يقع شرقي خان السوق الى الجنوب ، هدم عام ١٩٨٠ وهو مؤلف من طابقين وله مدخل صغير ، مساحته بحوالي ٨٠٠ م٢ خصص للمسافرين والتجار .

خان البازار : وهو أحدث الخانات ويقع الى الغرب ، ذو مدخلين جنوبي وشرقي ، مصلب فوق مصلب وله طابق أرضي .

وأما الحمام التي ذكرها رحالتنا فهي الحمام الفوقانية التي ازيلت في الستينات ، واقعة جنوب غرب الجامع الكبير ، فيها مستودع أرضي كالمغارة منقورة في الصخر ، طول ممرها ٢٠ـ٢٥م وتتسع لتخزين وقود عام كامل ، وبابها من الشمال الى الشرق ، طول بوابتها خمسة أمتار متصلة بالباب الشمالي ، وأما الباب الشرقي فيؤدي الى باحة الحمام (البرائي) التي تحيط بها أربعة مصاطب ، احداها للمعلم وترتفع مترا عن الارض ، وتقدر مساحة الباحة بـ ١٠٠ م٢ ، يتوسطها بركة ماء ، وعلى اطراف المصاطب الشمالية والغربية (ليوان) لكل منها ، يستعمل لنشر المناشف أيام الشتاء ، ومن ثم تتجه شرقا بممر عرضه مترا واحدا وطوله ثمانية أمتار ، الى الوسطاني وبابه للشرق ، وتقدر مساحة الوسطاني بـ ٣٠ م٢ ، بناؤه مصلب يتوسطه بركة صغيرة تسمى

(الفستقية) ، تعلوه قبة تنار بفتحات داخل القبة تسمى (قمرية) وتغطى الفتحات بالبلور ، كما أن فيه مصاطب من جميع الجهات في الجهة الشرقية من الوسطاني ليوان ٢ × ٣ م بناؤه غمس (طي) ثم نتجه الى باب الحرارة بدهليز (الموصل الى الجواني) واتجاه الباب جنوب غرب ، وفي الدهليز مصطبة للجلوس عليها ، وبناؤه طي ، وعليه قبة صغيرة ، ثم ندخل الى الجواني ، المؤلف من أربع ليوانات وثلاث غرف صغيرة (خلوات) تحيط بفسحة طولها ٨ م وعرضها ٥ م ، وتغطي الجواني قبة ، كما ان لكل خلوة قبة للانارة ، وخلف بناء الحمام خزان ماء يُجمع ماؤه من العين الكبيرة الواقعة جنوبه وتسمى (المصنع) تغذى بأقنية رومانية فخارية قطرها ١٥ سم ويروي الاهالي أن حمام السوق أجمل الحمامات ، وان اقدم الحمامات الحمام الوسطاني ، هذا وقد كان لهذه البلدة شهرتها الزراعية المميزة ، حيث كانت تعتمد على زراعة الكرمة التي انتشرت في جبل الزاوية منذ القديم ، ولكن كما لاحظنا بدأ يقل أستثمار أشجار الكرمة هذه ، وراح يحل محلها أشجار الكرز والوشنة .

١٧٣٨ ـ بوكوك Pococke :

الاسقف الانكليزي كتب بعد مغادرته سرمين يقول بعد الظهر سافرنا حوالي ثلاثة فراسخ غربا الى ريح Reah وهي قرية كبيرة ، تقع في السفح الشمالي ، خلف التلال الممتدة بمعظمها من هذا المكان الى حماه ، حوالي هذه القرية ومعظم القرى الاخرى المجاورة تنتشر زراعة اشجار الزيتون ، ومنه يصنعون نوعا متقدما ووافرا من الصابون ، ليرسلوه الى بلاد العجم ، كما ان نوعيته كنوعية الصابون المصنوع في طرابلس ودمشق ، صعدنا الجبل جنوبا ، وعبرنا بقرب عدة مغاور ، حيث وجدنا الكثير من بقايا الكتابات اليونانية المنقوشة والمشوهة ، والتي تحتوي أسماء الناس المدفونين هناك استرعى انتباهي كذلك ، تلك القنطرة القديمة والجميلة القائمة فوق الينبوع ، وبعد ان قطعنا ثلاثة أرباع الطريق فوق التل ، وصلنا الى النقطة المطلوبة حيث يوجد الينبوع ٠٠ كل شيء

اعد هنا بما فيه الكفاية ، لاولئك الذين يأتون لمتعتهم وسرورهم كما شاهدنا في هذا المكان (آغا ريح) وشربنا معه القهوة ثم جلسنا في خيمة منصوبة لنمضي فيها ليلتنا بكاملها ، ولعل الآغا يجد تسليته في هذا المكان بالاستماع للموسيقا ، وكنت على يقين بأنهم كانوا مؤدبين جدا ، اذ لم يبدأوا عزف موسيقاهم ، الا بعد أن وجدونا نائمين ، وهذا ماجعلنا نعتقد ، بأنهم لم يرغبوا ازعاجنا ومضايقتنا وتعكير صفو مسائنا[٢٤] .

نستطيع ان نلخص ما اورده بوكوك عن ريحا ومايجاورها عام ١٧٣٨ م بما يلي :

أولا ـ الواقع الاقتصادي :

كان متقدما تقدما جعل من البضائع التي تنتجها البلدة تضاهي في جودتها وكثرتها ، بضائع دمشق وطرابلس ، وخاصة صناعة الصابون التي كانت منتشرة فيها ، وفيما يجاورها كادلب وسرمين ومرتين، حتى انها كانت تصدر الى بلاد فارس ـ ايران ـ . وقد ذكر الباحث الالماني ڤيفرث (كانت ريحا بالاضافة الى سرمين من المراكز القديمة في التجارة وانتاج الزيتون وصناعته القائمة عليها ، الى ان نافستهما ادلب ، وخاصة في القرن التاسع عشر)[٢٥] ان دل هذا على شيء ، فانما يشير بدلالة قاطعة الى ان الواقع الاقتصادي ، وجودة بضائع المنطقة ، جعلت اسواق بلاد العجم تطلب هذه البضائع ، وقد ذكر الرحالة بوركها رد فيما بعد وجود مصبنتين كبيرتين وسوق تجاري عامر في ريحا عام ١٨١٢ ، بالاضافة الى الرحالة الاخرين .

ثانيا ـ الواقع الاجتماعي :

لن يكون الواقع الاجتماعي هادئا وبهيجا ، ان لم يكن الواقع

---

(24) P, D : P , 146

(25) E , WIRTH , SYRIEN , EINE GEOGRAPHISCHE DARMSTADT , 1971 , W , GERMANY , P , 376 ,

كما ذكر عدد سكانها بـ /١٥/ ألف نسمة وهي مصيف جميل بالنسبة للحلبيين متوسطي الدخل .

الاقتصادي سليما، والاول يتبع الثاني وليس العكس، وكما ذكرنا فان اهالي ريحا يقصدون الينبوع الكائن في الجبل، وقنطرته القديمة والجميلة، ليمتعوا انفسهم .. ولكن لم يعد لهذا الينبوع أو هذه القنطرة وجود فهي دارسة وللاسف !! (راجع نص كوارنسيز وبوركهارد عن الينبوع) ولم يكن الذهاب الى الجبل للمتعة والسرور قاصرا على اهالي ريحا، بل شمل كذلك الحكام انفسهم، فـ «آغا» ريحا يمضي أوقاته هناك ويشرب القهوة، وتعزف له الموسيقا، وهذا لعمرى نادرا في بقاع اخرى في القطر العربي السوري، في ذاك الزمان .. فهل نولي هذه البقعة اهتمامنا، كما كان اجدادنا يولونها اهتمامهم ! .. حتى انهم في سرورهم وافراحهم هناك كانوا لايزعجون الاخرين[٢٦] وقد كانت الموسيقا شائعة في المنطقة منذ القرن الاول الميلادي كما سنبحث في قرية فركيا، حيث يوجد مدفن نقشت عليه رسوم جوقة موسيقية.

ثالثا ـ الواقع الحضاري :

كانت ريحا مركز تقاطع طرق، بين عدة مواقع حضارية في المنطقة من بداما الى قنسرين ومن البارا وسرجلا وكفر لاثا والمعرة وخاصة انطاكيا ـ أفاميا وكما ذكر الرحالة طومسون ـ ١٨٤٦ ـ لدى زيارته لها : ان ريحا محطة كبيرة للطريق الواصل بين حماه وحلب[٢٧]. كل هذا أهلها لان يكون فيها بعض الخرائب الاثرية، والتي شاهد بوكوك مابقي منها. ان هذه الكتابات اليونانية المشاهدة أمام كل صاعد للجبل والينبوع وقنطرته، تشير الى قدم استيطان الانسان الحضاري في منطقتنا واهتمامه بهذه المعالم، والكتابات حفظت لنا من قبل الرحالة بوكوك الذي نقلها الينا والمذكورة

---

٢٦ ـ بقدر ما كنت طبيعة ريحا جميلة، فقد كان سكانها أصحاب دعابة وسرور. اذ ورد في وثيقة تعود لعام ١٠٧٣ هـ/١٦٦٢ م الى وجود بيت قهوة في قصبة أريحا ملك المفتي محمد أفندي. راجع سجلات المحكمة الشرعية بحلب. سجل رقم ٢٨ ص ٤٣٣. ذكرت انها من مخلفات المفتي التي تركها لولده.

(27) R, E - P, 1062,

في مطلع البحث، ولكنها لم تعد مشاهدة الان ، وأما القنطرة فنرجح انها تعود «للعهد الروماني» ـ كمعظم الينابيع المقنطرة ـ اذعرف «هذا العهد» اهتمامه بالمياه ، وجر القنـوات ، ورصف الطرق وتوسيع شبكة المواصلات .

رابعا ـ الواقع السياسي :

خلال زيارته أطلق على حاكمها كلمة (آغا) وهي في التركية العثمانية تنطق عادة (آئا) ومعناها (الرئيس) و (السيد) وتدل في بعض الاحيان على (مالك الارض) وكذلك تطلق على شيخ القرية (كوى آغاسي) ولها معان عدة ، ولكنها تطلق كذلك على اشخاص كثيرين متفاوتي الشأن في خدمة الحكومـة ، وغالبيتهم يشغلون وظائف ذات صبغة عسكرية . ولما ابطل نظام الانكشارية عام ١٨٢٦ ، أنشأ السلطان محمود الثاني (العساكر المنصورة) وجرت العادة بأن يلقب بلقب «آغـا» الضباط الاميـون حتى رتبـة القائمقام . ونستدل كذلك أن بلـدة ريحـا كانت وقت مروره قضاء ، وذكرنا هذا بمطلع البحث وقبل متابعة بوكوك وهـو يشاهد متنزه ريحا المطل عليها ، ويمضي ليلة هنيئة ، متمتعا بأحلام الشرق الساحر ، نقف عند كلمته ريح ولعله اسمها الشعبي، وكما كتبها كذلك من قبله جلبي ـ ١٦٧١ ـ ثلاث مرات ريحى ـ راحات ـ ريحا ، ومن ثم نيبور ١٧٦٦ راحا RAHA وكما لقرية كفر لاثا اسم شعبي آخر تل لاته وسابقا كتلاتا ، وهذا امر متعارف عليه لدى سكان المنطقة ، لكننا نؤكد بان اسم ريحا لم يتبدل عبر الزمن باستثناء بلدة رويحا وهي تصغير لكلمة ريحا ، فريحـا الكبرى هي الحالية ، وريحا الصغرى الاخرى الواقعة الى الشرق ـ جنوب شرق الحالية كما كانت ادلب الصغرى وهي القائمة الان ، وتقابلها ادلب الكبرى الداثرة الى الشمال من الحالية .

١٨٠٩ ـ كورانسير :

الفرنسي حدثنا عنها بقوله : تقع ريحا RIHA في سفح جبلي، تحيطها أشجار السنديان الخضر ، التي تتميز بها سورية ، مما

يضفي عليها منظرا خلابا ، وللاعلى منها قرية الاربعين المشهورة بنقاء الهواء ، وطيب المياه ، في مدخل ريحا عين ماء مغطاة بقوس، مبني بحجارة قديمة جدا ، وبقرب أشجار الزيتـون المزروعـة حواليها ، تجد كروم العنب الكثيرة ، والتي تشحن الى حلب والمناطق المجاورة ، اذ يستخرج المسيحيون منه خمرا عسير الهضم ، ولكنه ذو مذاق طيب ، وفي اسفل الجبال يزرع القمح والشعير(٢٨) قصد الرحالة كوارنسيز تلك الآبدة الرومانية الضخمة ، والمقنطرة ، والتي تغطي نبعا قديما ، في طريقك الى جبل الاربعين ـ والتي ذكرها بوكوك فيما قبل ـ يطلق الاهالي عليها العين الكبيرة ، في داخلها ساقية منقورة بالحجر، وبجانبها أخرى تدعى العين الصغيرة، تجري مياهها شتاء ، ذكرها بوركهارد ـ ١٨١٢ ـ وهو عائد من كفر لاثا الى ريحا بقوله كان قد بني متنزه صيفي في القرن الماضي ـ أي القرن الثامن عشر ـ تماما فوق البلدة ، ولكنه مهجور الان ومع ذلك فهي نقطة جميلة جدا ، محاطة بأشجار الفاكهـة من جميع الانواع ، مع نبع غزير ، ويبدو المنظر خلابا فوق سهول ادلب وحلب»(٢٩) .

وأما النبع المتدفق من تحت الصخر ، والذي يصب في مواجهة البناء ، داخل حوض واسع ، ليسيل منه الى ريحا .. والنبع الغزير يدعى المنبوع ومحاط ببناء مربع الشكل ، ذكره الرحالة برجرن ـ ١٨٤٤ ـ باسم المنبوعة وحولها العديد من الكهوف المنقورة في الصخر(٣٠) وقبل القنيطرة كان هناك جسر العين ، اتخذه الفرنسيون في الثلاثينات كحمام ، وقد كانت العين الصغيرة تسير ما يقارب مائة متر بالداخل ، فيها مصاطب وخزانات ، والعين الكبيرة ، كانت من أهم مصادر مياه البلدة قبل ايصال مياه نبع عري اليها .

---

(28) C - I - P - 37 , (29) B - T - P - 125 , (30) B - G - P, 475 ,

وأما قرية الاربعين فهي متنزه جبل الاربعين الواقعة فيه مغارة الاربعين ، والمسمى الجزء الشمالي من جبل الزاوية باسمها وتحدث عنها الرحالة المتأخرين .

١٨١٢ – بوركهارد :

الانكليزي بعد زيارته ادلب ، اتجه الى ريحا مارا بقرية تدعى مسطومة ·· كتب يقول «وفي ساعتين وأربعين دقيقة وصلنا ريحا . لكن قبل دخولنا اليها ، داخلتنا خشية من المتمرد سعيد آغا الذي يحتلها ، في ريحا حوالي أربعمائة أو خمسمائة منزل ، ذات سوق دائم مزدهر ، وفيها كذلك مصبنتان كبيرتان ·

تقع ريحا في المنحدر الشمالي لجبل (الاربعين) وتعود لاشراف حكومة حلب ، ولكن منذ طرد (محمد باشا) أصبحت تحت ملكية (سعيد آغا) وهو بالتالي الحاكم لكل جبل ريحا والذي يشكل جبل الاربعين قسما منه . يعتبر هذا الرجل زعيم . ذلك النوع من الفرسان الذي يطلق الترك عليه اسم (دالاتية) وتحت تصرفه حوالي ثلاثمائة منهم . تعاونوا مع بعض بالاشتراك مع حوالي مائة أرناؤوطي[٣١] ، وعموما برزت أهميتهم بارتباطهم مع (طبّل على) زعيم الدالاتية في جسر شغر والذي يملك تحت أمرته حوالي الستمائة ، ومع (ميلي اسماعيل) وهو كذلك متزعم آخر والآمر في قلعة المضيق · واذا لم يتمكن الباب العالي من ايجاد وسيلة لتمزيق شمل هؤلاء المتمردين الثلاث، فهناك احتمال ضعيف للحد من سلطتهم وتمزيق شملهم . وهم في الوقت الحاضر المتحكمون في جميع الاراضي من ادلب الى حماه..[٣٢]» نعود ونذكر القارىء ان بوركهارد عارف باللغة العربية ، مطلع على واقع المجتمعات العربية ، فهو يماثل فولني الفرنسي ، وان كان الاخير اصغر منه سنا وأعمق تحليلا .

---

(٣١) الارناؤوط : هم الذين جاؤوا من البانيا ·

(32) B, T, P, 125 ,

بعد مضي حوالي الثلاثة ارباع القرن على زيارة بوكوك ، نجد واقعا جديدا في ريحا ، حيث تعرضت للاضطراب السياسي وعدم الاستقرار ، لان المتمرد (سعيد آغا) ، احتلها وطرد حاكمها (محمد باشا) . بل ان سيطرته امتدت الى كل جبل ريحا ، بفضل تعاونه مع الارناؤوطيين . تمركز طبّل علي في جسر الشغر وتعاون مع زعيم آخر في قلعة المضيق ، والاثنان (سعيد آغا وطبّل علي) حاولا التدخل ـ كما ذكرنا في بحثنا عن ادلب في شؤون بلدة ادلب الداخلية ، فأزاحا عن رياسة المدينة «محمد بن أياش» لينصبا مكانه «أبوشاه» أخ طبل علي ، وأعادا الى ادلب آل جحا بعد أن هاجروا من ادلب الى ريحا ، نتيجة شجار قاتل مع آل عياش ، سببه لعبة الجريد[٣٣] . ورغم أن حكومة استنبول في الباب العالي كانت راغبة بتفريقهم ، فقد كانت كما يبدو مغلوبة على أمرها هذه المرة . وهذا ما حدث بعد ذلك بأربع سنوات . وحقيقة الصراع وامتداده مما يطول شرحه ، فاصل الامر نزاع بين الاعراب الموالي والعنزة[٣٤] كما ذكروا لبول في رحلته ، ولتفصيل ذلك راجع فصل الفصول ، وقد ذكر بوركهارد فيما بعد ان القسم الاكبر من قرى الجبل ـ باستثناء البارا وكفر لاثا ـ حيث ذكر تبعيتهما من الناحية الاقطاعية ـ يتحكم بهم دلي باشا بفرسانه الذين يطلق عليهم اسم (دالاتية) وقد بلغ من شدة تحكم هؤلاء في المناطق الاخرى أن أحد زعمائهم المسمى (علي آغا رستم) اختطف عام ١٨١٦ قنصلي بريطانيا وفرنسا واحتجزهما ، وقد بدأ نفوذ الدالاتية في المنطقة قبل وصول الرحالة بثلاث سنوات ، اذ ذكر الرحالة الفرنسي كورانسير ـ ١٨٠٩ ـ ان مرافقيه خافوا دخول سرمين لوجود الدالاتية فيها وقالوا : الافضل لو ذهبنا الى ريحا ، وكان هذا يشكل ألما لسرمين ، فالمسافر يخشى العساكر الذين كان

---

٣٣ ـ الرحالة ج ١ ـ ص ٦٧ .

٣٤ ـ الموالي : من العرب القحطانيين . منهم ال حيار في انحاء المعرة . وأغلبية سكان ناحية سنجار في منطقة المعرة من الموالي ، وكذلك بعض قرى جبل الزاوية كأنب ودير سنبل والعنزة : من أكبر قبائل العرب . منازلهم من الحجاز الى بادية الشام . يقيمون صيفا في حدود حلب وجبال شمَّر شرقي الفرات . عن القبائل والسكان راجع فصل الفصول ـ الواقع السكاني

ينبغي عليهم حمايته[٣٥] وأما الدالاتية فهم جماعة الجند الخاص الذين يستأجرهم الحكام والولاة المحليون في بلاد الشام، وقد كثر عددهم وأزداد نفوذهم في القرن الثامن عشر. وعرفوا باسم (الدالاتية) ومفردها دالاتي مشتقة من كلمة Deli التركية ـ وتعني الاحمق أو المجنون، جندوا من اجناس مختلفة، ترك وكروات وبوسنيين وصربيين، وكانت هذه التجمعات تبحث عمن يستأجرها، مقابل المال، وعرف قائدهم بدلي باشا، ولهم في دمشق خان خاص بهم يعرف باسمهم[٣٦].

وللمزيد من المعلومات عن هذا الواقع السياسي، راجع بحثنا عن جسر الشغر، وكما ذكر الرحالة بوركهارد فقد كانت ريحا من الناحية الادارية تابعة لحلب، وأما واقعها الاقتصادي فجيد، كانت السوق الدائمية تشمل سوقا للتجار وآخر للنجارين والقصابين، أما المصبنتان الكبيرتان لم يعد لهما وجود، احداهما كانت في الجهة الغربية، كما ذكرت وثيقة تعود لعام ١٠٨٥ هـ أنه تم تسليم زيت بمصبنة أريحا الغربية[٣٧] بينما سالنامة عام ١٣١٩ هـ ـ ١٩٠١ م ذكرت وجود مصبنة واحدة فيها و ١٥ معصرة زيت، وقد كانت، تزود ادلب بخضرواتها كما سبق وذكرنا في الفصل الاول، كل هذا يشير الى أهمية البلدة كسوق وسيط لدى قرى جبل ريحا، والمنطقة بكاملها.

١٨٤٦ ـ طومسون: الامريكي لم يتوقف في ريحا الا قليلا، حيث يعيش نصراني واحد، وقد أعطاه رسالة التوصية التي بحوزته، وبعدها صعد مباشرة الى القمة الشديدة الانحدار من

---

35 -- C - I - P - 33

٣٦ ـ الخالدي ـ الصفدي ـ تاريخ الامير فخر الدين ص ٢٤٨ بيروت ١٩٦٩
د. رافق عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ص ٨٠.
الحمود نوفان : العسكر في بلاد الشام ص ٦٢ بيروت ١٩٨١.

٣٧ ـ سجلات المحكمة الشرعية بحلب رقم السجل ٣٢ ص ٤٠٩ وثيقة تاريخ ١٧ جمادي الاخرة سنة ١٠٨٥ هـ.

الجهة الجنوبية ، أنعشته نسمات الهواء العليل ، والماء العذب الصافي من النبع ، كما سره منظر الاشجار الوارفة الظلال في الاسفل ، بخضرتها ونضارتها الرائعة ، وثمارها اللذيذة . وكان كل ما هناك ينسجم انسجاما كاملا مع المشهد العظيم لهذه الطبيعة الخلابة الممتدة أمامه . والى الشمال تماما يمتد جبل الاعلى ، وفي الطرف الغربي منه يشمخ جبل كاشيوس العظيم ، متعاليا في السماء الزرقاء . أما جبل القديس سمعان فعلى مسافة بعيدة جدا الى الشمال ، وباتجاه الشرق ، وما بين ذلك تمتد السهول المترامية ، والتي لايحصرها النظر ، من الغرب وحتى الافق البعيد شرقا الى الفرات . وفي ريحا ثلاثة آلاف نسمة .. ولعل ما أورده طومسون من وصف لآثار هذه النواحي ، يؤكد بأن هذه المدينة تعود الى الزمن الروماني والاغريقي وأنها كانت في ذاك الوقت ، لا تقل أهمية عما هي عليه الان ، وكل المنطقة كانت آهلة بالسكان[٣٨] .

١٨٤٨ ـ سمث : الامريكي وجد في ريحا ثلاث عائلات نصرانية وكذلك مصبنتين[٣٩] .

١٨٥٠ ـ والبول : الانكليزي كتب يصف ريحا بقوله : تقع البلدة الحالية ريحا في المنحد رالغربي للجبل الذي تمتد في سفحه أراضي الزيتون والبساتين ، أحرقت ريحا عام ١٨١٢ من قبل باشا حلب ، وبامكان القول من قبل الزعيم الذي جعل من نفسه باشا (وغالبا ما يلقى التمرد الناجح القبول من الباب العالي) ومع ذلك فهي تبدو ذات موقع نزه جميل . ويتجه الطريق منها منحدرا الى سهل ادلب ، بارتفاع مواز الى الشرق[٤٠] » قصد الرحالة بجبل كاشيوس جبل الاقرع ، أذ كان يسمى في العصر اليوناني ـ الروماني كاشيوس . واما النصارى في ريحا فقد كان لهم كيانهم الخاص بهم ، وحرفتهم الرئيسية (الصياغة) التي اتقنوها ، ذكر ذلك الرحالة غاريت ـ ١٩٠٠ ـ

---

38 - R - E - P 1062 39 - R - E - P 1055

بقوله (زرنا ريحا والتقينا بكثير من المواطنين افرادا ومجموعات، من القائمقام الى أقل الناس شأنا من كلا الجنسين ، وأما الصياغ فيشكلون مجموعة واحدة ، ويبدو ان هذه الحرفة يختص بها النصارى في ريحا[41] » ولم يبق اليوم ـ ٨٦ ـ في ريحا غير /٤٣/ نصرانيا وحول حرق ريحا ـ أي واقعها السياسي تحدثنا عنه سابقا في رحلة بوركهارد وما آلت اليه البلدة عام ١٨١٢ ـ وما بعد .

١٨٨٨ ـ يوليان : الفرنسي وصفها بقوله «تبدو ريحا في سفح الجبل ، بأزقتها المبلطة بالاحجار ، وبيوتها ذات البناء الجيد ، وفي ساحتها الصغيرة نبع عين صافية وغزيرة ، كل هذا يدفع المرء للتفكير بالقرى الكبيرة في جبال فرنسا[42] » شبه الرحالة بلدة ريحا بقرى فرنسا ، نظرا لما تمتعت به من شهرة كمنتزه جميل ، وللتشابه بينهما ، بالعمران المتقدم والازقة المبلطة الموصوفة بالاحجار ، وأما الساحة الصغيرة فهي ساحة السوق ، فيها العين المسماة بالقسطل والعائدة للعهد الروماني ، والتي ازيلت منذ ربع قرن ، وقسطل السوق هذا كا نواقعا بجانب خان السوق ، واجهته الى الجنوب وكان هناك ثلاثة قساطل أخرى أزيلت جميعها لشح المياه .

١٩٣٢ ـ أحمد زكريا : ريحا وهي بليدة جميلة نزهة في سفح جبل الاربعين تعلو عن سطح البحر ٤٥٠ مترا ، عدد سكانها ٦٠٠٠ مسلمون ، وهي قاعدة ناحية تشمل كل جبل الزاوية وسهل الروج ، وفيها مساجد عديدة وسوق كبير وازقة مبلطة وحوانيت ودور حجرية جميلة ، وشرب اهلها من صهاريج يحرز فيها ماء المطر وتنحدر اليها قناة صغيرة من جبل الاربعين ، واسم هذا الجبل من مقام فيه يعرف بمقام الاربعين ، وهو صحيح الهواء طيب الماء ، ذو مناظر رائعة تشرف على سهول ادلب الشاسعة الحمر اء المزدانة بغابات الزيتون الخضراء ، وينمو في هذا الجبل

---

40 - W - T - V 3 - P - 206 41 - A - A - E - S,1 - 59 42 - J - S - P- 284

كثير من الاشجار المثمرة عذيا اخصها الكرز والويشنة والكمثري والتفاح والتين والعنب واللوز والجوز ، وهو من احسن اماكن الاصطياف في ديار حلب لو بنيت فيه دور وفنادق صالحة لذلك (٤٣) .

١٩٤٧ ـ البستاني : وصفها هذ الرحالة العربي بقوله فقرية ريحا الجاثمة على ارتفاع ٨٥٠ م فوق سطح البحر ، الظاهرة من خير مناطق الاصطياف في تلك الناحية ، لا تبعد عن حلب سوى ثمانين كم ، يقصدها بعض المصطافين من منطقة حلب وجنوبها حتى المعرة وحماه ، اذ يصعب عليهم الوصول الى مصايف لبنان ، وقديما قال المثل الفرنسي «من فاتته السماني استعاض بالشحارير» ويتوالى الاخضرار من حول ريحا وجوارها الى قرية مسطومة .. » (٤٤) ،

ذكر هذان الرحالان ارتفاع ريحا بشكل تقريبي ولكن ارتفاعها الواقعي /٥٧٧/م. وهي فعلا من خير مناطق الاصطياف في المحافظة ، بالاضافة الى منطقة جسر الشغر . وقد تغنى بها الشاعر محمد بشير سالم من أبنائها فأنشد :

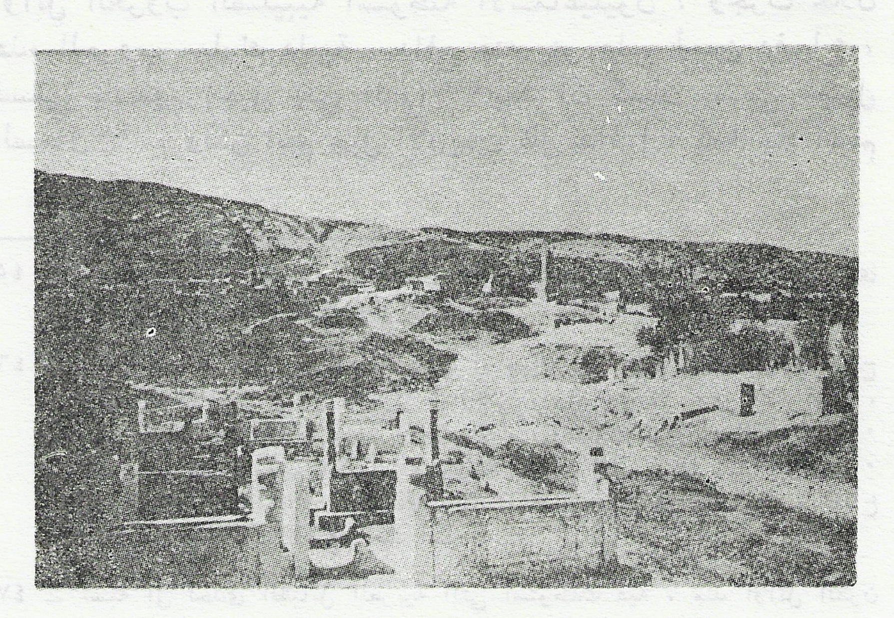
أريحا جنة تسمو رباها ... وطير الانس يصدح في سماها
مغاني لاتراها في الاماني ... ولكن في أريحا قد تراها
حباها الله ما شاءت جمالا ... ففاخرت الجنان بما حباها
بها ما شئت من كرز لذيذ ... ذكي الطعم منبته ثراها
تراع لحسن منظره الغواني ... وتأمل أن يضم الى حلاها
مغاني لا تراها في الاماني ... ولكن في أريحا قد تراها

وفي النصف الاول من هذا القرن كان المسافر الذي يمر بريحا في طريقه من لاذقية ـ ادلب ـ حلب ، ينتبه ولا شك الى المنازل والقبور الاسلامية الواقعة في الجهة الشمالية ، والمطلية

---

٤٣ ـ ز ٠ ج ـ ص ١٢٦ ٠ ‏ ٤٤ ـ ب ٠ خ ـ ص ١٢ ٠

بلون ازرق فاتح لامع ، فيثيره ذلك المشهد المؤثر والمثير في وقت واحد ، ولكن العمران الحديث ازال مثل هذه المقابر التي كانت في مدخل البلدة ، لتحل مكانها الحدائق والشوارع العريضة والابنية الحديثة . كما كانت ريحا شهيرة في مطلع القرن بصنع الحصر والمحمصات ـ الموالح ،ولم يبق فيها غير الثانية، بالاضافة الى زراعة الوشنه والكرز ، التي تحيط بها كما يحيط السوار بالمعصم .



٨ ـ ريحا ـ عام ١٩٢٧ المدخل الشمالي

جبل الاربعين : هو القسم الشمالي من جبل الزاوية أو جبل ريحا ارتفاعه ٨٧٧ م . أهم قراه ومزارعه كفر لاثا ـ بزابور ـ

ابنبه ـ نحلة ـ بقللى ـ ترعان ـ سرجة[٤٥] ـ شنان ـ بسرفوث[٤٦].
وهو اجمل منطقة في جبل الزاوية هواء وماء وخضرة وأشجارا مثمرة ، له اطلالة جميلة على عدة مناطق هامة ، في الشمال الشرقي سهول قنسرين ، وفي الشمال سهول ادلب ، تليها جبال الاعلى وباريشا وسمعان ، والى الغرب سهل الروج وجبلي القصير والاقرع ، وفي العهد الروماني كان جبل الاربعين تابعا لسوريا الاولى وعاصمتها انطاكيا ، وفي العهد الاسلامي لقنسرين وفي أوائل الحروب الصليبية استوطنه الاسماعيليون ، وجرت خلال هذه الحروب معارك دامية ، دافع عنه بنو عليم أحسن دفاع ، فسمي باسمهم (جبل بني عليم)[٤٧] بعد ان كان يسمى جبل السماق[٤٨] ، ولكن اسم جبل الاربعين ظل سائدا ، كما ساد اسم

---

٤٥ ـ سرجة تقع الى الجنوب من ريحا بـ ١٢ كم عرفها ياقوت : قرية من قرى حلب • ويقال لها سرجة بني عليم •

٤٦ ـ بَسر°فَوث : حصن من اعمال حلب في جبال بني عليم ، له ذكر في فتوح الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، وقد خرب ، وهو الان قرية ، وهو بالتحريك وسكون الراء ، وضم الفاء ، وسكون الواو ، والثاء المثلثة • انظر ياقوت • معجم البلدان وخريطة المواقع الاثرية في جبل الزاوية • يقع شمال قرية شنان • ولدى زيارتنا له وجدنا خرابة يقلع لتباع أحجاره ! وسنعود اليه في بحث اخر •

٤٧ ـ نسبة الى احدى القبائل العربية التي استوطنت فيه ، منذ أوائل القرن الخامس الهجري • عليم بطن من باهلة ، وهو عليم بن عدي بن عمرو بن معن • وهم من العرب القحطانيين • (انظر تاج العروس مادة علم) و (نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ص ٣٦٩ القاهرة ١٩٥٩) ومعجم قبائل العرب ج ٢ ص ٨١٩ بيروت ١٩٦٨ • وقد انقرضت هذه القبيلة ؟

٤٨ ـ جبل السماق : نسبة الى شجر السماق ، وهو شجر يقارب الرمان ، ثمره شديد الحموضة ، واحدته سُماقة (انظر معجم الالفاظ الزراعية للامير مصطفى الشهابي ص ٥١٣) • وقد تحدث الكثير عنه • عرفه ياقوت «جبل السُماق :بلفظ السماق الذي يطبخ به : هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية ، يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع ، عامتها للاسماعيلية ، وأكثرهم في طاعة صاحب حلب ، وفيه بساتين ومزارع كلها عذي ، والمياه الجارية به قليلة الا ما كان من عيون ليست بالكثيرة في مواضع مخصوصة

جبل الزاوية على غيره من الاسماء ، وتعود تسميته بجبل الاربعين الى وجود اربعين قديسا في المراحل الاولى لتنصر ابناء المنطقة ، وقد كانت السلطات تلاحقهم ، وخاصة في عهد الامبراطور يوليانس الجاحد[49] عام ٣٦١ م ، اذ اضطهد النصارى كثيرا

ولذلك تنبت فيه جميع أشجار الفواكه وغيرها حتى المشمش والقطن والسمسم وغير ذلك ، وقيل انه سمى بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق وقد ذكره شاعر حلبي عصري يقال له عيسى بن سعدان ، ولم ادركه فقال

ضفائر ذاك الفاحم الرّجِلِ — عهدي بها في رواق الصبح لامعة

حييت ياجبل السماق من جبل — وقولها شعاع الشمس منخرط

كما عرفه فيما بعد البغدادي بذات التعريف ، بينما القزويني أضاف «من عجائبه أنه ذو بساتين ومزارع كلها عذي ، فينبت جميع الفواكه والحبوب في الحسن والطراوة كالمسقوي حتى المشمش والقطن والسمسم» وفي رواية أخرى في كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات «أن فيه بساتين ومزارع ومياها عذبة، فتنبت الحبوب والفواكه في الحسن والطراوة كالمشقوق حتى المشمش والقطن والسمسم انظر البغدادي «مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ـ القاهرة ١٩٥٤ ج ١ ص ٣١١ والقزويني «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» بيروت ١٩٧٢ ص ٢١٠ واثار البلاد وأخبار العباد ص ٢٠٧ . وأما «الاسماعيلية» فسيرد ذكرهم في فصل الفصول ـ الواقع الفكري .
وذكر الرحالة شيخ الربوة ٧٢٧ هـ جبل السماق وسرمين واقعة في طرفه وهو من أعمل الارض وأعملها فلاحا فلاحا من رآه ورأى الاندلس لم يفرق بين فلاحتها وفلاحة الاندلس . الرحالة ج ١ ص ٣٨ . ويطلق اسم جبل السماق على جبل الاعلى . ومازال دروز لبنان المسنين يطلقون على جبل الاعلى جبل السماق . راجع فصل الفصول الواقع الطبيعي .

٤٩ ـ Julianus يوليانس الجاحد (٣٣١ ـ ٣٦٣) ولد في القسطنطينية ابن أخت قسطنطين الاول . امبراطور روما عام ٣٦١ . أحب العلوم والاداب القديمة ، فتنكر للنصرانية وفارقها ، فلقب بالجاحد . قال حمزة الاصفهاني : وغزا العراق في ملك شابور بن أردشير ، فقتل بالعراق . وتأثيره الفكري في المنطقة بين ، اذ نزل انطاكيا ووزر له ثامسطيوس شارح كتب ارسطو . سيرد ذكره في بحثنا عن قلعة الحصن في جبل الدويلي . وفي فصل الفصول ـ الواقع الفكري . انظر عنه كتب التاريخ الروماني ـ البيزنطي وقصة الحضارة لول ديورانت المجلد /١٢ ـ ص ٣٢/ ونصوص فلسفية للدكتور عثمان أمين . ـ القاهرة ١٩٧٦ ـ ص ١٦٨ ـ

وحاول اعادة عبادة الوثنية في المحافظة ، كما فعل من قبله امبراطور روما (نوميريانس) الذي أمر عام ٢٨٤ م بمطاردة كل من دعا الى النصرانية ، واكراهه بالعودة الى الوثنية ، وهكذا وهكذا بالامكان القول ، لجأ النصارى الى الاماكن المرتفعة ، وعقدوا مجالسهم في الكهوف المظلمة يتعبدون ، ومنها هذه المغارة التي زارها الرحالة الامريكي طومسون ـ ١٨٤٦ ـ وأجرى دراسة عنها برفقة نصرانيين من ريحا وذكر أن هؤلاء القديسين أصلهم من نصارى ريحا ، قدلجأوا الى هذه المغارة خوفا على حياتهم وأمانا لتعبدهم ٠وذكر انه وجدها مكسوة من الداخل بالزخارف الجبصينية ، وعليها الاقوال العربية المأثورة من القرآن الكريم ، ولكن من العسير قراءة الكثير منها بسبب سقوط الغلاف الجبصيني عن الجدران . وهذا يعني أن هذه الكهوف قد آلت في يوم ما الى المسلمين ٠ واذن فان أصل التسمية أن أربعين شخصا من القديسين، قد سكنوا مغارة هذا الجبل ، فسمي جبل الاربعين(٥٠) كما سبق طومسون رحالة دانمركي يدعى (نيبور) ـ ١٧٦٦ ـ وأراد زيارة المغارة وجاء الى مدخلها ، فشاهدها طويلة وشديدة الظلمة ، ولها عدة سراديب ، وهي عبارة عن مغارة طبيعية ، وقد تحول مدخلها منذ عشرة اعوام الى مسجد بمئذنة صغيرة ، دعي «مسجد الاربعين» تخليدا لذكراهم كما ذكر الرحالة التركي جلبي ـ ١٦٧١ ـ (يقع قرب ريحا مقام الاربعين) وكذلك بوركهارد ـ ١٨١٢ـ وما زال السكان يروون انه سمي كذلك لوجود أربعين صالحا ، كانوا يتعبدون الله سبحانه في هذه المغارة . ولو فرضنا جدلا بوجودهم في هذا المكان ، فعدم وجود أي كتابة تشير الى صحة هذه الواقعة سواء في مدخل المغارة ، أو بداخلها ، لايلغي الرواية بل يؤكدها . فواقع المتنصرين حديثا ، يفرض عليها اخفاء حقيقة ايمانهم ، كما أن طبيعة الجبل كملجأ لهم ، وكثرة المواقع الدينية فيه ، واستمرارية شيوع الاسم في المنطقة يرجح فرضيتي

---

50 - R - E - P - 1063

هذه . فهناك نبع الاربعين في قرية نحلة ، وفي شمال غرب معرتارح القديمة[٥١] خراب ضريح شيخ محمد وجامع والذي كان سابقا كنيسة تدعى كنيسة الاربعين شهيدا[٥٢] . وفي حلب كنيسة الاربعين ملك الارمن وفي حمص كنيسة الاربعين[٥٣] .وما زالت الكنيسة الشرقية منذ العصور الاولى للنصرانية ، تحتفل بذكرى الاربعين شهيد . وهم الذين استشهدوا عام ٣٢٠ م في سيباسطة ، بلدة صغيرة من اعمال أرمينيا ، ابان حكم الامبراطور لسينيوس والوالي الروماني اغريكولا . وهم جنود تم سجنهم ، ثم القوا في مستنقع تجلدت مياهه ليموتوا بردا ، وكان السيد المسيح قد صام كذلك أربعين يوما ، وعرف عن المتنصرين الاواخر تقليدهم الاوائل ، وحذوهم في عبادتهم وسلوكهم كمثل أعلى لهم .. وطالما ان هذا التقليد ظل سائدا ، فلا بد أن يكون هناك اكثر من مجموعة أربعين شهيدا ، سواء في هذا الجبل أم في غيره ، وكما عرف في المنطقة كذلك ، أكثر من عمودي يتعبد فوق عمود ، غير سمعان العمودي (٣٨٩ ـ ٤٥٩ م)والذي سمي جبل سمعان باسمه. ونتساءل أيهما أسبق شهداء جبل ريحا أم شهداء سيباسطة ، فهذا لم تؤكده وثيقة خاصة بذلك ، وأرجح شهداء هذا الجبل عاشوا في اواخر العهد الروماني في النصف الاول من القرن الرابع .

---

٥١ ـ معر تارح : مزرعة تابعة لقرية كفر سجنة في ناحية خان شيخون ـ منطقة المعرة ـ وهي الى الشمال الغربي من خان شيخون . كانت في العصر الوسيط تابعة لبلدة كفر طاب ، ففي عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م حاصرها تاج الدولة تتش بعد أن تحصن أهلها في أبراجها ، ولما تعذرت عليه أحرقها ، وهلك جميع من كان فيها . وذكر الرحالة زكريا ـ ١٩٣٤ ـ وفي بلدة صوران التابعة لحماة قبة الشيخ أربعين ، زعموا أنها قامت مقام الاربعين شهيد ص ١٩٨ .

52 - G - B - P - 376

٥٣ ـ كما أن للرقم أربعين ذكراه الاليمة والخاصة عند النصارى والمسلمين !! وكذلك يقال ان الفراعنة كانوا يقومون بعملية التحنيط بمعالجة الجثة بالملح لتجفيفها على مدى ٤٠ يوما .. وقد توارث منذ ذلك الحين ، تقليد الاحتفال بذكرى الاربعين بعد الوفاة . كما سمي أحد أبواب حلب باب الاربعين ويعتقد بعضهم أنهم أربعين وليا وهم أوتاد الارض ، فلا تخلو منهم ، واذا مات أحدهم نصبوا آخر مكانه ، وأنهم يجتمعون في هذه المقامات وفي القاموس : الابدال : قوم يقيم الله عز وجل الارض بهم وهم سبعون ، أربعون بالشام ، وثلاثون بغيرها ، لايموت أحدهم الا قام مكانه آخر .

ومن الرحالة الذين زاروا مغارة الاربعين الانكليزي والبول Walpole ـ ١٨٥٠ ـ روى لنا بعضا من طرائفه حين حاول اكتشافها ، وخشية الاهالي دخولها ، خوفا من الجان الذين يسكنوها ؟ فقال يسرد علينا حكايته «سبق وتوقفت فيما قبل في وسط هذه الخرائب ، ورفيقي يتابع التجول معي عدة ايام ، زائرا تقريبا كل آثار جبل الاربعين » ، واصل التسمية ، كما يقال بالتواتر ، أن أربعين شخصا قد حبسوا في كهف هناك ، ولم يتمكن أحدهم من النزول ولاشك أنني بذلت جهدا اضافيا لدى عودتي ، لاكتشف الامكنة المعهودة للجان ، ولكن جميع الادلاء تركوني وهربوا ، وقيل انني قابلت المارد الشرير نفسه، والذي أعادني ثانية الى مكاني ، دخلت الكهف بنفسي مع خادمين ، وأربعة من الاهالي ، ومعنا مشاعل من شجر الصنوبر ، وقنديلين من الشمع في مصابيح ، تدرجت في مسيري ، وهم يتبعوني ، ولدى تقدمنا فقدنا ضوء النهار ، ولكن .. حدث أن وقع أحدهم ، فبدأت الخفافيش تطير حوالينا متضايقة من ضوء المصابيح ، الامر الذي دفع الادلاء والنصرانيان الى القول : كان من الخطأ الدخول اذ لايوجد فيه شيء• فأجبتهم : عودوا اذا أحببتم• رجاني خادمي السماح له بانتظاري هناك ، اذ ذلته قدمه . وتابعت مسيري مع محمود ، السائس ، الذي لايخشى شيئا وهتف «معك .. حتى الى الجحيم ! أواجه الشيطان لو تجاسر!» وحرك معوله في احدى يديه ، ومشعله في الاخرى ، ومع ذلك تقدمنا الان ببطء ، نصعد فوق الصخور ، وكنا غالبا ما نعود الى ذات المكان ، خدمنا احد المصابيح، كما يقول الملاحون ، كنقطة من بعيد . مرة اخرى اصطدمنا بالخفافيش ، وفي لحظة طار العديد منهم في مواجهتنا ، وقاومنا بكل قوتنا ، وظلت يداي متمسكتين بالمصباح ، وتحملت ما امكن ، اذ لم يكن هناك شيء سوى الصبر ، وقد أنزعجنا لدى وصولنا لسرداب جديد ، في نقطة بعد حوالي ساعة ، وفجأة صدمني شيء على صدري ، تراجعت ، ومحمود يحميني بهراوته ، وللتمكن من الهدف ضرب بعنف في الظلام ، فأصابني وتحطم المصباح على

صدري ، وانتهى مفعوله ، وسعينا والرعب يملؤنا لنعود أدراجنا الى المدخل ، ولدى وصولنا لم نعد نثق بشيء ، وقد أصيب وجهي بخدوش كبيرة من جراء تحطم زجاج المصباح ، ولما سألوا محمود أجاب انه لم يكن خائفا مما حدث ، قلت متحققا ومبديا اهتمامي بالواقعة ، بأن حجرا قذف باتجاه الخفافيش ، فارتطمت بالجدار وعادت الي ، ثم جاءت هراوة محمود ، فأتمت علي ، واسقطتني أرضا ، أضاف محمود قائلا : انه شاهد هراوة حجر حطمت المصباح وعيناه جاحظة فوقي ، حينما كنت منطرحا على الارض ، ثم تابعت اكتشافي ، ولكن ينبغي على أن اعترف بأني لم اوفق في ايجاد أي نهاية مباشرة ، وكان هذا بشكل رئيسي ، بسبب كوني متضايقا لوقوعي على سراديب متباعدة ، ووواجدا نفسي في طريق مسدود ، ويروي الاهالي ان هذه السراديب تمتد لمسير ١٧ ساعة في باطن الارض ، والكهف ذو تشكل طبيعي ، وهو استمرار للطبيعة الخاصة للصخر ، كما ان المدخل قد نحت بشكل جيد ، وهناك مغارة اخرى في قمة الجبل (٥٤) .. ولم أشعر بالخوف أو القلق أثناءاكتشافها ، كنت نوعا ما تعبا من الجولة ، ومتوقعا مثل هذه النتائج الصغيرة ، ومثل هذا العناء . وأنا كالملسوع من أفعى ، ومن مخاوفي كويت جراحي ، وتحملت عنائي ، لاعود الى البلدة أو أي مكان اجد فيه راحتي الضرورية (٥٥) وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر عرّفوا جبل الاربعين بانه جبل الى الجنوب من ادلب ، من اعمال حلب ذو مياه عذبة ، ومواقف حسنة للتنزه ، وفيه قبور كثيرة منحوتة في الصخور ، وخرائب عظيمة ، والى شماله بليدة ريحاء أو أريحا (٥٦) ، لقد أصابوا القول ،

---

٥٤ ــ هي مغارة الدره المجاورة لها • سميت بذلك لسقوط المياه من سقفها ، وكل أمرأة تشرب من هذه القطرات يدر لبنها ؟!

٥٥ ــ W - T - V 3 - P - 203 كما ذكر الرحالة ليد الانكليزي ــ ١٨٥٠ ــ أنه يدعى بجبل الاربعين ، لاشتقاقه من أسم أربعين قديسا •

٥٦ ــ البستاني : دائرة المعارف ج ٢ ــ بيروت ١٨٧٧
الخوري : سليم جبرائيل : كتاب اثار الادهار ص ٧٢ بيروت ١٨٧٥ •

فالقبور المنقورة عديدة ، وما اكثرها في جبل الاربعين وفي معظم جبل الزاوية ، ولايمكننا عرضها هنا ، ونحن في عجالة في رحلتنا ، كي نزور مواقع أخرى ، ولكن نقتصر على هذه المدافن ، بالاضافة الى التي ذكرناها في بحث ريحا · الى الجنوب ـ جنوب ـ شرق ريحا بعشرين دقيقة سيرا على الاقدام ضريح منقور في الصخر ، بواجهة شمالية ، عليه كتابة تعريبها (انجز هذا ، النقاش حنا) . وهناك ضريح آخر بحوالي خمس دقائق شمال شرق كفر لاثا ، منقور في الصخر ، وواجهته للشمال الشرقي ، مؤلف من عمودين بسيطين، وقوسة فوقها صليبان صغيران ، وصليب كبير ، وثلاثة سطور كتابية مطلية بلون جميل ، وفوق الكتابة ، ثلاثة أقراص ، القرص المركزي هو الاصل والحاوي على صليب يتضمن السطر الاول والثاني أسماء أشخاص ، وكذلك الى الشمال بخمس دقائق من كفر لاثا ، ضريح منقور في الصخر ، عليه كتابة منقوشة ، فوق مدخله خلال الدهليز ، وكلاهما بسيط البناء وتعريب الكتابة «وداعا ايها الحزن[٥٧] . ان هذه الحضارة في هذا الجبل ، لم تأت من لاشيء ففيه ، الكثير والكثير مما لم يدرس بعد ويحظى بالاهتمام الكافي ، وهذا ما أكده الرحالة طومسون ـ ١٨٤٦ ـ عندما شاهد في مكان ما من هذا الجبل ، مكمنا أخضر اللون ، كان قد صهر أحدهم النحاس منه في يوم من الايام[٥٨] ومازال السكان يروون اكتشافهم لادوات النقرالحجري في المواقع الاثرية، والتي تدل على المصانعة الضخمة في هذا الجبل .. فهل يتحقق رجاؤنا بالبحث والتنقيب مرة أخرى !!

---

57 - AAES - 3 - P - 229 - 230 , IGLS - V 2 - P - 373

(وداعا أيها الحزن) هذه الجملة الشاعرية ، ذات العمق الفلسفي ، تشير بلا شك الى أحد المؤمنين الزاهدين ، من الذين نظروا الى الدنيا كمسرحية مأساوية !

58 - R - E - P - 1063

كفر لاثا : تقع هذه القرية الى الجنوب الشرقي من ريحا بمسافة ٦ كم وعن ادلب ٢٠ كم ، في جبل الزاوية في قمة جبل الاربعين . تلفظها العامة «تلاتة» وفي النشرات الادارية «كفرلاتا» والاصح كما ذكرها ياقوت «كفر لاثا» وكذلك كتبها البغدادي وجميع المؤرخين والوثائق الرسمية السابقة .. ولكن اسمها القديم ورد في كتابة اكتشفت في روما تعود لعام ٤٣١ م[٥٩] كما اشار الى ذلك (واد نغتون) العلامة في اللغات القديمة في القرن التاسع عشر ، والذي كتب اسمها (كتلاتا) عندما زارها ، وكتبها كذلك بعض الرحالة المتأخرين ، وذكر اسمها (كتلاتا) أيضا في كتابات عائدة لسوريين مغتربين في كيليكيا في العصر المسيحي[٦٠]. وكانت قبل الاسلام تابعة لاقليم انطاكية ، وفي العصور الوسطى عرفها ياقوت بقوله «بلدة ذات جامع ومنبر في سفح جبل عاملة من نواحي حلب بينهما يوم واحد ، وهي ذات بساتين جارية نزهة طيبة ، واهلها اسماعيلية ». وهي في الواقع كذلك ، اذ تطل شرقا نحو سهول قنسرين ، وشمالا سهل ادلب ، والى الشمال الاقصى جبال الاعلى ـ باريشا ـ سمعان .

وفي العهد العثماني كانت تابعة لقضاء ريحا ، وفي فترة اخرى لناحية ريحا قضاء ادلب ، والامر الغريب اغفا لدراستها من قبل الباحثين الاثريين والمؤرخين ، رغم أن تاريخها يعود الى ماقبل الفتح العربي الاسلامي فهي كلدانية الاصل[٦١] . ولكن دورها الهام بلغ أهميته كموقع محصن في الحروب الصليبية الواقعة في محافظة ادلب . اذ حاول الفرنجة اكثر من مرة احتلالها ففي عام ١١٠٠ م أخذها تنكريد من الاسماعيليين .

---

59 — D , T - P , 207 , AAE S - 3 - P , 229 ـ 60 - IGLS - V 2 - P , 372

٦١ ـ الغزي ١/٥٢٣ ـ معظم المدن والقرى يعيدها الغزي الى الكلدانيين قياسا على غيرها ، وان كنا لا ندري مصدره .. فعلم الاثار اليوم هو غير ما كان عليه في زمن الغزي .. بينما الطباخ كان يتحفظ حين ذكره تاريخ البلدة او الموقع بدون وثيقة خطية ، رغم اهتمام الاول بالآثار أكثر من الثاني .

ولكن بني عليم الذين استوطنوا هذا الجبل ، دافعوا عنها في عام ٤٩٦ هـ ـ ١١٠٢ ـ ١١٠٣ م بعد أن فتح الفرنجة حصن بسرفوث في جبل الزاوية بالامان ، أغاروا على كفر لاثا ، **مما دعا بنو عليم** الى كبسهم فانهزموا ، وكرروا غاراتهم حتى احتلوها ، ثم تمكن نور الدين زنكي من استردادها عام ٥٤٦ هـ ـ ١١٥١ م[٦٢]

وهكذا .. كان فيها ثلاثة مساجد من العهد الايوبي حتى منتصف هذا القرن ، ولم يبق الان غير واحد ، وجامعها الكبير من العهد المملوكي . وهناك جامع آخر حديث .

كما وجد احد البحاثة الاثريين «قرب مسجد مهدم والى الغرب من المحلة عدة من شواهد القبور مثل شواهد مؤرخة في ٦٠١ هـ/ ١١٠٤ ـ ٥ م على احداها كتابة غير مقروءة في الوقت الحاضر ولكنها كتابة قرآنية بدون شك » وفي الجهة الداخلية نشاهد زخرفة مؤلفة من وردة كبيرة لها ست وريقات . وعلى الشاهدة الثانية كتابة من النوع المعتاد ـ محفورة ، وفي الوسط زخرفة مشابهة لزخرفة الشاهدة الاولى :

كل نفس   في سنة احد (كذا)
ذائقة الموت   وستمائة رحمه الله[٦٣]
توفي مولح (؟) بن حماد

هذه لمحة موجزة عنها ، والرحالة سيقدمون المزيد ، فلنرافقهم ونستمع برحلتهم بين ربوعها الجميلة :

---

٦٢ ـ تتباين أقوال المؤرخين في تحديد عام محاصرتها واحتلالها واستردادها بين عامي ٤٩٥ أو ٤٩٦ هـ وكذلك ٥٤٥ أو ٥٤٦ ولكن ما يهمنا تناوبها عدة مرات بين الطرفين وسنوفي حقها في بحث مفصل .

٦٣ ـ وهي كتابات كوفية . وهناك كتابة أخرى مؤرخة في ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ ـ ١٢٤٦ م راجع .
J - S - Thomine dans Arabica 1,2, 1954 P - 194
ومجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد ٦/ ١٩٦٥ ص ٩٥ .

١٧٣٨ ـ بوكوك : وبعد الظهر شرعنا بالرحيل فتجولنا ثلاث ساعات ـ شرق ـ جنوب ـ شرق في طريق صخري رديء الى (رويح) والتي كانت تدعى من قبل الفرنجة (ريح القديمة) وبعد سفرنا حوالي ساعة عبرنا من خلال كفر لاته Kapharlata حيث توجد بعض الخرائب والاعمدة القديمة ، خاصة ذاك الينبوع المغطى بقنطرة قائمة على أربعة دعائم دورية ٠ هذا الينبوع المغطى بالقنطرة نقشت عليه كتابة يونانية . وتابعنا سيرنا عبر منطف Montef لنشاهد الكثير من الخرائب[٦٤] . يقصد بوكوك بعبارة القنطرة القائمة على أربع دعائم دورية ، انها تعود في طراز بنائها الى الدوريين وهو خاص بأقدم وابسط الطرز المعمارية الاغريقية . أما الكتابة اليونانية فقد نقلها الينا بوركهارد فيما بعد ، وقدم لنا تفصيلا اكثر عن هذا البناء . أما قرية منطف التابعة لناحية قرى مركز ريحا وتتبعها مزرعتا رويحا وكدوره تبعد عن ريحا ٨ كم . زارها ايلي سمث ١٨٤٨ م[٦٥] وكتب عن وقوعها على سفح جبل جذاب في شرق السلسلة الجبلية ، ثم يعود الطريق لينحدر بشكل مستقيم كما كتب اسم كفر لاتا تل لاته Tell - Lata وهو اول من كتبها هكذا .

١٨١٢ ـ بوركهارد : ومن ريحا صعدنا الجبل ، انعطفنا حول الزاوية اليسرى وفي ساعة (من ريحا) وصلنا قرية كفر لاته ـ كتبها بالعربية هكذا ـ حيث استقبلنا بحفاوة في منزل شيخ القرية ، رغم أن نساءه كن فقط في المنزل . وفي المساء سلانا حكواتي ممتع بأغاني البدو وبتاريخ بني هلال . ان كفر لاته تخص ابن السياف من العائلات الاولى في حلب . تقع كفر لاته فوق جبل ريحا على الطرف الجنوبي لواد ضيق مائي ، في طرفه ساقية ، بجانبها خمسين ـ أربعين منزلا ، جميعها مبنية بأحجار مربعة ، والتي كانت تشغل ذات الموقع .

---

64 - P - D - P - 147 - 148

65 - R - E - P 1060

لعل ما تبقى جدير بالملاحظة والاهتمام، لو حسبنا النوعية الواسعة للتوابيت الحجرية والقبور . أما الجبل فمن الصخر الكلسي الاجرد ولايعتبر من الجبال الصعبة . وفيها بقع صالحة للزراعة يزرعها سكان القرية بالشعير والذرة ، وفي الجهة الاخرى الى جانب الساقية وجدنا بعض أشجار الفاكهة . شغلنا طيلة الصباح بزيارة القرية المجاورة ، والتي ينبغي أن تكون قديما مكانا لدفن كل العائلات الكبيرة في هذه المنطقة ، مع الاخذ بعين الاعتبار العدد الكبير للقبور ، نظرا لصغر بلدة كفر لاته اذ تبدو بما تملكه من الضرائح قليلا ، وخاصة بالمقارنة مع خرائب المدن الكبيرة ، التي شاهدناها فيما بعد في الجبل ذاته .. بدءا من الجانب الغربي للقرية ، أحصيت ستة عشر تابوتا وسبعة كهوف ، وقد حفرت جميع التوابيت في الصخر . أكبرها بطول تسعة اقدام وعرض ثلاثة اقدام ونصف . أما الاصغر فبسبعة أقدام طولا وثلاثة أقدام عرضا ، وعمقها ـ عموما ـ حوالي خمسة أقدام وفي معظمها تجاويف مقعرة ـ محاريب ـ منقورة في الصخر ، طولها حوالي أربعة أقدام وعرضها قدمان(٦٦) .

وفي الاصل كل هذه التوابيت ذات أغطية حجرية ، وبقطعة حجر واحدة تغطي فتحة التابوت تماما .

فقط وجدنا منها ستة توابيت صغيرة باقية وسالمة حتى الان ، وبعضها لم يتعرض للاذى بعد . وشاهدت أثنين منها أو ثلاثة فقط لها افريز منحوت ـ انظر الشكل ـ محمولا على طول الغطاء ، عموما له نقوش قليلة في نهايته ، مع اضافة شكل اضافي لهم . ان فتحات التوابيت ،على استقامة واحدة مع سطح الارض ، نرى أغطيتها من الخارج ، وكأنها ملقاة على السطح أما الكهوف المنقورة فهي متنوعة بمقاييسها وانشائها ، والمدخل ـ بشكل عام ـ عبر باب منخفض ، مزين احيانا باعمدة قصيرة، وفي الداخل غرفة قبوية منقورة في الصخر يختلف مقياسها من ستة الى خمسة

---

٦٦ ـ مازالت موجودة ويطلق الاهالي عليها (الحير) .

عشر قدما ــ أي حوالي سبعة أمتار ــ طولا ، ومن أربعة الى عشرة أقدام عرضا ، أرتفاع الغرفة القبوية حوالي ستة اقدام ، لكن الكهف ينتهي أحيانا بسقف واسع ، وهي بالتالي ، جميعها تحوي قبورا .

وفي الغرف الصغرى مدفن في كل من الاطراف الثلاثة ، والاوسع يحتوي أربعة أو ستة قبور ، اثنان يواجهان المدخل ، وآخر في كل جانب من الاطراف الثلاثة . وبصورة عامة ، تعتبر التوابيت مشكلة بفظاظة شديدة . ان بعض المغاور الطبيعية تحتوي كذلك على حفر اصطناعية للموتى ، شبيهة بتلك التي وصفناها آنفا . ولقد شاهدت الكثير من مثيلاتها في مواقع مختلفة من سوريا . أما الطرف الجنوبي للقرية فأقل صخرا ولاتوجد مغاور أو توابيت في ذلك الجانب .

وفي الجانب الشرقي أحصيت واحدا وعشرين قبرا ، وخمسة كهوف استخدمت كمدافن للموتى(٦٧) . وكما اسلفنا ، فأربعة عشر تنتشر عبر مساحة صغيرة جدا ، والقسم الاكبر من المقابر منعزل، ولكن نجدها في بعض الاماكن تتشكل كمجموعة مزدوجة بذات المستوى ، وأغلبها تتصل احداها بالاخرى .

لدى عبوري الى الطرف الشمالي من وادي كفر لاته ، ووجهت بجدار طويل مبني بأحجار ضخمة وفي الشمال منه ساحة مستطيلة ، طولها سبع وثلاثون خطوة ، وعرضها سبع وعشرون ، منقورة في الصخر ، وجدنا في جدرانها محاريب كثيرة ــ تجاويف(٦٨) ــ وفي وسطها تابوت واسع مع بقايا الجدار الذي يغلفه . الى الشرق من هذه الساحة ، ساحة أخرى مشابهة لها ، لكنها أصغر منها حجما . أحصيت في الجدار المذكور مع ما يجاوره عشرين تابوتا وأربع مغاور مقبرية ، بالاضافة الى العديد من المحاريب المفتوحة

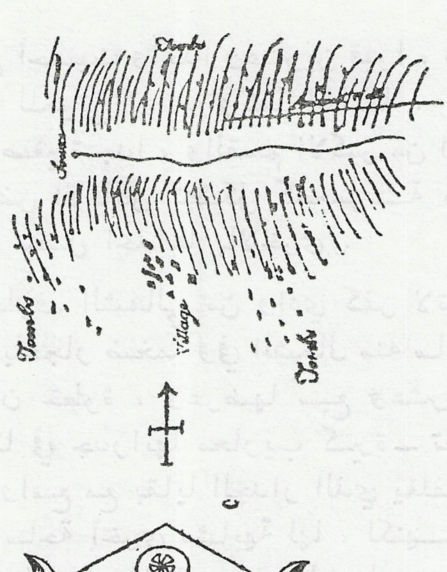
---

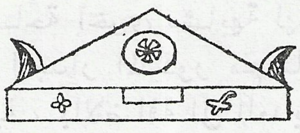
٦٧ ــ أي مدافن قبوية ٠٠ لكن القرية أمتدت الان شرقا وغطت مساحة المقبرة ٠

٦٨ ــ يطلقون عليها الآن (الكسيح) ٠ أما التابوت فقد كان الاهالي يقصدونه سابقا كمزار ٠

والمصنوعة بأتقان شديد ، في لحف الجبل ، والمحتوية على فتحات خاصة بالموتى . وبعد العودة الى القرية ، مررت بمصدر الجدول الذي يسقي الوادي ، حيث ينتصب فوقه بناء قديم ، يتألف من سقف مقبب يساعده على الوقوف أربعة اعمدة قصيرة ، مبنى بصورة سيئة جدا ، ويرتفع حوالي ثلاثة عشر قدما . وفي القسم الاسفل من السقف نقشت أحرف يونانية ظاهرة ـ انظر الشكل ـ حوالي منتصف النهار غادرنا القرية، وعبرنا الجبل باتجاه الشمال عبر طريق بري قصير الى ريحا ، وفي نصف ساعة وصلنا لزاوية الجبل مباشرة للاعلى من ريحا(٦٩)أ ..

ANI . MINI/ . . ШAIПП . O . . H . . . IOTП . .
T . . ENEA HIWN . E . OT . ZGTINA . H . +





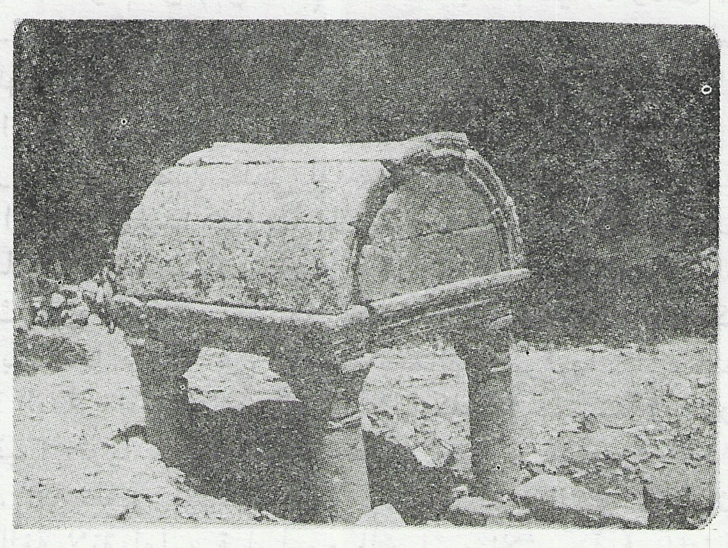
٩ ـ كفر لاتا ـ في الاعلى : الكتابة المنقورة على نصب النبع ٠ في الوسط : موقع القرية والمدافن ١٨١٢ ٠ في الاسفل : واجهة جانبية لغطاء التوابيت الحجرية ٠ (عن بوركهارد)

69 - B - T - P - 126 - 127

هذه هي قرية «كفر لاثا» التي أصبح الجميع يلفظونها كفر لاته ، وخاصة في العهد العثماني ، لان الثاء ثقيلة على الاتراك . واختصرها العوام الى (تل لاته) . كانت بلدة غنية ، وذات موقع صيفي ممتاز للتنزه وصلة وصل بين البارا وحلب ، ريحا والمعرة، مما جعلها محط اهتمام قادة الفرنجة في العصور الوسطى ، لينافسوا بها الزعماء الايوبيين ، وتكون مركز دعم ودفاع لهم عن البارا ، فهي حصن خلفي لها ، ان سقطت كفر لاتا ستضعف مقاومة البارا ، ولهذا تناوبها المسلمون والفرنجة أكثر من مرة. أما الاهالي فيقفون الان معجبين بقريتهم ، وبتاريخها الحافل بالاحداث، يروون لك بعض ما يذكروه عن أمجادها، وكيف كانت عظيمة بكفاحها ، كما هي عظيمة بجمالها وموقعها النزه الممتاز وهوائها الصافي النقي .. ويقولون لك كلما حفرنا في الارض وجدنا قبرا أثريا .. وفي الوادي هناك «قصر» يعتقدون أنه قصر الحاكم ، أما تعليق بوركهارد على رداءة بناء « النبع الروماني » ففيه مبالغة لانقبلها ، قياسا مع الخرائب الاثرية في المناطق المجاورة، فهو الرمز الظاهر والباقي الان، كشاهد على قدم القرية ، وعراقة تاريخها، وخاصة وقوعها جانب الطريق العام، مع مطالبتنا ايقاف بناء المساكن بجانبه ، والتي تكاد تقترب منه ، لتزيله في امتدادها ، كما هو حاصل في معظم القرى والمدن الاثرية في المحافظة ، بقي علينا التعقيب بأن هذا البناء الشبيه بالخيمة ، والقائم على أربعة أعمدة مقنطرة قال عنه العلامة الاثري الامريكي بطلر « انه أحد أجمل النصب الصغيرة في شمال سوريا ، وان رسمه الباقي حتى الان في بنائه واستخدامه عبر القرون ، خير دليل على ذلك(٧٠) . وأما الكتابة المنقوشة والتي حفظت اذ نقلها الينا الرحالة ، ولدى زيارتي لم أجد غير بقايا أحرف بسيطة . وتعريبها «ان هذا البئر قد انجز برعاية انطونينوس فيليبّوس وابريوس بطرس في عام ٤٩٧ للخمسة

70 - AAES - 2 - P - 270

عشرية الثالثة[٧١] » وتعود هذه الكتابة الى التاريخ الانطيوكي ويوافق شهر ايلول ٤٤٩ م .



١٠ ـ كفر لاثا ـ نصب النبع ٤٤٩ م

وقصد بوركهارد بعبارته (أهالي القريـة يستخـدمون الابنيـة القديمة في بناء منازلهم والتي تعود الى عهد انحدار الامبرطورية، حيث شغلت الموقع الحالي ذاته) .. عنى بذلك العهد الاخير لحكم الامبرطورية الرومانية في سوريا أي الثلث الثاني للقرن الرابع الميلادي ، يبدء العهد البيزنطي في سوريا كما ذكر عدد منازلها من خمسين الى أربعين منزلا ، بما يعادل /٣٥٠/ ن وبلغ عددهم ١٩٢٢ /٣٤٧/ ن وفي عام ١٩٤٥ / ٣٢٠ / [٧٢] نسمة هذا يعني هجرة سكانها بالاضافة الى ان جبل الزاوية معقل الثوار في كـل االعهود وسنفصل ذلك في فصل الفصول ـ الواقع الطبيعي ـ كما

---

71 - AAES - 3 - P 22 8 , IGL S - V 2 - P 372

الخمسة عشرية : وحدة زمنية مؤلفة من ١٥ سنة ٠ كانت تصطنع في الامبراطورية الرومانية وغيرها لتاريخ الاحداث العادية ٠

72 - SRANFF

قدر عددهم عام ٢٨٢٦/٨٦ نسمة . في عام /١٨٤٦/ زارها طومسون وسمع اسمها «تل لاثا» وأصابته دهشة كبيرة أثناء مروره بعدد كبير من المقابر وذلك حين شاهد في احدى المقابر وكانت كبيرة جدا ، احدى مطاحن الحبوب التي تدار من قبل البغال ، وبذلك فقد أصاب من قال في ذلك الوقت : ان أهل (لاثا) يأتون بخبزهم من بيت الاموات[٧٣] .

١٨٨٨ - يوليان : في مرتفع الطريق الترابي الى معرة النعمان ، يصعد الجبل يمينا ثم نصل الى خراب مسيحي في كتلاتا Ktellata أو Kefer - Lata كفر لاتا بين الاشجار الكبيرة . ونتجه جنوبا بمحاذاة الصخور الشرقية لنجد آثارا كثيرة ، تبدو من تاريخها وعهدها أنها عائدة للعصور الوسطى . وبعد مسير ساعة ونصف استرحنا في قرية منطف قرب نبع ماء يخرج من الصخر ، يخيل الينا أننا في وادي الاردش Ardech ويبدو أن هذه المياه الغزيرة في الجبل تواعدت مع بعضها في الشمال ، وغزارتها هناكثيفة ، كما أنه لايوجد نبع ماء في مكان آخر ، وكما ذكر السكان هناك ، بأن أقوى المياه تجدونها في تلاتا حيث يوجد برج خرب من الاثار القديمة ، قائم على الجبل في أعلى القرية . وحكي لنا بأن الخرابات المسيحية الجميلة جدا ، واقعة على بعد منها في المرتفع ك فركيا ومغارة وفي أماكن اخرى ، ولكن لدى عودتنا ، لم نتمكن من زيارتها جميعا ، وهذا دفعنا للاسف الشديد. اذ ان هذه الخرابات ، وبالتأكيد ، غير معروفة جيدا .،، ولم يسبق لاي مسافران وصفها[٧٤] وفي عام /١٨٩٣/ ذكر (بايدكه) كفر لاتا معرفا بها ولعله أخذ عن بوركهارد بقوله «الى شمال الوادي ساحة مربعة كبيرة منقورة في الصخر في جدرانها محاريب

---

73 - R - E - P - 1062

وقد سبق لبرجرن زيارتها عام ١٨٤٤ وقال «تبعد عن ريحا مسافة ساعة ، فيها العديد من النواويس والغرف المقبرية » .

74 - J- P, 286

لعله قصد بـ «البرج» قنطرة النبع ؟

وفي الوسط ذاووس من الحجر ، والى الشرق قليلا ساحة مربعة من ذات النوع بنواويس وغرف مقبرية[٧٥] .

رويحا

تعتبر رويحا احدى اهم المدن الميتة في جبل الزاوية ، والتي لها وقع خاص في نفسي · وفي كل زيارة أجد فيها متعة مغايرة لسابقتها ، ليس لاطلالتها الجميلة كاطلالة فركيا فحسب ·· بل لان فيها كنيسة بيزوس احدى اكبر الكنائس في جبل الزاوية ـ جبل ريحا ـ ولانها الكنيسةالبازيلكية الاولى في تاريخ الهندسة بوجه عام ، والتي ترتكز على عضادات · أو داراتها الضخمة الواسعة المشتركة ، والكتابات الدينية المعبرة عن صدق ايمان أهلها ، أم مدافنها المتميزة والتي لازالت تتحدى الزمن !! أم ضريح بيزوس الفريد في نموذجه ، والذي يرمز الى معنى خاص وأولي · وهي احدى المتنزهات الصيفية الجميلة ، لو زرتها لداعبتك نسمات غريبة منعشة ، ولشاهدت اطلالتها الجنوبية الشرقية ، المطلة على بلدة جرادة الاثرية الى الشرق الجنوبي منها بـ ٢ كم ، ثم أطلال دانا وقصر **البنات** · تقع رويحا الى الشرق جنوب ـ شرق ريحا بـ ١٥ كم وعن ادلب ٢٨ كم ، والى الشمال من معرة النعمان بـ ١٥ كم · وهي مزرعة تابعة لقرية منطف التابعة لناحية قرى مركز ريحا عدد سكانها /٩٩/ نسمة عام ١٩٨١ ·

تكتب كذلك رويحة والاصح رويحا · كانت في القرن الخامس الميلادي تابعة لانطاكيا عاصمة سوريا الاولى · برزت هذه البلدة في مطلع القرن الثالث ، ولكن ازدهارها تم في القرن الخامس ، حول الكنيسة الاولى وهي الكنيسة الجنوبية · فلنزرها برفقة الرحالة الذين جاءوا من اوربا وأمريكا ليشاهدوا عظمة هذه الحضارة ويحدثونا عنها ·

---

75 - B, PS,P 402

١٧٣٨ ـ بوكوك : «شرعنا بالرحيل بعد الظهر ٠٠ تجولنا ثلاث ساعات شرق ـ جنوب شرق عبر طريق صخري رديء الى رويح Rouiah والتي أطلق عليها الفرنج ريح القديمة Old Reah تقع رويح قرب السهل الممتد من معرة الى حلب انها أعظم مكان متميز بين الخرائب الاخرى ، ففيها ست أو سبع أماكن رائعة ، بعضها متباعد عن الاخر ، وتجد أغلبها كأنها كنائس عديدة ٠ اما المنازل فمبنية حول ساحات مع أروقة على دعائم في جنوبها ، وكذلك الدهاليز ، المتصلة بالغرف العليا ، ولكل منها باب يصل بكل غرفة ٠ ولعل الاعمدة الرئيسية ، والتي لم تصنع بشكل رديء ، تعود بأصولها الى القواعد الكورنثية والايونية ٠ وتبدو الكنائس أروع من المنازل ، وخاصة ثلاث أو أربع مبنية بثلاثة صحون ٠ أما القناطر القائمة على الدعائم فأوسعها مشكل من عواميد ضخمة وكبيرة ، مستطيلة الشكل ـ بمربع يسبقه رواق قائم على دعائم ٠ في أحد الجوانب تجد بناء واسعا مع قبة مثبتة على دعائم والذيببدو وكأنه معبد قديم صغير واجهته العلويةمثلثة الشكل كورنثية ٠ ولن تجد أفضل وأجمل من هذه المصانعة الفنية ٠ كل البناء قائم على اساس جميل ، ويواجهه رواق بأعمدة ٠ يتألف فقط من عمودين ، يقعان في الواجهة بين طرف الجدران ، تلك التي تدعم المثلث يبدو أنها تشكل عائلة كنائسيةفي أسفله قبو فيه توابيتحجرية،أوقبورنقرت في الصخر ، كما يوجد آخر من ذات النموذج قرب أحد القصور عليه كتابة يونانية غير كاملة على واجهة سقفه المثلثة ٠ وكذلك هناك ابنية كبيرة حو لالكنيسة الكبرى ، ولعلهم عدة افراد تمكنوا من العيش كجماعة واحدة ٠ ويحتمل أن تكون هذه البداية الاولى لذلك النوع من العزلة ـ أي الرهبنة والتزهد ـ في هذه البقاع والتي كانت فيما بعد بداية استقرار الجماعات التي استطابت الحياة الديرية ٠ احدى الكنائس دشنت من أجل بطرس وبولس وعليها هذه لكتابة المنقورة باللغة اليونانية وتعريبها (بطرس

وبولس) • وهنا وجدنا أحد الاضرحة المتميز عن غيره بقبته ذات الابعاد الخاصة وبحوالي ستة أو سبعة أقدام ، فوق الارض تابوت حجري كبير ، طوله تسعة أقدام وعرضه أربعة أقدام وعشرة بوصات ، وعمقه خمسة أقدام وعشرة بوصات • وفي القسم الاسفل والمغلق ، قبران منقوران في الصخر • وهكذا أمضينا الليل بكامله في رويح [٧٦] •• من نص الرحالة بوكوك نخلص الى ١ ـ اسم رويحا عام ١٧٣٨ (رويح) وأطلق عليها الفرنجة خلال الحروب الصليبية (ريح القديمة) ٢ ـ الطراز المعماري كما ذكره لنا (كورنثي) يعود الى القرن الرابع الميلادي ، وكان هذا الطراز مألوفا في المنطقة الشمالية من سوريا • ٣ ـ أما بطرس وبولس فمن رواد الكنيسة الاوائل • فبطرس هو سمعان بن يونا أول رئيس على الكنيسة ولد سنة ١٠ ق•م وتوفي عام ٦٧ م • كان صياد سمك على بحيرة طبرية ، فدعاه المسيح وسماه كيفا أو الصخرة ، وأقامه رئيسا للرسل • بشر في القدس والجليل ، ثم أقام في انطاكيا وروما حيث استشهد في عهد نيرون • ويقال انه صلب مكبوبا • وأما القديس بولس فهو شاول ، اهتدى على طريق دمشق نحو ٣٣ م ، واختلى في شمال جزيرة العرب ثلاث سنوات • باشر بعدها تبشير الامم الوثنية ، فكان رسولها الممتاز • بشر مدن آسيا الصغرى ، وحبس في القدس ثم سيق الى روما حيث قطع رأسه ٦٧ م •

ولكن قوله احدى الكنائس دشنت من أجل بطرس وبولس فغير صحيح ، بل هي منقوشة على ساكفة مدخل احدى الدارات، الواقعة في الحد الجنوبي الغربي للبلدة • وفي المركز قرص خلال مربع ، ويحتوي القرص على الصليب اليوناني ، وفوق زواياه حرفا الفا واوميغا • وقد كانت تلك الساكفة مطلية باللون الاحمر [٧٧] •

---

(76) P - D - P - 148

(77) JAAES - 3 - P - 227 - IGLS - 2 - P 371 .

٣ ـ ان بوكوك من الرواد الاوائل الذين درسوا المنطقة ، وعلى اطلاع بالتاريخ لا بأس به ، بالرغم من أنه لم يصب ببعض آرائه ، وهذا يعود الى أنه رائد أولي ، والرائد تغفر له زلته ، ان وقعت • وقد ذكر الباحث الالماني ريتر ١٨٥٥ ـ ان رويحا التي زارها بوكوك ، وعنى بها ريحا القديمة •• والتي تعود خراباتها للعهود المسيحية الاولى ، مازال الكثير من جدرانها قائما بصورة جيدة ، وهي عبارة عن كنيستين ، لازالت قواعد الجدران قائمة فيها حتى هذا التاريخ ، وكذلك بعض القبور التي يمكن مشاهدتها ، وهي قبور عميقة جدا في أعماق الجبل ، وبعضها الاخر مغطى بأحجار مرتبة ومرصوفة ، فوق سطح الارض(٨٧) وأما قوله ثلاث أو أربع كنائس فيغاير الواقع ، اذ ليس فيها غير كنيستين الاولى الشمالية ، وهي كنيسة بيزوس ، والثانية الجنوبية • والمعبد الذي ذكره ، فيقع في الزاوية الشرقية الشمالية من حرم بيزوس ، وهو كذلك مدفن ، فيه غرفة جنائزية ، وتاريخه كمدفن أحدث من تاريخ المدفن الاخر الواقع في جنوب شرق البلدة، والذي أشار اليه بأنه يشبه الاول • وعلى الثاني كتابة يونانية قديمة ، غير كاملة على واجهته العلوية المثلثة ، وتعريبها (اله واحد فقط معين من أجل أمان وتذكار الاحياء • باسيما وماثبابيا جددا هذا المدفن في السنة ٤٣٣) ويوافق هذا التاريخ ٣٨٤ ـ ٣٨٥ م (٧٩)• وباسيما هذا اسم سرياني ويعني الحبيب• وماثبابيا اسم آلهة قديمة وثنية(٨٠) • والذي أرجحه أن هذا ضريح خصص لباسيما وماثبابيا ، وكلاهما يكنيان باسم سرياني ، لكن مضمون الثاني وثني ، ولعلهما كانا وثنيين ، ثم تنصرا وحولا هذا المعبد

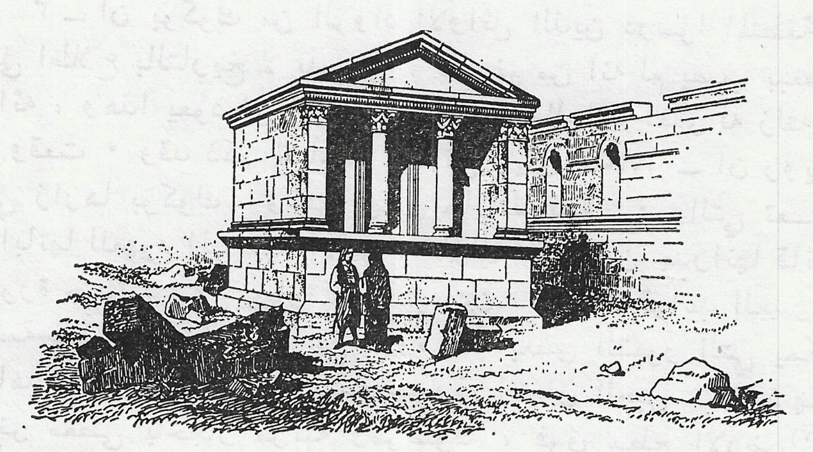
---

(78) R - E - P- 1061

(79) IGLS - 2 - P - 370 - 71 , AAES - 3 - P- 221

أي أن المعبد ـ المدفن الشمالي يعود الى القرن الخامس • بينما الاخر الجنوبي ، فيعود الى القرن الرابع كمدفن ، ولكنهما كمعبد يسبقان هذا التاريخ •

٨٠ ـ وباباي هذا مذكور كذلك في كتابة فركيا (خادم الاله أو الالهة باباى) راجع بحث فركيا في « الحضارة في جبل الزاوية » قيد الاعداد •



١١ ـ رويحا ـ المعبد المدفن ـ القرن الرابع · (عن فوغيه ١٨٦٢)

الى مدفن لهما · وأحبذ التعريف به (المعبـد ـ المدفن) [٨١] لان وجوده كمعبد كان قبل كونه مدفنا · اذن هو بناء يعود الى ماقبل تاريخ الكتابة · ويعتبر من المعابد الوثنية المتميزة والباقية في المحافظة ، بينما المعبد الوثني في جبل سرير [٨٢] ، لم يبق منه غير بقايا الاحجار المتحطمة ، وقواعد الاعمدة · أما معبد رويحا هذا فما زال محتفظا بسقفه الحجري الجميل ، وغرفة الدفن المحتوية على ثلاثة نواويس ، لها مدخل خلفي وقوس وسطي تستند عليه أحجار السقف · وكما أشار بوكوك الى واجهته المزخرفة كالمعبد السابق بتيجان كورنثية وهي التي سادت في القرن الرابع ، على غيرها من زخارف التيجان ، ثم تحول الى مدفن للمؤمنين اللذين

---

٨١ ـ ١٨٨٨ ـ يوليان : وفي رويحا يصاب المرء بالدهشة حين مشاهدته معبدين اغريقيين بعواميد ذات نسب جميلة ، وتأثيرات نيرة ، وهي مدافن مسيحية ، تشغل غرفة النواويس الطابق القبوي ، وآخر الحجرة فوقه ، تحمل أعمدته الداخلية أحجار السقف ، وتحت الاقواس مسماك السقف · هناك عائلة مقيمة في أحد هذه المدافن ، اذ وجدوا راحتهم في هذا المسكن ص /٢٨٨/ وأوافق يوليان الرأي ، اذ تعود الى ما قبل ذلك الزمن فهي ليست بيزنطية بل اغريقية ووثنية المنشأ ·

٨٢ ـ جبل سرير : الى الشمال من المحافظة في الطرف الجنوبي من سهل الدانا جنوب قرية تل عقبرين · يبلغ ارتفاعه ٥٥٨ م · في قمته معبد وثني عليه كتابة يونانية قديمة ويعود لعام ١١٦ م راجع الجزء الثالث ·

تنصرا وآمنا بالاله الواحد ، وعبارتهما الاخرى ما هي الا (ليتورجية القديس جيمس) [٨٣] ٠

٤ ـ وأما الضريح المتميز جدا ، فهو ضريح بيزوس الذي ذكره معظم الرحالة ، وسميت الكنيسة الشمالية باسمه ٠ ذكرها بوكوك ويوليان ١٨٨٨ ـ وبرشم ـ ١٨٩٥ ـ الذي قدم لنا وصفا أثريا للكنيسة البازيليكية الكبيرة الشمالية وهي كنيسة بيزوس ولضريحه ، ثم قدم شرحا اضافيا للكنيسة البازيليكية الثانية الجنوبية والاصغر من الاولى ، وأطلق عليها اسم (البازيليك الصغرى) بينما أطلق على الاولى (البازيليك الكبرى) [٨٤] وزارها فيما بعد الرحالة والباحث الاثري غاريت ـ ١٩٠٠ ـ فقال خيمنا بموقع يضم أروع الاثار يدعى رويحا Roweha مازالت تشتمل على العديد من القبور السالمة والدارات ، والابنية الاخرى اثنان من القبور بني سقفاهما بأحجار مبلطة كبيرة ، مدعمة بالاقواس الداخلية ، والقبر الثالث شكل سقفه كالقبة [٨٥] ٠

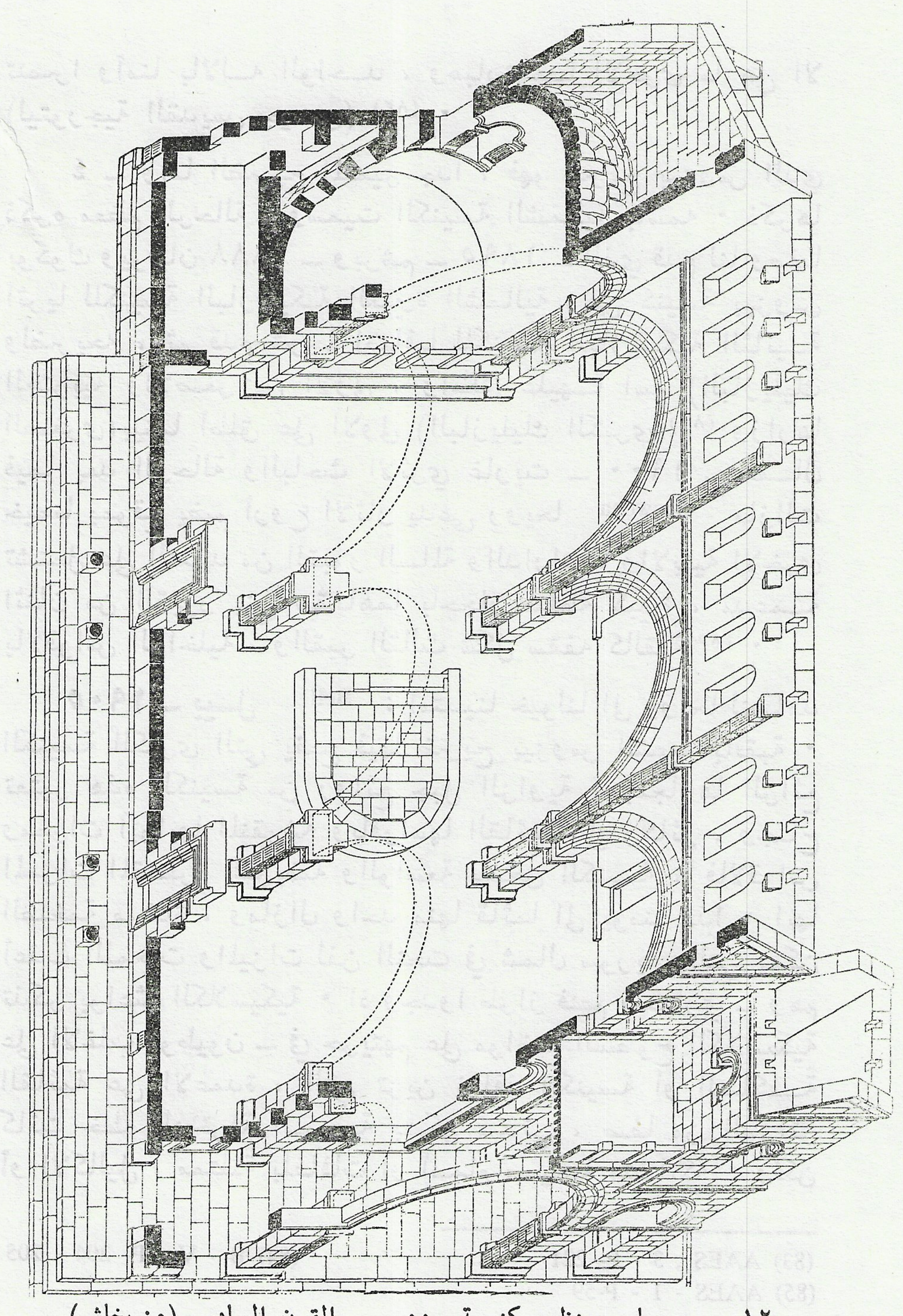
١٩٠٥ ـ بيل Bell : أمتطينا خيولنا الى رويحا لنشاهد الكنيسة الكبرى التي يقبع فيها ضريح بيزوس الشبيه بالقبة ٠ تعتبر هذه الكنيسة من روائع جبل الزاوية ، بمجازها الرائع وممرات أبوابها المنقوشة وبأقواسها القائمة على ركائز ، وجناح الممرات المقنطرة العريضة والواسعة بصحن الكنيسة : فالاقواس الضخمة موشاة ، ومازال واحد منها قائما الى يومنا هذا ٠ انها أعذب اللمحات والميزات لفن النحت في شمال سوريا والتي يمكن تذكر بواعثه الكلاسيكية ٠ اذ وجدوا طراز فنهم المعماري ـ وهم على الاغلب قوطيون ـ في حريتهم على مواضع السطوح الكلاسيكية القائمة على الاعمدة ، التي تزين نوافذ الكنيسة أو الساكفة كانت خطة الزخرفة السورية بشكل مبدئي ، صفا من الدوائر أو الاكاليل ، ممتلئة بلفافات أو أسماء مسيحية متشابكة ٠ ولكن

---

(83) AAES , 3 - P- 221

(84) B - V - P- 204 - 205

(85) AAES - 1 - P-59



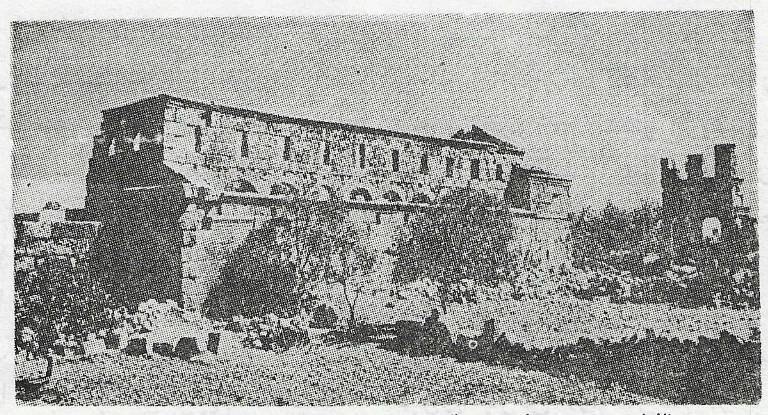
١٢ ـ رويحا ـ منظور كنيسة بيزوس ـ القرن السادس (عن بخاش)

عندما ازدادت مهارة قاطعي الاشجار ، جعلوا دوائرهم في مئات من الاطارات البارعة والخيالية ، من نبات الاكانت والبلح والغار ، ولتشكل نموذجا استخدم حول الكنيسة والقبر ، ولتتنوع بقدر ما يمكن للخيال أن يستنبط • فالعشب تحت أقدامهم ، واوراق الاغصان فوق رؤوسهم ، تحفزهم ، بوفرة التصاميم • فمنذ ۱۲۰۰ عام مازال تأثيرهم الزائد حتى زمن وليم موريس • في رويحا كنيسة اخرى ، ولكنها أقل كمالا من بيزوس ، ليست بذات الروعة في تصميمها • ولكن فيها شيء جدير بالاعتبار ، ينتصب محاذيا الجدار الجنوبي للكنيسة ، كبرج جرس أو ضريح أو منبر وعظ ، وليس بالامكان تفسيره اطلاقا • انه مؤلف من طابقين ، السفلي فيه ستة أعمدة تدعم المنبر من الجدار السفلي ، والذي يرتفع على أربع دعامات متوازية ليحمل القبة أو المظلة ، انه يتشابه مع بعض الاضرحة الايطالية الشمالية ، على سبيل المثال ، نصب (رولاندينو) في مقاطعة بونيا بايطاليا • ومما يلفت النظر أن يحدد المشاهد غريزيا مدى تشابهه مع البناء الجميل في رويحا [٨٦] • وأخيرا يمكن القول ان كنيسة بيزوس[٨٧] الشمالية تعود الى القرن السادس الميلادي بينما الكنيسة الجنوبية تعود الى القرن الرابع الميلادي • وأما البرج الذي وصفته بيل فيدعى «عمود بنت الوزير» وهو مكان صومعة لناسك أو ناسكة ، لوجود قبر بالاسفل ، كما في بناء الصومعة في كوكنايا في جبل باريشا ونحن نودع رويحا نذكر بعض كتاباتها التي ذكرت السيد المسيح وأمه مريم • اذ نقر فوق عتبة بيت هذه الكتابة (+ اله واحد +

---

٨٦ ــ B - D - P- 253 وليم موريس : شاعر ورسام انكليزي (١٨٣٤ ــ ١٨٩٦) تنوه الرحالة الى التأثيرات الحضارية لهذه المنطقة في ربوع أوربة وخاصة في ايطالية ــ راجع فصل الفصول •

٨٧ ــ سميت كنيسة بيزوس لوجود كتابة منقوشة على ساكفة مدخلها الغربي تعريبها (بيزوس بن بردو) وهو الذي تبرع ببناء الكنيسة ، ودفن في باحتها وفوق ضريحه كتابة (بيزوس بن برود حسنا أقمت • وحسنا رحلت • وحسنا سأرقد بسلام • ادعوا من أجلي) راجع التفاصيل في « الحضاره في جبل الزاوية » ــ قيد الاعداد •



١٣ ـ رويحا ـ الكنيسة الجنوبية ـ القرن الرابع

والمسيح) ٠ وفوق عتبة بيت آخر نقشت كتابة يونانية تعريبها «ولد المسيح ٠٠ وخلصنا من كل شر آمين + » وفوق أحد مدافنها هذه الكتابة «مريم أم يسوع»(٨٨) ٠

البـارا

تقع في جبل الزاوية الى الجنوب الغربي من ريحا ، وهي قرية كبيرة تابعة لناحية احسم وتبعد عنها ٥ كم وعن ريحا ٢٠ كم وعن ادلب ٣٣ كم وعن حلب ٩٣ كم ٠ نصل اليها بطريق معبد نزه جميل من ادلب ـ ريحا ـ اورم الجوز ، ثم ينعطف بنا الطريق الى اليسار نحو أحسم ٠ ويؤدي اليها طريق آخر من معرة النعمان بمسافة ٢٠ كم ٠ ترتفع عن سطح البحر (٧٠٤) م يبلغ عـدد سكانها عام ١٩٢٢ ـ ٨١٥ ن و عام ١٩٤٥ ـ ١٢٨٠ ـ نسمة وقدر عام ١٩٨٦ ـ ٤٨٨٧ ـ نسمة ٠ وهي الان تجمع لموقعين : الاول (قرية البارا) والثاني خراب البلدة القديمة (كفر البارا) المجاور للاول وللغرب من القرية ٠ تحدث عنها الرحالة باسهاب وذكرها ياقوت ـ ٦٢٦ هـ ـ بقوله (البارة : بليدة وكورة من نواحي حلب ، وبها حصن ، وهي ذات بساتين ويسمونها زاوية

(88) AAES - 3 - P- 228

البارة) • ويلاحظ القارىء أننا نكتب البارا هكذا بألف ممدودة عائدين بها الى أصل اسمها السرياني ، وتمييزا عن كلمة أخرى (البارة) بتاء مربوطة، وهي وحدة عملة عثمانية • وأصل اسمها القديم كبروبيرا Kapro pera اكتشفه العلامة برنتيس عام ١٩٠٤ على حجر قرب أحد أزقتها بين الكفر والقرية الحالية في ركن يدعى الدير ، نقشت عليه كتابة باللغة اليونانية ، وتعريب النص :

حدود الكنيسة المقدسة في قرية كبروبيرا •



١٤ـ الحجر الذي نقش عليه اسم البارا القديم (كبر وبيرا)

وقد اكد برنيس أنها كانت تدعى بالسريانية Kafrad' Barta كفر دبرتا ومع الزمن تحول اسمها الى كفر البارا أو الكفر كما يطلق عليها الان • وكفر كلمة سريانية تعني قرية أو مزرعة أو حقلا • أطلق عليها العرب اسم البارا ، وحصن البارا ،

(89) PAES - 3 - P- 114 , IGLS - V 4 - P- 146

والفرنج في الحروب الصليبية بارا Bara ، والعثمانيون بارة والرحالة الاوربيون كفر ، والمؤرخون في العصر الحديث خراب البارا ، والاهالي كفر البارا أو الكفر ·

يعود أقدم بناء ظاهر فيها الى القرن الثاني الميلادي ، ولكن التنقيبات الاثرية والتي لم تجر بعد ، ستؤكد أنها أقدم من ذلك فاسمها بالسريانية قبل ذاك الزمن ، لشيوع هذه اللغة في المنطقة ·

كانت في العهد البيزنطي تابعة لاقليم أفاميا ، عاصمة سوريا الثانية، رغم أنها كانت صلة الوصل الاولى والرئيسية بين انطاكيا وأفاميا ، سواء اقتصاديا أم سياسيا ، فعلاقاتها الاقتصادية مع انطاكيا كانت واسعة ومتينة ، رغم تبعيتها الادارية وجباية الضرائب لافاميا · وكما ذكر الرحالة فان هناك طريق روماني مرصوف بالحجارة من انطاكيا الى دركوش ـ جسر كشفهان (قرب جسر الشغور الان) ـ البارا ـ وادي مرتحون ـ أفاميا · وأكد معظمهم مشاهدتهم بقايا هذا الطريق · وما تزال تشاهد بقاياه بين (دار صوباط) (بشلا) عبر وادي مرتحون· غزاها الفرس عام ٦١٤ م ولكنهم دحروا عام ٦٢٨ م · فتحها العرب المسلمون عام ٦٣٧ م بعد فتح ريحا · وفي عام ٩٦٤ م استولى الجيش البيزنطي على انطاكيا ، ثم سقطت البارا بأيديهم، الى أن استردها العرب عام ١٠٨٤ م · ظلت تحتفظ بأهميتها كمركز اسقفية حتى عام ١٠٨١ م، أي قبل دخول الفرنج اليها ، والغيت نتيجة الصراع القائم عليها ، ولكن الفرنج أعادوا مركزها الاسقفي مرة اخرى، بعد استيلائهم عليها عام ٤٩٢ هـ /١٠٩٨/٩/٢٥ م بقيادة ريموند كونت دوصنجيل وتنكريد ، حيث حاصرها صنجيل ، ونتيجة هذا الحصار ، قل الماء فيها ، فطلب أهلها الامان ، ولكنه غدر بهم ، وكانوا جميعا من المسلمين ، الذين تعرضوا اما للموت قتلا أو جرى بيعهم رقيقا في انطاكيا ، وغصت البلد بالفرنجة ، وتحول جامعها الكبير الى كنيسة · وبعد أن كانت مركز أسقفية شرقية ، أصبحت بعد دخولهم أسقفية غربية لاتينية ، ورسم

ريموند أحد قسيسيه (بطرس ناربون) أسقفا على كنيستها ٠ ولكن الاحوال لم تهدأ بين الفرنجة والعرب ، في المناطق الشمالية من المحافظة ، وفي جبل الزاوية وخاصة في البارا نظرا لاهميتها الاستراتيجية والاقتصادية بين انطاكيا وأفاميا ، فاستردها الملك رضوان سنة ٤٩٦ هـ ـ ١١٠٢ م ثم نزل عنها ايلغازي بن أرتق للفرنجة ، بحكم معاهدة عقدت بينهما في ٥١٤ هـ ـ ١١٢٠ م ٠ ولكن في عام ١١١٩ م في الثامن والعشرين من شهر حزيران جرت أقوى المعارك وأشدها في المحافظة بين الفرنج والعرب في سهل الحلقة ، الواقع الان بين دانا وتل عقبرين وسرمدا وباب الهوا ، انتصر فيها العرب انتصارا ساحقا بقيادة أمير حلب ايلغازي على الفرنج القادمين من أمارتهم في انطاكيا ، وبما أن قوات الفرنجة أبيدت بكاملها ، أطلق على هذه المعركة (معركة السهل الدامي L'Agersanguinis) ٠ وعلى اثرها تضعضع موقفهم وخاصة في حصن البارا ٠ ولم تمض أربع سنوات حتى استردها (بلك بن بهرام) أمير حلب عام ٥١٧ هـ ـ شهر حزيران ١١٢٣ م ومات في السنة التالية ٠ ولكن لم يمض العام حتى عاود الفرنجة احتلالها مرة أخرى ، لما لاهميتها العسكرية والاقتصادية عندهم ٠ وظلت بأيديهم ، الى أن أستردها نور الدين زنكي منهم ، بعد معركة حامية مع قواتهم ، على سفوح جبل الزاوية ، وتم له استلام البارا عام ١١٤٨ م ٠ونتيجة أهوال هذه الحروب والكوارث ضعفت المدينة ، ومع الزمن غادرها سكانها، وخاصة بعد الزلزال، الذي خرب معظم معالمها صيف عام ١١٥٧ م ٠ وستوضح نصوص الرحالة ، وحوارنا معهم ، الكثير من معالمها وواقعها الاثري ٠

١٧٣٨ ـ بوكوك : شاهدنا في جميع هذه الاماكن خرائب قرى مبنية بحجر منقور ٠ وعلى أمتداد طريقنا أتينا الى القرية الاثرية كفر Kuphr ٠ تبدو في امتدادها بلدة كبيرة فكل الابنية القائمة فيها ، وفي الاماكن الاخرى والتي سأذكرها ، مكونة من حجر أصفر منقور ، مصنوع بسهولة ٠ اما الجدران فمبنية بحجر واحد ، يبلغ سمكه حوالي ١٨ بوصة ، وهي

كذلك غير مثبتة بالحديد ولا مشيدة بالطين ، وفي مثل هذه الحال شاهدت الكثير من الجدران الجميلة ، والبالغ ارتفاعها ثلاثين قدما ، ورغم عوادي الزمن ، مازالت قائمة ، لكونها مبنية على أساس صخري ثابت • والاحجار منحوتة بدقة ومهارة ، تبدو مضمومة لبعضها كثيرا ، كأن الواحدة مشدودة بالاخرى • وتبدو الابنية في « كفر » كالقصور العظيمة جدا ، بعضها مشيد حول عدة ساحات • وكنت في دهشة من أمري ، حين رؤيتي مثل هذه الابنية في مكان منعزل كهذا • وفي وسط التلال الصخرية ، حيث لم يبق شيء من آثار رفاهيتهم • ولا يشدك أول وهلة ، غير انطباعك عنها فقط • وفي الختام أجمل ما سبق : ما هي الغاية من بنائها ؟ ! بعد دراسة الطابع الفني لهذه العمارة ، تبين أنها لابد أن تكون عائدة للقرن الرابع أو الخامس الميلادي على الاقل • فالصلبان المنقوشة فوق جميع الابواب تبرهن على أنها أبنية مسيحية • وبقرب كل دارة (فيلا) ـ مدافن • يمكن أن تكون هذه الاماكن قد أستخدمت قديما لعزلة النصارى المميزين في الازمنة الاولى ، ومن المحتمل أنهم لجأوا اليها كي يعزلوا أنفسهم عن العالم ، وكي يفكروا بآخرتهم على مرأى من قبورهم • شمال هذه البلدة الخربة قرية تدعى ELBARRAW البارا ، يفصلها عنها وعما يجاورها شبه واد ، حيث يقع حصن أثري بناؤه جيد ، وبعض المنازل المحطمة ، والتي هي ليست أكثر من بناء ، وبالمثل يوجد بئر محفور في الصخر» [٩٠] بعد عرضنا نص الرحالة بوكوك نبدي بعض الملاحظات :

١ ـ بساطة دراسته بالمقارنة مع الدراسات الاخيرة ، وهذا عائد لفراغ أرضية الدراسات السابقة ، ولانه الرائد الاول ، ممهدا الطريق للمؤرخين والباحثين الاثريين من بعده •

٢ ـ أبدى دهشته وتساؤله حين رؤيته الاطلال العظيمة في مكان منعزل كهذا قائلا (لا يوجد منظر أو رفاهية لأي شيء ممتع)

---

(90) P - D - P- 146 - 47

ولم يتعمق بتاريخ المنطقة التي كانت تكسوها ـ ومازالت ـ أشجار الزيتون والكرمة ، وخير شاهد على ذلك أوابد المعاصر وصهاريج التخزين العديدة ، سواء في البارا أو في غيرها .. ففي بلدة بحيو الاثرية الواقعة في قمة جبل الاعلى الى الجنوب من قلب لوزة ، تم أكتشاف سبع وثلاثين معصرة ، غير ما هو موجود بين الانقاض ولم يتم أكتشافه بعد[91] . كل مقومات الحضارة من عمران وزراعة وتجارة وموقع نزه جميل ، وانسان فاعل نشط ، توفرت في البارا والمدن المجاورة لها.. وما أكثرها .. وسنفصل ذلك في فصل الفصول .

٣ ـ المدافن وغيرها مما ورد ذكره، سيرد بالتفصيل مع رحلة بوركهارد وأما الوادي الواقع بين الكفر والقرية الحالية فيدعى (وادي الجوز) والحصن الاثري يدعى (قلعة ابي سفيان) والبئر (جب علون) الذي كان يروي البلدة سابقا ، ومازال ، من الينابيع الرئيسية في المنطقة . وسنعود الى الحصن في بحوث الرحالة المتأخرين .

٤ ـ ذكر كذلك أن العمارة في بلدة البارا تعود الى القرن الرابع أو الخامس الميلادي وهي أبنية مسيحية . لكن الابحاث والدراسات أثبتت أن الكثير منها يعود الى ما قبل ذلك والقسم الاخر الى مابعد، وهي ليست جميعها نصرانية ، اذ فيها معالم اسلامية ، وكتابات عربية . وبامكاننا القول انها كانت مركز تعايش لجميع الطوائف ، رغم الحروب والكوارث التي تناوبت عليها .

١٧٦٦ ـ نيبور : زار خراب البرها كما سماها (وأطلق عليها كذلك كفر البرها) . والواقعة على مسافة ٢ر٥ ساعة من أورم الجوز جنوب الطريق الرئيسي . وقد اعتقد خاطئا أنها

---

٩١ ـ راجع الفصل الخامس ـ منطقة حارم ـ بحيو ـ . وكذلك فصل الفصول ـ الواقع الاقتصادي : آلزراعه والمعاصر .

مدينة بيروا القديمة[٩٢] ووصف معالمها تماما كما وردت عندالرحالة بوركهارد • أما أسم البرها فقد ورد عند الاخير تحت أسم البارا • وأما الرحالة نيبور ، المكتشف الاول ، اعتبرها مدينة البارية التي تعود الى روبير توموناخوس[٩٣] التي فتحها الصليبيون عام ١٠٩٨ واتخذت مركز أسقفية • وأشار الرحالة الى أن الجدران الباقية لكثير من المباني ، والتي شيدت جميعها من الحجارة المنحوتة ، تعتبر برهانا أكيدا على أن المدينة كانت قد دمرت وهجرت نهائيا، لاسيما أن الانقاض والخرائب في البلدان والقرى الاخرى ، أعيد بناؤها على شكل أكواخ مآو الاهنا ، فقد بقيت كما هي بدون الاستفادة منها[٩٤] • نلاحظ أن الباحث الالماني Ritter ريتر ، مؤسس الجغرافيا الالمانية ، وضع في منتصف القرن التاسع عشر ، كتابا ضخما عن الرحالة في عشرين مجلدا ، وخصص المجلد السابع عشر بجزئيه عن سوريا ، وعرض نص نيبور هذا ، قائلا انه المكتشف الاول لها ، مع أن بوكوك سبقه اليها •• ولعل ريتر لم يطلع على رحلة بوكوك رغم أهميتها له • وأما نيبور فقد جاء على رأس بعثة جغرافية أكثر منها تاريخية • وقد أصاب الرحالة بقوله : أنها كانت مركز أسقفية • وكما ذكرنا آنفا ، بعد احتلالها من قبل الفرنجة عام ١٠٩٨ ، واستتباب الامور ، جعل منها ريموند مركز أسقفية ونصب عليها بطرس الناربوني مستغلا اختفاء الاسقفية الشرقية منها بعد عام ١٠٨١ م •

وظن الرحالة أن أسمها أشتق من اسم شخص يدعى روبيرتو وهذا غير صحيح فاسمها اشتق قبل ذلك بكثير كما ذكرنا وروبيرتو هذا هو بذاته اسقف البارا الذي نقل الى مدينة أفاميا فيما بعد • وعندما انتخب اسقفا على البارا اتخذ اسما جديدا (بطرس) • وهذا المطران معروف لدى المؤرخين باسم Pierre D'Apamee

---

٩٢ ــ بيروا : اسم حلب في العهد السلوقي •

(93) De Bello chritianosum contra turcos lip- VI fol 67

(94) R - E - P- 1058

والذي مات في معركة سنة ١١١٩ في سهل الحلقة ، قرب دانا حارم كما ذكرنا في مطلع البحث ·

١٨١٢ ـ بوركهارد : وأخيرا بعد تجوالنا أربع ساعات ونصف ، وصلنا قرية البارا ، حيث أنهينا رحلتنا اليومية ·· استقبلنا ببرود ، مع أننا نحمل رسالة توصية لشيخ القرية من مالكها طالب افندي ، من عائلة شبلي أفندي طه زادة ، من العائلات الكبرى بحلب · على بعد نصف ساعة شمال ـ غرب البارا تقع قرية بليون ، وأكمة عالية تعتبر استمرارا لجبل ريحا تدعى (نبي أيوب) الواقعة شمال غرب البارا بعد حوالي ساعة وثلاثة أرباع الساعة ، في قمتها مقام اسلامي مقدس كذكرى للنبي أيوب بعيدا عن البارا بساعتين وجنوبا الى الغرب تقع قرية كفر نبل كما أن جبل ريحا ، والذي تشكل البارا قسما منه ، غني بالخرائب والمدن الاثرية ، التي ازدهرت في زمن ضعف الامبرطورية ، ومن بينها البارا المعتبرة والمعروفة أكثر من الجميع ، وغالبا ماكنت أسمع من أبناء المنطقة ذكرها مرارا · مما دفعني للتفكير بأهميتها طوال الطريق الى حماة · كانت الاثار بعد مسافة عشر دقائق باتجاه غرب القرية · ولدى توجهنا للبحث عن ذاك الجانب ، صادفنا كهفا منقورا في وسط خواء المدينة ، ينزل اليه بدرج عريض ، وفي أعلى مدخله نقشت هذه الكتابة ، وفوقها هذا الشكل نسختهما كما يلي ··

ЄΤΟΥСΗΚΨΣΑΝΔΙΚΟΥΣ
ΜΑΛΧΟСΓΟΥΡΑ

١٥ ـ كتابة مدفن مالكوس بن غوارس (عن بوركهارد)

شاهدنا الرسم ذاته بأشكاله المختلفة فوق بوابات عدة أبنية بين هذه الاثار · كما وجدت مجموعة الاسقفية بكاملها ، وفي

احداها نفذت أفضل الاشكال كما شاهدتها بهذا الشكل • وفي خارج البلدة بعض الكهوف المقبرية ، والتوابيت الحجرية • واما أسوار المدينة فما زالت قائمة حتى الان ، مبنية بترتيب فائق الدقة ، وبحجارة صغيرة ، يتخللها أعمدة مربعة الشكل ، ارتفاعها حوالي تسعة أقدام ، عند كل ست أو سبع خطوات • انتشرت الخرائب على بعد نصف ساعة • من الجنوب الى الشمال ، وتتألف من عدد من المباني العامة ، والكنائس ودور السكن الخاصة ، والجدران والسقوف التي لايزال بعضها قائما • لم أجد كتابة جديرة بالذكر ، فالحجر المستخدم في البناء من الصخر الكلسي الناعم ، السريع الحت بفعل العوامل الجوية ونجده بنفس الوصف في المدن المجاورة ، في خرائب جبل القديس سمعان ، حيث لا توجد كتابة باقية واضحة، ومع ذلك، علائمها مشاهدة في أماكن عديدة• مسحنا المدينة من جميع الاتجاهات ، فلم نشاهد أبنية جديرة بالملاحظة ، سوى ثلاثة مدافن مربعة بينة ، ذات قبة هرمية الشكل، أحدها تهدمت قبته الهرمية • والمساحة الداخلية بمقدار ست خطوات • وفي الطرف المقابل « للباب » يقبع التابوت الحجري ـ ناووس ـ وبناء السقف الهرمي جيد ، ومجوف في الاعلى ، بزوايا دائرية ، وبلا أي داعم داخلي • ويغطي السطح الخارجي للهرم بلاطات حجرية ، وهي نوع من العقد ، مما يضفي عليها مظهرا متميزا جدا • ويمكن أن يكون ارتفاع كل البناء حوالي أربعة وعشرين قدما • وفي أحد المدافن نافذة ، بينما الاخر شديد الظلمة • ويقع الاثنان قرب بعضهما ، بينما الثالث في جزء متميز من المدينة • وعلى نجفة أحدهم نقشت أغصان يتوسطها صليب • ان نموذج العمارة في جميع المساكن الخاصة ، مشابه للذي لاحظناه في مدن حوران، وفي الواقع مازال مستخدما في معظم القرى العربية في سوريا • ورغم هذا التباعد ، فان العمارة الاخيرة تستخدم الخشب والطين بديلا عن الحجر • وفي الجانب الشمالي من البارا، يقع حصن مبني بطراز عربي أو صليبي • كما يوجد نبع قريب منه يدعى « بير علون » وهو الوحيد المجاور للمدينة القديمة ،

والذي يكفي السكان ، كما وجدنا عدة آبار محفورة في أعماق الصخر • ولدى عودتنا من النبع باتجاه القرية الحالية ، عبرنا قرب مزار ولي مسلم يدعى ـ قبة ابن الامام أبو بكر ، حيث يروى أن ابن أبي بكر قد استشهد هنا ، وبقربه كهف فيه ثمانية حفر لدفن الموتى • كما شاهدت بعض الصخور البازلتية ، كالتي رأيتها في جبل الاحص وفي بعض مناطق حوران ••• وفي رابعة النهار غادرنا (البارا) غير المضيافة بمرافقة رجلين مسلحين ، كخفراء لنا عبر الجبل ووادي العاصي [٩٥] •••

من النص السابق نخلص الى ما يلي :

أ ـ البارا : لنا عدة استراحات في البارا •• في كل مرة نزورها نجد الجديد والطريف • عبر هذا الرحالة عن استيائه من الاستضافة غير الجيدة ، بالمقارنة مع الاستقبال الحسن في كفر لاثا •• ونحن نخالفه الرأي ، فكرم أبناء الجبل معروف ومشهور ، ونصوص الرحالة تغاير رأيه هذا • كانت قرية البارا الحالية تخص طالب أفندي وهو قريب المتوفي محمد أفندي طه زادة المعروف بالشلبي أفندي كنقيب اشراف حلب لعدة سنوات [٩٦]

(95) B - T - P- 129 - 32

(96) Bodmon - H - , Political Factions in Aleppo 1760 - 1826 carolina 1963 - P- 100

والغزي ٣/٣٠٥ •

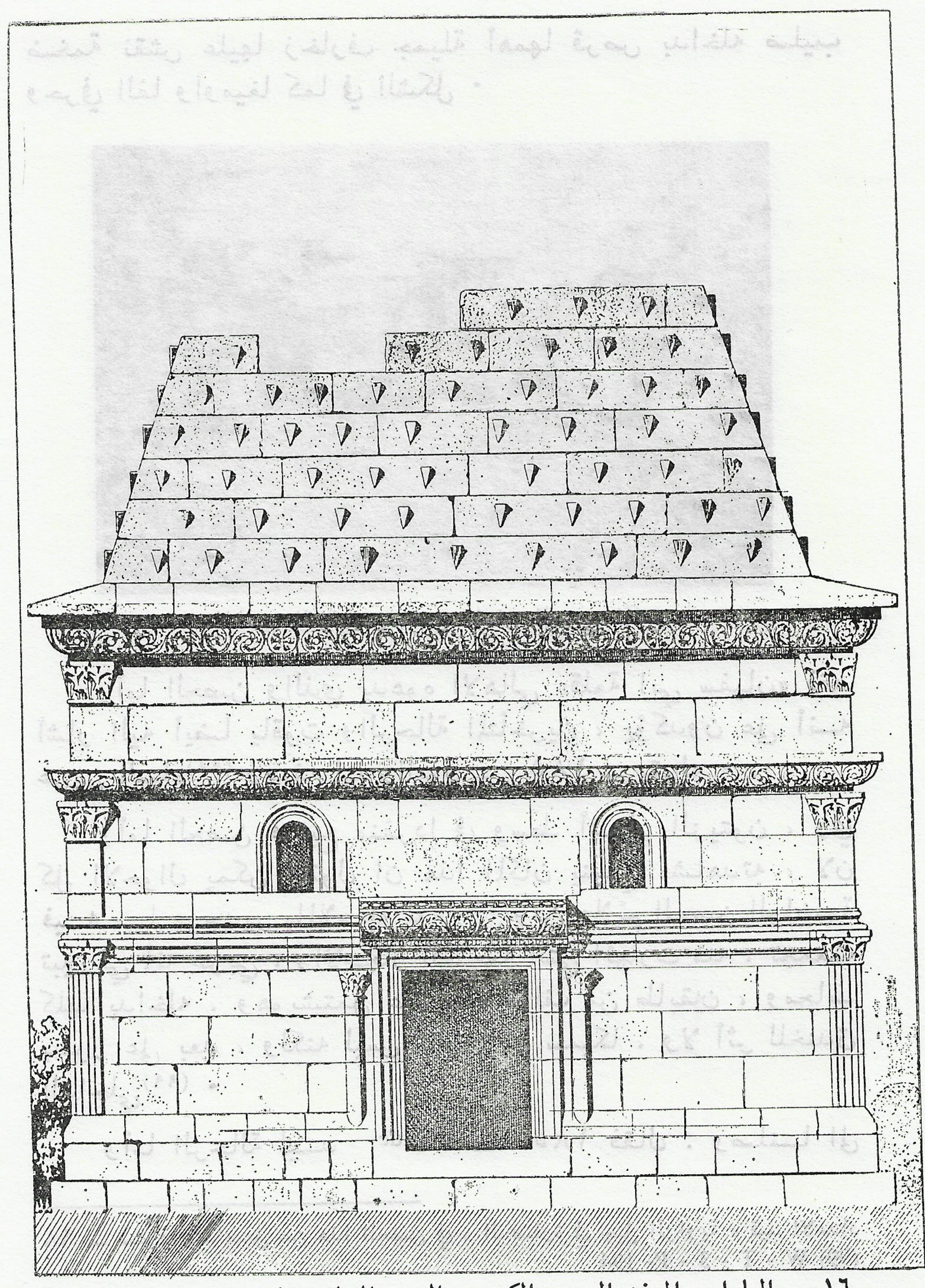
روى غاريت في رحلته ـ ١٩٠٠ ـ بعضا من طرائفه في منطقة البارا فقال «مضينا أياما عديدة مشغولين بزيارة الخراب المجاور للبارا ، نجري مسحا سريعا لضواحيها، وكان الذي شغلنا أكثر ذلك الانطباع الذي تلقيناه ، لدى رؤيتنا للاغصان الصغيرة والورق للساكفة الجميلة بمدخل المدفن الهرمي في البارا • كان شعب هذه المنطقة شديد الود ولطيفا •• ولكن بعض الذين يتبجحون بالزعامة أتوا الى سرجلا حيث كنا نعمل وحاولوا جهدهم منع الرجال الذين يساعدوننا بألا يتعاملوا معنا • ومما يثير الدهشة كذلك •• جاءنا ذات يوم خبر أن أهل حاس صادروا مئتي رأس من القطيع الذي يخص أبناء البارا • ورجال هذه القرية أسرعوا يجمعون بنادقهم وأسلحتهم الاخرى ، وتقدموا باتجاه المصادرين لماشيتهم • ولكن ضعف بساطة نظامهم وارتباكهم السريع وعدم سريتهم •• أدى الى عدم سفك الدماء • ان الحدود الكاملة للاراضي الموضوعة تحت المراقبة بين هاتين القريتين ، لم تكن محدودة ، رغم ان هذا كان السبب لرعاة مواشي البارا في المنطقة التي ادعاها ابناء حاس • AAES - 1 - 885

أما مجموعة الاسقفية التي شاهدها ، يعني بها تلك المجموعة من الكنائس ، والثقل الديني الذي تمتعت به البلدة ، اذ ظلت مركز أسقفية لغاية عام ١٠٨١ م كما ذكرنا ثم الغيت وعادت مرة اخرى ، بل ان أفاميا كانت تابعة لها . وأما الكهوف المقبرية وبعض التوابيت ، فتقع الى الغرب والى الجنوب الشرقي . كما ذكر مساحة الخرائب المنتشرة على بعد نصف ساعة من الجنوب الى الشمال ، لكن الباحثين قدروا مساحتها بـ ٣×٢ = ٦ كم٢ ، واعتبروا خرائبها مع خرائب براد الواقعة شمال جبل سمعان ، أكبر بلدتين من حيث الاتساع في شمال سوريا . كما أشار الى عدم عثوره على كتابة تذكر .. لكن الباحثين عثروا فيما بعد على كتابات يونانية وسريانية وعربية لامجال لعرضها الان[٩٧] .

وأما خرائب جبل سمعان والقديس سمعان ، فقد قدمنا فكرة موجزة عنها في الفصل الخامس ـ منطقة حارم ـ وقوله «لم نشاهد أبنية جديرة بالملاحظة» لايتطابق مع أقواله الاخرى .. كما أنه لم يزر البلدة بكاملها .. والكنائس والمعاصر وغيرها كثير . أما المدافن المربعة ، ذات القبة الهرمية ، فهي ثلاثة .. أهمها الذي ذكر كمدفن انهار سقفه الهرمي ، يعد أكبرها حجما ، وأكثرها زخرفة . قاعدته مربعة الشكل ، طول ضلعها تسعة أمتار وهو أجملها ، ذو شريط افريزي جميل ، ولذلك أطلق عليه الاهالي اسم (المزوقة) . فأوراق الاكانت المنقورة فوق مدخله واطاره ، تتخللها أقراص بداخلها صلبان ، وفوق زخرفة نجفة بابه للاعلى ، نشاهد أوراق شجرة الكرمة المشهورة في البارا وجبل الزاوية . وكذلك عواميد الزوايا فوق رأس كل منها تاج بزخرفة كورنثية بيزنطية . يحيط بالمدفن فتحات على شكل نوافذ . يبلغ ارتفاعه خمسة عشر مترا . بداخله خمسة نواويس ـ توابيت حجرية ـ

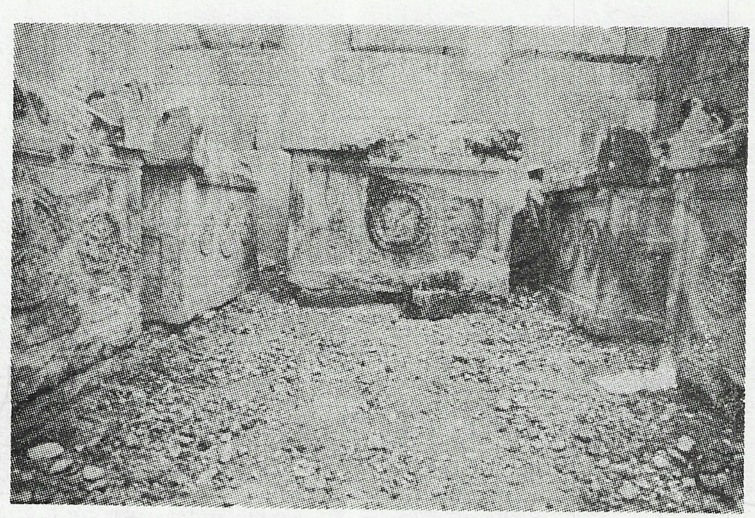
---

٩٧ ـ لعل الكتابات المكتشفة في البارا توضح لنا بعضا من تاريخها وواقعها الاقتصادي والاجتماعي . ومجال عرضها هنا يبعدنا عن سير بحثنا . ولكننا ننوه أن عدد الكتابات اليونانية ـ اللاتينية تبلغ حوالي /٢٤/ كتابة والعربية /٨/ والسريانية واحدة والعبرية واحدة ـ راجع ترجمة جميع الكتابات في كتاب الحضارة في جبل الزاوية قيد الاعداد .



١٦ ـ البارا ـ المدفن الهرمي الكبير ـ القرن السادس (عن فوغيه ١٨٦٢)

ضخمة نقش عليها زخارف جميلة أهمها قرص بداخله صليب وحرفي الفا وأوميغا كما في الشكل ٠



١٧ ـ النواويس داخل المدفن الهرمي الكبير

وأما الحصن والذي يدعوه الاهالي «قلعة ابي سفيان» فقد أشار اليه أيضا ياقوت والرحالة المتأخرين ، يؤكدون على أنه عربي البناء(٩٨) وصفه لنا والبول ـ ١٨٥٠ ـ بقوله ٠٠٠

وأما الحصن فيقبع منفردا في وسط أشجار الزيتون ، وفي كل الاحوال يمكن القول ان هذا المكان ينبغي مشاهدته ، لان فيه ما هوجدير بالملاحظة فعلا ٠٠ ومن علائم الحصن الواضحة تبين لي أنه عربي ، والاحجار الضخمة التي انهارت منه ، تجمعت كلها بداخله ، وهويشتمل على بناء مؤلف من طابقين ، ومحاط بسور على بعد ، ولكنه ليس شامخا أو سميكا ، ولا أثر للخندق الداخلي(٩٩) ٠

وأما الرحالة ليد Lide ـ ١٨٥٠ فقال : وصلنا الى

---

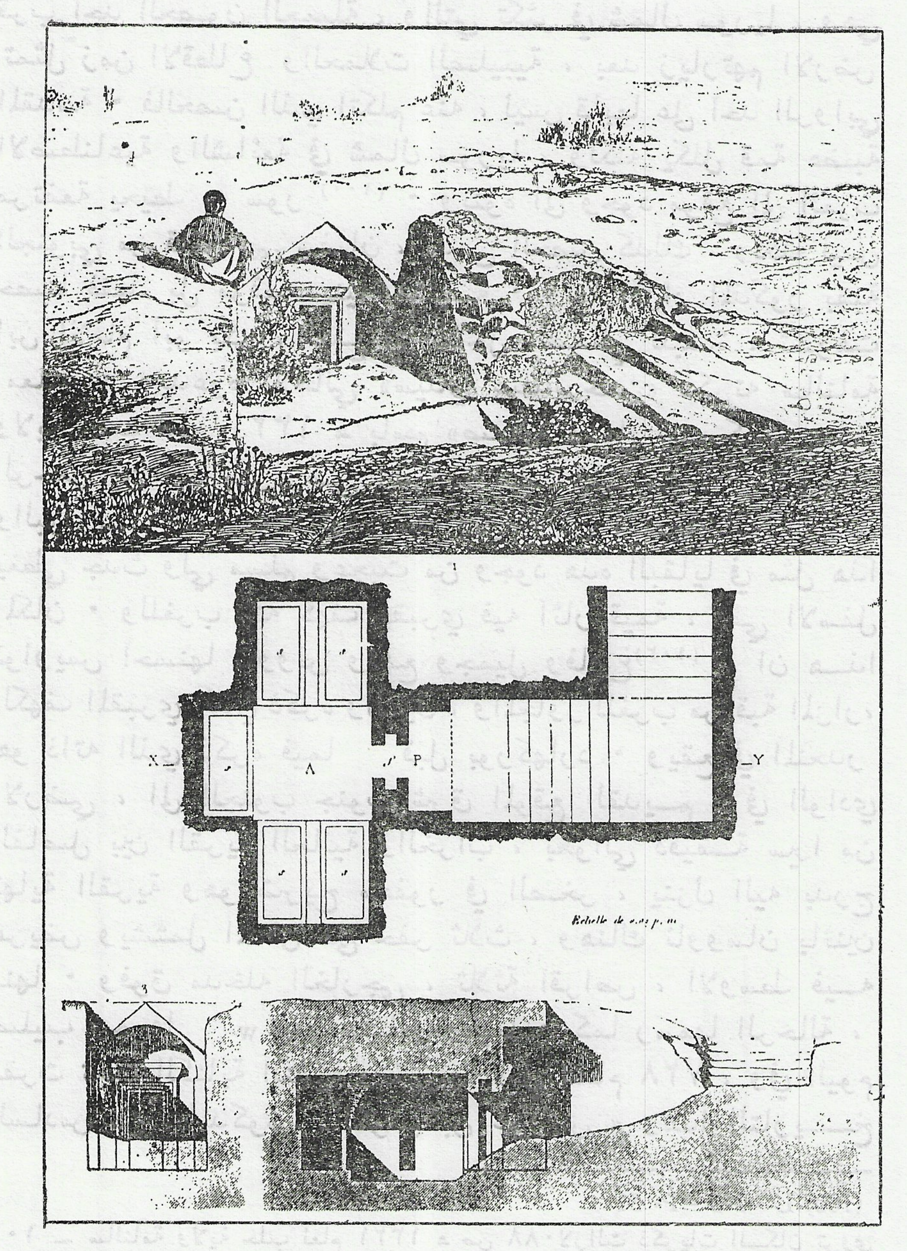
٩٨ ـ سترد التفاصيل عن هذا الحصن في « الحضارة في جبل الزاوية » قيد الاعداد
(99) W - T - 3 - P- 194

قرب أحد الحصون الجميلة ، والتي تكثر في شمال سوريا ، وهي تمثل زمن الاقطاع والحملات الصليبية ، بعد زيارتهم الارض المقدسة • فالحصن الذي أتكلم عنه ، ليس قابعا على أحد الروابي الاصطناعية والشائعة في شمال سوريا ، ولكنه يكلل قمة هضبة مرتفعة يحيط به سور (١٠٠) • وننوه الى وجود موقع الى الغرب الجنوبي من قلعة ابي سفيان ، يدعى الحصن كذلك ، ولكنه ليس حصنا فقط بل موقعا دينيا لكنيسة • وأما المزار المذكور بقبة ابن الامام أبو بكر ، فيقع في المدخل الشمالي للبلدة ، تشوهت معالمه • ويدعوه الاهالي «سيدي عبدالرحمن» ذكرته سالنامة ولاية حلب لعام ١٣٢١ هـ باسم «صحابة وأهل بيت كرام عبد الرحمن بن أبو بكر رضى الله عنه ادلب قضا سندة(١٠١) وصفه والبول ـ ١٨٥٠ ـ : فهذه قبة بسيطة من الاحجار ، وملاط يغطي جدث ولي مسلم وعجبت من وجود هذه البقايا في مثل هذا المكان • وللغرب منه كهف مقبري فيه آثار قيمة ، ففي الاسفل نواويس أحسنها ناووس واسع وجميل وفارغ(١٠٢) • ان هذا الكهف المقبري الذي ذكره والبول ، والمجاور للغرب من قبة المزار، هو ذاته الذي ذكره فيما قبل بوركهارد • ويقع في المنحدر الارضي ، الى الجنوب جنوب شرق الموقع القديم ، في الوادي الفاصل بين القرية الحالية والخراب ، بحوالي دقيقة سيرا من نهاية القرية وهو ضريح محفور في الصخر ، ينزل اليه بدرج عريض ويشتمل المدفن على حفر ثلاث ، وهناك ناووسان باثنين منها • وفوق مدخله الخارجي ، ثلاثة أقراص ، الاوسط فيه صليب وحرفا A - w ألفا وأوميغا • كما رسمها الرحالة ، نقرت تحت الكتابة التالية وتعريبها « في العام ٧٢٨ ، وفي اليوم السادس من ساندكوس مالكوس بن غوارس » وهذا التاريخ

(100) L - NS - P- 51

١٠١ ـ سالنامة ولاية حلب لعام ١٣٢١ هـ ص ٨٨ • لازالت ذكريات السكان تروي استشهاد الكثير من الصحابة فوق أرض البارا • وأما عبد الرحمن فقد توفي بمكة الكرمة •

(102) W - T - 3 - P - 194



١٨ ــ البارا ــ ضريح مالكوس بن غوراس ــ ٦ نيسان ٤١٧ م (عن فوغيه ١٨٦٢)

بالتقويم السلوقي ، الذي كان متبعا في المنطقة . ويبدأ من عام ٣١١ م مع تأسيس الدولة السلوقية . وتاريخ المدفن يوافق السادس من نيسان ٤١٧ م (١٠٣) ومالكوس تعادلها بالعربية مالك أو ملك ، وقد سبق أن ذكرنا اسم مالكوس في بحث ريحا . وكذلك في دانا المعرة ضريح نصبت فوقه أربعة عواميد ، عليه كتابة يونانية تعريبها « بنى هذا النصب ، هفنوس بن غوارس مع زوجته أولمبيانة » وهذا يدل على شيوع هذين الاسمين مالكوس وغوارس في المنطقة . واما غوارس فهو اسم تدمري بأصله ، وقد وجد هذا الاسم في بلدة (كرانسيبش) برومانيا كما ذكر العلامة الامريكي برنتيس ـ ١٩٠٠ ـ العالم باللغات اليونانية القديمة انها بهنغاريا ، ولكنها أصبحت فيما بعد بلدة في رومانيا وهذا دليل آخر على التأثيرات الحضارية لهذه المنطقة . وحول رأي بوركهارد المتضمن عدم وجود كتابات جديرة بالذكر ، يغاير الحقيقة ، فهناك كتابات متعددة ، تم اكتشافها فيما بعد يونانية ولاتينية وعربية وهذا دليل على عظمة البارا والتمازج الثقافي فيها . وأما قوله ان هذه المدن الاثرية ازدهرت في زمن ضعف الامبرطورية ، فقد عنى به أواخر العهد الروماني وبداية العهد البيزنطي أي منتصف القرن الرابع الميلادي ، فتجمع السكن الاساسي ، بدأ بنهاية القرن الرابع الميلادي بين الحصن والكنيسة الجنوبية الشرقية في حدود غرب وادي الجوز . وليس لبلدة البارا سور ، كما ظن بعضهم ومنهم بوركهارد وبعض الباحثين المعاصرين فالاحجار الطولانية للاعمدة التي وصفها ، والتي يشاهدها أي زائر ، وخاصة في الشرق كسور (الدير) ، وهي عادة تكون اسوار خاصة بالدارات ـ فيلات ـ وانظررسم (دارة) دير صوبياط كما كانت ـ والتي كانت تعرش عليها أشجار الكرمة ، وهذا الفن في ترتيب الحدائق معروف بعظم بلدان المحافظة الاثرية ، كما وجدنا ذلك في مجليا احدى ضواحي البارا ، وكفر دريان بمنطقة

(103) V - SC - P- 108 , PL 80 , AAES - 3 - P - 176 , IGLS - V 4 - P- 146

حارم • وكذلك قوله الاخر : لم نشاهد أبنية جديرة بالملاحظة سوى المدافن • فيغاير الحقيقة والواقع ، فبقية الرحالة والباحثين أسهبوا في الوصف اعجابا بهذه البلدة ، بل في كل زيارة نجد الجديد والجديد : دارات ــ معاصر ــ كنائس ــ أديرة مدافن ــ حصن ــ مساجد ــ كتابات ــ نقوش ــ وزخارف •• فنزداد أعجابا بأجدادنا بناة هذه الحضارة ، فانجازاتهم تنطق أمامنا كل يوم •

وبالنسبة لمناطق حوران فشأنها معروف، بحضارتها وأوابدها العظيمة الواقعة في جنوبي سوريا • وجبل الاحص الذي ذكره الرحالة بوركهارد فيقع للشرق من المحافظة • عرفه ياقوت بقوله « كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع ، بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب • قصبتها خُناصِرة ــ اسمها الان خناصر ــ مدينة كان ينزلها عمر بن عبد العزيز ، وهي صغيرة ، وقد خَرِبت الان الا اليسير منها » كما ذكرها كذلك جرير في شعره وغيره من الشعراء • تم اكتشاف كنيسة فيها من قبل الرحالة برتون ودريك عام ١٨٧١ •

ب ــ نبي أيوب : أعلى قمة في جبل الزاوية ، أرتفاعها ٩٣٩ م سميت بذلك لوجود مقام مقدس للنبي أيوب عليه السلام ، بني على الطراز التركي البسيط في العمارة كتكية ، فيه ثلاث قبور •• ومياه يقال انها كبريتية ، يقصدها الناس للاستشفاء من بعض الامراض !! ويضيف الباحث الالماني في ابحاثه عن الرحالة بقوله « وقد كان الجبل المخروطي المدعو جبل النبي أيوب محط أنظار الجميع ، ينبثق من السهل صاعدا للاعلى ، وعلى قمته الضريح الذي يعتقد أنه يضم رفات النبي أيوب ، الذي كان كما تقول الاسطورة أكبر بمئة مرة من طائر العناق Anak وأقوى بألف مرة من شمشون Simson الجبار [١٠٤] ومما يلفت الانتباه

١٠٤ ــ R - E - P- 1064 طائر حزا في كبير الحجم ضرب المثل به «حلقت به في الجو عنقاء » أي هلك وبطل • وأما شمشون فهو البطل الذي استمد قوته من شعره وقصته مع دليلة وحكايته مشهورة في التاريخ الفلسطيني •

الانتباه كثرة المزارات والمقامات للانبياء والاولياء بالمحافظة . اذ ذكرت سالنامة ولاية حلب لعام ١٣٢١ ه وجود مقامات مقدسة لانبياء عظام وهي : هود وأيوب وشيت في قضاء ادلب ويوشع في قضاء المعرة (١٠٥) وكذلك هناك مقام نبي الله لؤي في سرمين بمحلة تسمى باسمه ، وهي الجنوبية الغربية . ذكر الرحالة برشم حين زيارته سرمين ـ ١٨٩٥ ـ وجود قبة النبي نوح كمقام له ومسجد صغير جنوب غرب الجامع الكبير ومن الجهة الجنوبية للبلدة (١٠٦) وحين زرنا الموقع ـ ١٩٨٥ ـ وجدنا أطلالا دون معالم جديرة بالوصف . وهذا ما جعل ياقوت ينسب سرمين ـ خطأ ـ الى اليفز بن سام بن نوح كما ذكرنا في الجزء الاول .

١٨٤٦ ـ طومسون : ذكر الباحث الالماني ريتر (١٠٧) أن طومسون وصل الى كفر البارا ، وهو في ذروة دهشته من هذه الاثار والاطلال المتناثرة فوق الجبل باكمله من زمن المملكة البيزنطية وكأنها بومبي الثانية كل شيء مازال فيها قائما وبحالة جيدة تقريبا . ثلاث ساعات بكاملها ـ يقول طومسون ـ وهو ممتط دابة ، يتجول في جميع الاتجاهات خلال وفوق هذه الاثار والاطلال ، دون أن يعي أو يتذكر ماذا يفعل . لقد تملكته الدهشة واستبد به العجب ، من كل ما رأى وشاهد . ومضى الوقت سريعا ، أكثر مما يتوقع ، لكي يتمكن من الوصف الدقيق لكل هذا .. ان أول ما يطالعك وأنت قادم من الشمال ، ذلك الحصن العجيب المدهش ، والمحاط من جميع جهاته ـ حتى ذلك الوقت ـ بعدد لايحصى من الاقبية المقوسة الهائلة ، التي كانت بحالة جيدة جدا الى درجة يخالها المرء بنيت من الاعلى للتو والحين . أما الابنية التي حملتها هذه الاقبية يوما ما ، ويعتقد أنها أتت من عهد الغزو الصليبي ، أو الزمن العربي ، فقد تهدم معظمها . كانت البارا لفترة زمنية تحت الحكم الصليبي ـ الفرنجي ـ اذ أخذت من قبل

---

١٠٥ ـ انظر الرحالة في محافظة ادلب جـ ١ ص ١٣٩ .

(107) R - E - P- 1064 , 1065

(106) B - V - P- 61

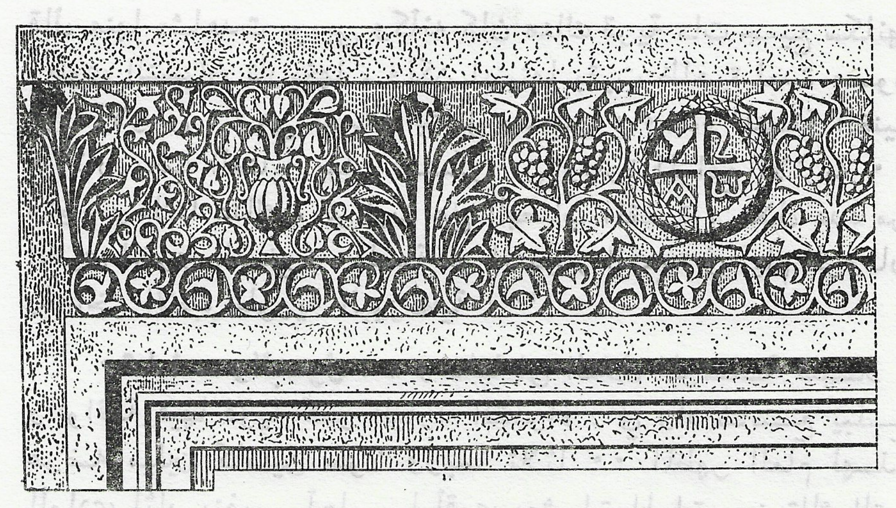
الكونت ريموند كاقطاع له عام/١٠٩٨/ واتخذ منها مقرا لاحدى التقسيمات الادارية الكاثوليكية BISTHUM اسقفية والتي أعترفت بها البطريركية بانطاكيا • وتـم تجهيـز نصف المدينة والمحيط التابع لها • لقد كانت مدينة محصنـة بصورة جيدة ، ولكنها سرعان ما تعرضت عام ١١٠٤ ثم في عام ١١٢٣ مرة اخرى ، للقوى الاسلامية ليأخذوها مرة اخرى ، مثل كثير من المدن المجاورة ، والتي كانت تابعة لامارة انطاكيـا ومأهولـة بالنصارى ـ سرمين وقنسرين ـ وكفر طاب ومعرة النعمان وغيرها من المدن• ورد اسم البارا في بعض المصادر BORRA , BARRA (١٠٩) وذلك مثلا عند دي بيير فرانكوس • ان بعض االصور والنسخ المأخوذة من قبل طومسون لبعض الاخبار المتعلقة بتلك المنطقة ، تعود في أغلبها الى تلك الازمان • صحيـح أن بوكوك ذكر تلك الاثار في كل من ريحا والبارا ورويحا ، ولكن وصفه وكتابتـه لاتعطي تحديدا دقيقا ومعتبرا للامكنة ، لان معلوماته لاتقدم الا تصويرا جغرافيا قليلا • وفي مأوى آخر من آثار المدينة التقى طومسون ببناء واسـع ، ومترامي الاطراف ، وبداخلـه معصرة عنب ذات جحر كبير ، لها فوهة تلقى من خلالها عناقيد العنب • وكذلك تنمو اليوم هنا وتتكاثر بين هذه المباني والاثار ، ثروة غير عادية من العرائش ذات العنب اللذيذ والشهي • ومن بين مجموع الكنائس استطاع طومسون أن يتفحص احداها بدقة كانت كبيرة ، وبهية ، بطول ١٥٠ قدم وعرض ١٠٠ قدم ، مزينة من الخارج والداخل بعواميد منقوشة بشكل جميل ، ولكنها بشكل عام مهدمة • وفي كل مكان اعداد لا تحصى من الصلبان المنقوشـة • ولا يلاحظ المرء أية اسوار أو جدران للمدينة ، فالحصن كاف

---

١٠٨ ـ WILKEN تاريخ الغزو الصليبي ـ الجزء الاول ص ٢٣٩ عن ريتر ص ١٠٦٤ •

١٠٩ ـ سيبوستيان باولي كوديك ـ الجزء الاول ص ٤٢١ عن ريتر ص ١٠٦٤ يقصد مصادر الحروب الصليبية •

١١٠ ـ لم نتعرض بالحديث عن كنائس البارا ، والتي يبلغ عددهـا خمسا لطبيعة الموضوع وكذلك مساجدها • فلهذا بحث مستقل آخر •



١٩ ـ البارا ـ من نقوش الكنيسة الرئيسية ـ القرن الرابع ـ الخامس

لحماية المدينة والدفاع عنها . ان الكثير من هذه الاثار البهية في هذه المدينة ، والتي كنت يوما ما مزدهرة ومزدحمة بالسكان ، تغرق اليوم في هذه البرية التي يقبع تاريخها في ظلام شبه دامس . وفي الوقت ذاته يقع المرء في حالة دهشة حقيقية وكذلك لم يستطع (دي فورست) الامتناع عن مقارنة هذه المدينة مع بومبي Pompi الايطالية ، رغم عدم وجود براكين تغطي المدينة ، ولكن كل شيء بقي هنا مكشوفا ، بعد أن غادر السكان مدينتهم بتأثير قوة غير معروفة،وقدرمجهول.وكماقال ايلي سمث(١١١) عام ـ ١٨٤٨ ـ ان جميع آثار هذه المدن ، بدت كما لو أنها هجرت فجأة وبدأت تفقد معالمها ، وتتهدم بتأثير العوامل «الطبيعية فقط» لقد جمع ريتر هذه النصوص لهؤلاء الرحالة معلقا عليها ببعض من آرائه المأخوذة بأصلها عن كتب الحروب الصليبية ، وبين لنا بعضا من تاريخ البارا . وقد شبه الكثير منهم البارا ببلدة بومبي الايطالية، التي دمرها بركان فيزوف عام ٧٩ م والتي دثرت تحت الارض وتم اكتشافها في هذا القرن . وكذلك الرحالة ليد ـ ١٨٥٠ ـ

---

(111) R - E - R- 1066

قال عنها «شاهدت بومبي وكأنه كان هناك قرية مات جميع سكانها وطوى النسيان تاريخها ، ولكن ابنيتها بقيت ظاهرة لعدة عصور فوق الارض ، وهي مصانة بشكل مدهش • وهذه المنطقة الغنية بالآثار يجب العناية بها ، لنتمكن من زيارة المواقع الاثرية •• وأيام رحلتنا هناك ، تركزت على الهضاب المقفرة ، خلال عدد من القرى القرى الصغيرة ، المبنية من الاحجار الكبيرة في أيام الرومان وأواخر الامبراطورية البيزنطية (١١٢) •»

١٨٥٠ ـ والبول : « وصلنا الى التلال المرتفعة قليلا ، والواقعة فيها قرية كفر البارا القفراء ، في واد شاسع يبلغ عرضه ميلين كاملين طولا وربما ثلاثا •• المظهر العام لهذا الوادي أثار بنفسي أحاسيسا أقوى بعشرات المرات، من تلك التي شعرت بها في جرادة حين شاهدتها • لقد بدت القرية ، كأن لعنة حلت بها ، وكأن تلك اللعنة كانت تقول «كل المدن ستكون مقفرة بلا سكان ، سأجعلها مدمرة ومهجورة ، ولن يقطن فيها انسان بعد الان » تجولت ببطء في هذه البلدة المهجورة ، شاعرا براحة نفسية كبيرة ، ولما لاح الجانب الاقصى منها ، بدأت صعود الوادي الى القرية المسلمة الحديثة المسماة بذات الاسم : بدا لي المنظر قاسيا في التجوال حول هذه المدينة المهجورة •• فهنا ليس الا الموت والفناء والعزلة التامة • يشغل مدخل القرية التل في الجانب الشمالي من الوادي ، حيث توجد منازل واسعة من الطين ذهبت الى منزل الشيخ ، فاستقبلني بحفاوة بالغة » •

١٨٧١ ـ برتون : دخلت الطابق السفلي لاحد المنازل ، فوجدته في حالة جيدة • في احدى زواياه معصرة زيت ، لاحظت الاقواس الطابقية للغرفة ، كانت تساوي عرض الفراغ الذي بين الاقواس ، موفرة كل قطعة من هذه الارض • وبين الاشجار زرعت أشجار الكرمة والزيتون ، والتي كانت تنمو بشكل قائم في التربة الخصبة من المدينة القديمة (١١٤) •

---

(112) L - A - P- 126

(113) W - T - 3 - P- 195

(114) BD - US - 2 - P- 212

١٨٨٨ ـ يوليان : في أحد أزقة البارا ، نلاحظ في أسفل أحد المنازل ، وتحت الافريز حجر نقر عليه هذين البيتين(١١٥) ·

✝NECTAREOSSUCCOSBACCHEIAMUNERACERNIS
QUAEBITISGENUITAPRICOSOLEREFECTA

«أمامك العصار الكوثري عطية باخوس وليد الكرمة وصنيعة الشمس الدافئة» وبالاسفل مقعد كبير من الحجر ، كنتوء مربع الشكل ، منقور في الصخر ، ورافعة بالاعلى لضغط الخشب ، ملتصقة بالجدار ، حيث يستند الدن · يسيل العصير في أحواض داخلية لترسيب الشوائب ، قبل سكبه في جرار من الحجارة ، مخصصة للتخمير · في نفس الغرفة هناك طاحونة تعمل بالزيت تماما ، كتلك المطاحن التي لاتزال تعمل في البلدة · يسحق الزيتون في دن دائري له حواف بارزة قليلا تحت رحى شاقولية ، تدوران حول قوس مغروس بشكل بارز في وسط الدن · هناك حمار يعطي الحركة للرحى أثناء دورانها حيث يجعل الواحدة الى الامام والاخرى الى خلف القوس(١١٦) وأخيرا لابد لنا من وقفة خاصة عند هذه المعصرة الواقعة في وسط الخراب بالجهة الشرقية من المزوقة · وهناك معصرة اخرى تم ترميمها ، واقعة بالجهة الشمالية من الاولى أي في الشمال الشرقي من المزوقة · وأي زائر يلاحظ أنهما حفرتا في الصخر ، بل كل البناء محفور في الصخر ، بباطن الارض ، وهذا منتهى الابداع الفني والجهد اليدوي والرحالة آهتموا بالاولى دون الثانية ، لكبرها ومميزاتها الفنية ، ولوجود الكتابة اللاتينية عليها ، وهي رغم مضمونها الوثني ، فانها تعود للعهد المسيحي ، وبلا شك نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس الميلادي ، أسوة بالنصب الاثرية الاخرى في

---

(115) VSC - P - 85 , AAES - 3 - P- 173 , IGLS - 4 - P - 139 , VASN - - 2 - PLCXLIX
(116) J-S - P- 217

البارا[117] • ولهذه الكتابة شبيه بشكل حروفها ومحتواهـا ، لكتابة اخرى في صيدا والتي تعزى الى انتيغون تشكيل الاســوار البحرية ، ولكن كتابة معصرة البارا أسبق منها بحوالي مائـة عام [118] وأما اسم باخوس المذكور في كتابة معصرة نبيذ البارا : فهو اله الخمر والمجون والكرمة عند اليونان ويقابل ديونيزوس عند الرومان • وسبب ذكرهم : أن نصارى البارا ، كانوا حديثي العهد بالديانة الجديدة ، وما زالت بعض الافكار الوثنية سائدة بعض الشيء • وقد تم استخدامها ثانية من قبل الفرنجة بعـد احتلالهم البارا عام ١٠٩٨ م كمعصرة نبيذ • ونبيذ البارا هذا كان مشهورا ليس في المنطقة فحسب ، بل وصلت شهرته الى روما• وقد ذكر الرحالة الفرنسي يوليان ـ ١٨٨٨ ـ « في الشمال وعند المنحدر المكسو بالبساتين والنباتات الجميلة ، نلاحظ أن الكرمة تسيطر وتتسلق الاشجار • ان عنب البارا يعتبر من أجود أنواع عنب المنطقة ، وهو معروف جدا بروما فالمنتصر أو الامبراطور (ايلاغابال) المعروف بتلك المنطقة من ســوريا ، والذي كان يجلب الى روما كميات كبيرة منه ، من أجل جياده • ولو كانوا قد اعتنوا بالاشجار أكثر لكان مردودها أوفر ، لكنها الان كما في سوريا قد استعملت بشكل سيىء ، للاستفادة من خشبها • ان أشجار التين الوحيدة التي تعطي مردودا جيدا ، لان خشبها له أستعمالات كثيرة ، وتتطلب جهدا كبيرا[119] » • أصاب الرحالة يوليان برأيه حول جودة عنب منطقة البارا وشهرته في روما باسم لاتيني Uvae - Apamerae والذي كان يجلبه الامبراطور الروماني ايلاغابال Elagabale الى روما بنفقات باهظة ويطعمه لخيوله[120] • وأصل هذا الامبراطور من سوريا • ولد بحمص باسـم (مرقس انطونيـوس ٢٠٤ ـ ٢٢٢) وهـو مـن سلالة ساويروس،وأحدكهنة إِله حمص (الاله الشمس) سيد الكون

(117) VSC - P- 85 , AAES - 2 - P- 270

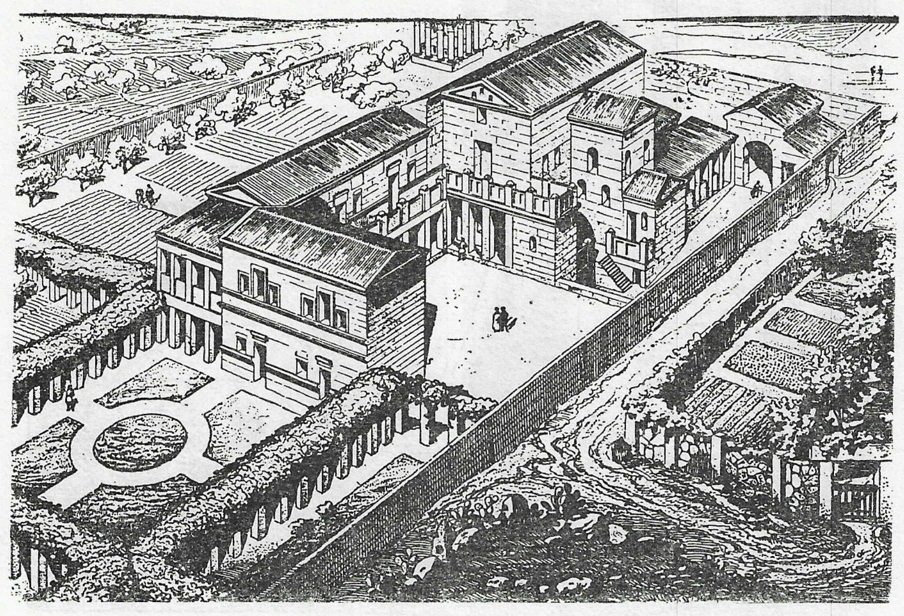
ذكر بطلر أنها من القرن السادس ، غير أننا نرجح رأي فوغيه نهاية القرن الرابع الميلادي لتمازج الثقافة الوثنية مع النصرانية في الكتابة المنقورة •

(118) IGLS - 4 - P- 139 (119) J - S - P- 211 (120) IGLS - 4 - P- 139

٢١ ـ البـارا ـ المعصرة (عن فوغيه ١٨٦٢)

ونقل عبادته الى روما • وكان يميل الى مذهب توحيد الاراء ، وجسده باحتفاله بابهة بزواج بعل حمص ، والذي كان هو الاكبر وحمل اسمه• عين امبراطورا عام ٢١٨ م وأغتيل عام ٢٢٢ م مع والدته يوليا باسيانا ، وقد كانت أميرة سورية ولدت بحمص • وكذلك ذكر وادنغتون العلامة بالكتابات القديمة ــ ١٨٨٠ ــ انه وجد عنب كرمة البارا مازال الى الان ، نكهته لذيذة وطعمه حلو المذاق ، كما كان في السابق له شهرته والتي وصلت الى روما •

يوليان ــ ١٨٨٨ ــ «وهناك مبنىً كبيرا مشيدا على مرتفع بين المقبرة الكبيرة للبارا ، والحي المؤدي الى مغادرتها وبعده المتميز يجعل المسافر فضوليا ، يظن أنه دير للراهبات ، والذين لايعرفونه يسمونه دير صوباط (دير اليزابث) • من المحتمل كان في العهد الصليبي مقصدا أو مزارا • كان في القرن الخامس ــ فيلا ــ دارة واسعة لاحدى الاسر الثرية • فالملحقات والاصطبل وبيت المؤونة، وحجرة البوابين والخدم، جميعها معروفة • وجدار



٢٢ ــ البـارا ــ دير صوباط كما كان ــ القرن الرابع ــ الخامس
(عن فوغيه)

سور الحديقة الجميل ، وعرائش العنب الكبيرة ، قائمة على ركائز عالية من الحجارة وكذلك نوع هذا السكن لاحد أعيان المدينة ، تعطينا فكرة كبيرة عن المنزل فمن خلال تصميمه الداخلي ، يغاير المساكن التي وصفناها ، اذ هو نسيج وحده ، مشابه للمنازل البرجوازية الحديثة ببيروت ،وبعض المدن السورية • اذ أن كل الغرف وغرفة الطعام ، تطل على غرفة واسعة مركزية ، أكثر اتساعا وارتفاعا ، ومزينة بشكل أفضل في الغرف الاخرى • اثنان من تلك الابواب مزينة بمونغرام لاسم المسيح • لاتزال جدرانها محتفظة ببقايا المرمر • وفي الطابق الارضي غرفة المؤونة ، مزودة بجرار حجرية تستعمل كبراميل • وفي وسط ذلك الخراب الكثيف ، يلفت النظر رؤية هذه المقابر وهي بلا شك مقابر الاجداد والعائلات التقية ، التي كانت تعيش في تلك الامكنة ، انها قريبة من المدخل ، في زاوية الحديقة مجموعة من القبور الواسعة المنقورة بشكل أحواض في الصخر ، وليس بعيدا الى الغرب ، أمام اطلالة السكن ، نجد تابوتين ، تحت معبد مكشوف ، يرتكز على أثنتي عشر عمودا • أما المبنى الذي يشرف على الشارع العام ، فقد انهار ، لكن آثاره تدل على أنه كان أجمل مايزين الحديقة (١٢١) • »

من نص الرحالة السابق ، توضحت لنا بعض علائم دير صوباط والتي تبدلت قليلا • يعود تاريخ بنائه الى نهاية القرن الرابع وأوائل الخامس أي العهد الروماني البيزنطي • ففي الغرفة الكبرى زين بابان فيها بمونغرام ــ قرص ــ مسيحي احدها فيه صليب وحرف × والاخر حرف X , P وألفا وأوميغا مؤلف من طابقين للسكن ، علوي وسفلي يتقدمهما رواق يطل على باحة مربعة الشكل ، وملحقاتها ذكرها لنا الرحالة يوليان ، ونضيف أن دنان الخمر ــ جرار النبيذ ــ يوجد مثلها في معصرة النبيذ المذكورة ، آنفا ولكن بحجم أصغر • ولعل دنان الخمر التي

---

(121) J - S - P- 219

وجدتها في خربة طورين بالجبل الوسطاني ، آكبرها جميعـا ، نحتت من صخرة كبيرة واحدة • هذا وقد تباينت آراء الباحثين حول دار صوباط : هل هو دير أم دارة (فيلا) ! ذكر كل من فوغية ويوليان وبطلر وماترن أنها فيلا ، بينما ليتمان ذكر انها دير ولكن المهندس الفرنسي المعاصر جان باسكال فوردرن ذكر أنها دير في دراسته المنشورة مؤخرا عن الكنائس في منطقة أفاميا في مجلة سوريا عام ١٩٨٥ • موضحا ملامحه الرئيسية كدير وتوزيع الغرف حول صحن الكنيسة داخل الدير ونحن نرجح هذا الرأي الاخير ، لان دراسة الدير تمت بشكل مفصل من قبل هذا الباحث وقد أشار المؤرخان كانا وشابو في كتابهما عن الآثار الرومانية الى نموذجين للبيت الريفي الروماني في العــالم • الاول : دير صوباط والاخر في انكلترة • ومن يرى الرسم المنشور للفنان دوتوا لهذا الدير كما كان يثبت له مصداقية هذا القول ، وعظمة جمال البناء الفني المعماري في مدينة البارا •

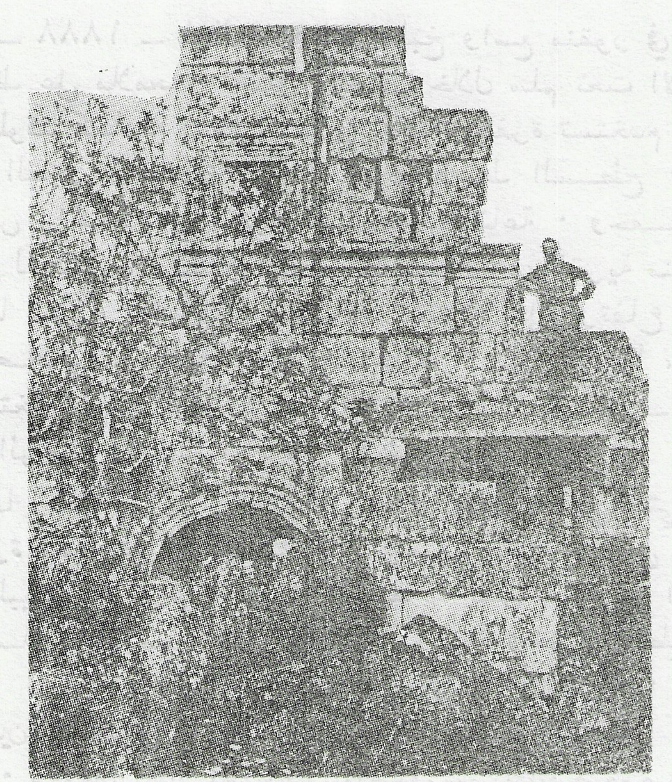
١٩٠٥ ــ بيل : ومما يثير الدهشة أن البارا أغرب وأجمل مكان في الليل والنهار ، تشبه مدينـة الاحـلام التي يتصورها الاطفال لانفسهم ، ليسكنوها قبل النوم ، يبنون قصرا تلو الاخر في عالم الخيال • ليس هناك أية كلمة أو كلمات توضح سحر البارا وفتنتها ، حتى ولا أي الهام سحري آخر في سوريا • ولو رافقت الطريق الميت أسفل الشوارع ، ستشاهد الشرفات والنوافذ المطلة عليها • ولو بحثت عنها في الحوليات فبلا جدوى ، لانها لم تلعب أي دور في التاريخ ، بل توافقوا ليعيشوا بسلام ، ويبنوا لانفسهم بيوتا عظيمة ليقطنوها ، ومدافن جميلة ليرقدوا فيها بعد موتهم • وجدنا الخربة والصلبان المعكوفة فوق الابواب والنوافذ • ويكفي الحكم عليهم من خلال مشاهدة آثارهم ، بأنهم كانوا فنانـين ، ويدل على ذلك الزينات والزخـارف والنقوش على الاحجـار • استمدوا من الاغريق أصول الزراعـة والفنـون ، ودرسوهـا ليمزجوها في حضارتهم ، وصهروا معهم روح الجمال ، وسـحر الشرق ، والتى ما تنفست الا وكان لها تأثير على الغرب ، وعاشوا

يوليان ـ ١٨٨٨ ـ فقال « هناك مطبخ واسع منقور في الارض قد حافظ على ملامحه • نصل اليه من خلال سلم تحت الارض • فشكل الموقد كطاولة (مجلى) • وفي الجدار حفرة تستخدم كمدخنة لخروج البخار والدخان الى الفتحة في وسط السطح • نقرت الاحواض والمداخن في الحجر الداخلي للقاعة • وحفر اخرى تستخدم للغسيل ، وتعليق أدوات المطبخ • وفي القرية منزل آخر يبدو لنا حظيرة (أصطبلا) جميلة ، منقورة على ارتفاع متوسط بحفرة صخرية ، مغلقة بحجارة داخلية • وفي الزوايا ، تبدو حفر استخدمت كدعامات لربط الخيول »[١٢٦] وفي عام ـ١٨٩٥ـ زارها الرحالة والعالم الاثري الفرنسي ـ برشم Berchem ليقدم لنا وصفا اثريا ، لبعض بيوتها وأزقتها ، وهي التي التقط لها صورة تظهر فيها شخصيته فقال يصفها لنا : وهي واجهة متهدمة لبيت يقع قرب الكنيسة المضلعة • يطل بابها على الزقاق ، ولكنه مسدود في قسم منه بحطام مبنى آخر ، وغطى السطح الاولى للبناء • نشاهد قوسة ذات بطن مليء بثنايا مزخرفة • ومن ثم الى اليمين متصلتان • والشكل المسطح للمشرقية يطل على هذا الزقاق • وفوقها اطار استندت عليه نقوش نافذة صغيرة مستطيلة والى يسار النافذة ، نميز خلف شجرة التين عضادة مزخرفة، فوقها تاج كورنثي بهي ، يشكل قسما من الرواق الخارجي المفتوح على الكنيسة • وفوق النافذة بقايا زينة علوية ، وخرائب الافريز العلوي تتحاذى باتجاه السماء • وأما الصورة الاخرى ، فتمثل الواجهة الجنوبية للكنيسة المضلعة بأفاريزها المزخرفة ، ونوافذها المقطوعة البطن ، بشكل حجر واحد ، حسب طريقة متداولة جدا ، في البناء المسيحي بشمال سوريا • الى اليمين ، للاعلى درابزون السقف ، ذي مجرى يغطي صحن الكنيسة وملحقاتها • الناحية السفلية ـ أشد لليسار ـ تشكل احدى زوايا الجوانب المضلعة ، المستندة الى الغرب[١٢٧] وحين زرت هذه الكنيسة صيف عام

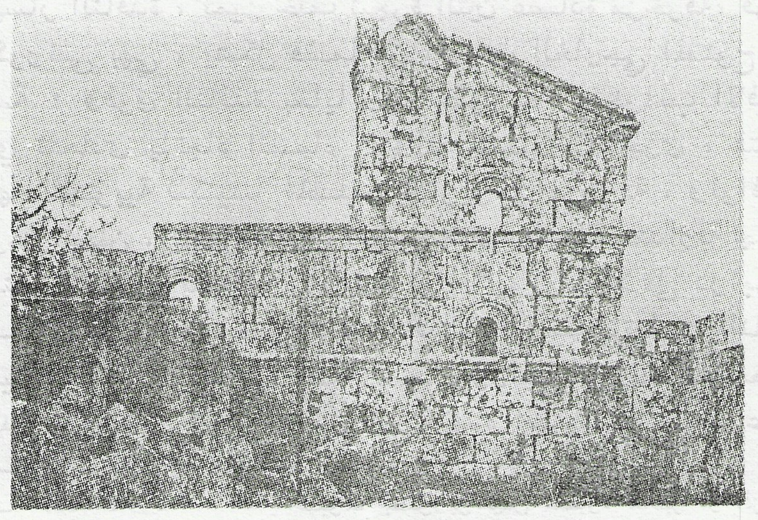
---

١٢٦ ـ S - P- 217 - اعتبرها بطلروبرنتيس معصرة للخمر أو الزيت

(127) B - V - P - 195 - 96



٢٣ ـ مجليا ـ الرحالة برشم واحدى الدارات ـ١٨٩٥ ـ



٢٤ ـ مجليا ـ الكنيسة المضلعة كما صورها ـ ١٨٩٥ ـ

١٩٨٤ ، لم أجد القسم الاعلى من واجهتها الجنوبية ، كما صورها لنا برشم • يعود تاريخ هذه الكنيسة الى القرن السادس الميلادي ، بيما الكنيسة الجنوبية الاخرى ، فتعود الى القـرن الرابع(١٢٨) وهي من النوع البازليكي ، ولكن الشمالية مغايرة للجنوبيـة ، كونها مضلعة ، أي كثيرة الزوايا ، وهي وحيدة نموذجهـا ، ولا يوجد غيرها بالمنطقة • ولامجال لذكر التفاصيل عن هذه الكنيسة المتميزة ، وسنعود اليها في بحث آخر ، وأخيرا فان مجليا لم تنس السيد المسيح عليه السلام وأمه مريم العذراء في كتاباتها • فعلى أحد المنازل الواقعة بالمركز الغربي للبلدة كتابة باللغة اليونانية • وتعريبها : (السيد المسيح بن مريم) (١٢٩) •

سـرجلا

تقع هذه البلدة الاثرية الجميلة جنوب شـرق كفر البارا بمسافة ٣ كم ، وقبل الوصول اليها بـ ١ كم ، تشاهد على يمينك أطلال قرية (بعودة) التي ذكرها الرحالة ، وأثارت اهتمامهم • تتوضع سرجلا في شبه واد منخفض واسع •• عرفت بداراتها الجميلة وحمامها وندوتها ـ القهوة ـ ومدافنها المتنوعة • والتي تلقاك حين دخولها مقبرة واسعة لنواويس كبيرة ـ توابيت حجرية ، نقشت على جوانبها صلبان داخل اقراص (١٣٠) وتعود هذه المقابر

---

(128) AAES - 2 - P- 196 , 237 , VASN - 2 - PLCXL

ـ بينما ذكر تشالنكو أنها تعود للقرن الخامس وأرجح هي من القرن الرابع ولا يمكن ان يكون الفارق قرنا واحدا ، في بلدة كهذه • وكذلك العلامة الاثري بطلر قال انها من القرن الرابع •

(129) IGLS - 4 - P- 148 , AAES - 3 - P- 187

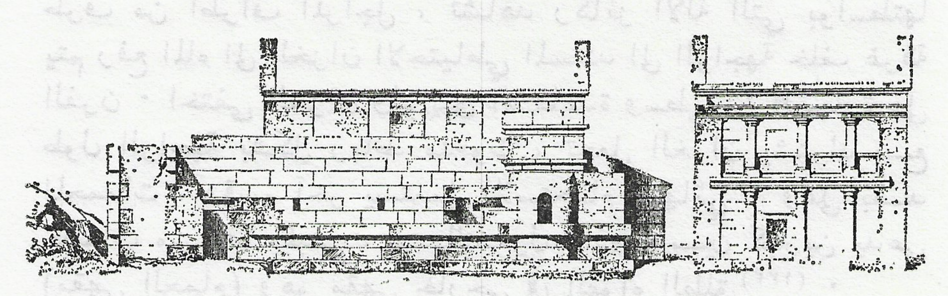
١٣٠ ـ ذكر الرحالة برتون ٢٠٩/٢ « في أغلب الاحوال ، كانت الزخرفة على البيوت والتوابيت الحجرية أكثر أو أقل زخرفا فنيا من الصليب البسيط ، يتكون الجزء العمودي منه عادة من صولجان مرفق مع دائرة لالفـا وأومغا • هذه الزخار فالدائرية ، في أغلب الاحيان ثلاثية العدد على العتبة العليا ، وثنائية أو ثلاثية فوق النوافذ ، عندمـا تكون قمتهـا مسطحة ، بعض النوافذ علوية ، لاسيما في نهاية الجملونات كونها مقوسة • ومشكاة كأنها صنعت لاستقبال تمثال صغير ، يوضـع عادة لدى كل الابواب وأيضا لدى النوافذ •

٢٥ ـ سرجلا ـ كتابة عربية كوفية

الى القرن الرابع ـ السادس الميلادي · ومن الكتابات العربية فيها ، تلك الكتابة المنقورة على القائمة الجنوبية للباب الغربي للجامع مقياسها ٦٦×٢٢ سم · مضمونها « الله ومحمد» وهي كتابة كوفية منقورة بشكل أفضل من الكتابة الموجودة على ساكفة أحد الجدران الجنوبية لبناء منزل قديم قرب المقبرة ١٩٦×٨٠سم « بسم الله نادى بن محمد » وهو اسم مالك هذا البيت في العهد الاسلامي ، مكتوبة بخط كوفي رفيع ووصلت الكلمتان مع بعض بكلمة واحدة ، وهي غير منقطة (١٣١) لقد اشتهرت سرجلا بداراتها الكبيرة المجمعة في مركزها بالجانب الشرقي منها أشار الى احداها الرحالة برتون ودريك ـ ١٨٧١ Burton and Drake فقالا (لدينا وصف دقيق لاحد هذه البيوت ، فزخرفتها الواضحة بشكل كاف تشير الى أنها مسيحية مع قليل من التغير · يتكون المبنى من لبنات حجرية كلسية مستطيلة كبيرة ، مركبة بدون ملاط · والطابقان الارضي والعلوي ، لهما نفس التركيب ، حيث الرواق العريض يحاذي طول البيت ، مدعم بمجموعتين من العواميد ، شكلها عادة دائري ، ولكنها أحيانا مربعة · واما التي في الطابق الارضي ، فأقل زخرفة من التي بالطابق العلوي · ومن الخلف غرفة تحاذي طول الغرفة ، ومقسمه أحيانا الى غرفتين أو ثلاث ، وتقويسه لدعم أرضية الغرفة العلوية · وللبيت نهايات مثلثة الزوايا ، والسطح المركزي منحدر بزاوية تتراوح ما بين

١٣١ ـ PAES - 4 - P- 80 · ويقع الجامع جنوب الكنيسة · ونجد فيه بقايا المحراب وفوقه كتابات يونانية ·

٥٣٥ ـ ٥٤٠ ، تلك التي تغطي الشرفة الامامية ، وأحيانا مجموعة من الغرف في الخلف بزاوية مقدارها ٢٥° تقريبا ، في جميع الاحوال ، السطح وأحيانا الارضية المركزية ، مبنيان من الخشب ، كما يظهر من التجاويف المصنوعة في البناء كي تحمل العوارض[١٣٢] . ولا يتسع المجال لعرض جميع نصوص الرحالة عن سرجلا ، نظرا لتشابه أوصافهم ... فالرحالة الفرنسي برشم ـ ١٨٩٥ ـ قدم لنا وصفا مسهبا لاحدى داراتها الجميلة المؤلفة من طابقين ، ومن رواق بأعمدة لكل طابق ، وكما سنجد في الندوة المجاورة للحمام ، والمؤلفة كذلك من طابقين . فيما لو تابعت سيرك من المقبرة الى جوف الوادي ، لتصل الى الحمام التي ذكرها الرحالة باسهاب .



٢٦ ـ سرجلا ـ الواجهة الجنوبية للحمام والمقهى ـ القرن الخامس

١٨٨٨ ـ يوليان : وجدنا الحمام في سرجلا ، أقل اتساعا من حمام مجليا ، لكنها أفضل من الثانية ، ولاينقصها للاستعمال غير الصقالة والآجر . وأعتقد من جهة أخرى ، من خلال الخراب ، بامكاننا دراستها بسهولة من حيث التركيب والتنظيم المعقد لتلك الحمامات . ندخل من الواجهة الشرقية المتجهة للوسط ، وفي غرفة المدخل ، تظهر أمامها غرفة انتظار ملحقة بمأوى الحارس ، ولليمين نمر بقاعة كبيرة مشتركة . في الشمال بالقرب من وسط البناء هناك ، حيث كانوا يضعون ملابسهم ، ويأتون بعد الاستحمام ،

(132) BD - US - 2 P 208 - 209

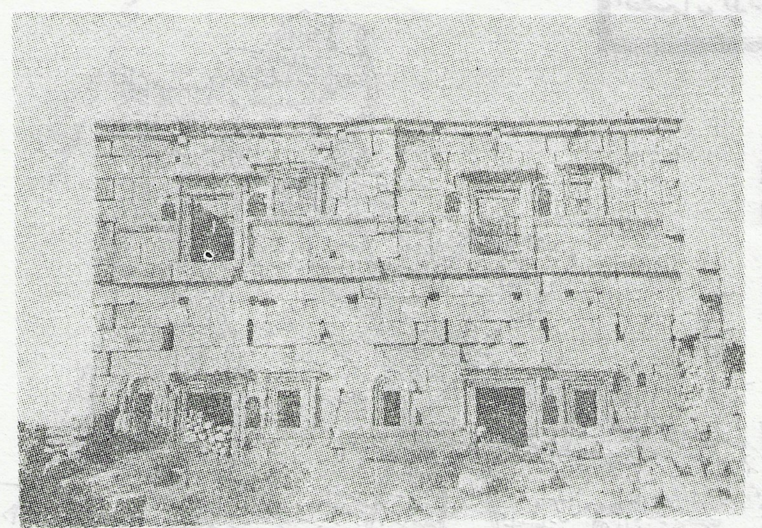
للراحة أو الاستماع للموسيقيين الجالسين في مدخل الغرفة على دكة أو منصة تستند الى أربعة أعمدة · في الطرف المقابل للباب المزين بعواميد صغيرة تؤدي الى حمامات البخار المبنية في الواجهة· لكن قبل الدخول الى المحممات يمكن التوقف بعض الوقت في غرفة تدفئتها معتدلة وعدد المحممات ثلاث ، كل واحدة مغطاة بقبة حجرية واحدة · يذهب المستحم الى غرفة ، فيها مسبح مملوء بالماء الساخن ، يشكل وسط الواجهة وغرفة الفرن ، مبنية بعدها ومعزولة بجدار سميك وقوي · ويشغل الصهريج الكبير القسم الاغلب من الشكل المستوى الموجود أمام المبنى ، يختزن المياه المتساقطة على الاسطح والارض المجاورة ، صنع غطاؤه ببلاطات كبيرة محمولة على أقواس داخلية · وفي كل طرف من أطراف المراجل ، تشاهد ركائز الالة التي بواسطتها يتم رفع الماء الى الخزان الاحتياطي المستند الى الواجهة خلف غرفة الفرن · اختفى الخزان ولم يبق الا قاعدة وسطى من الحجارة على طول الواجهة بشكل رباط منحوت ، تجعل الخزان يشترك مع المحممات ، وقسم آخر يستعمل للاستحمام النهائي · وعلى بعد خطوات من هذا المبنى ، هناك نزل ، ذو بابين كبيرين يدعى (مقهى الحمام) وهو مقهى خارجي في الهواء الطلق(١٣٣) ·

وأخيرا وليس آخرا ، نودع سرجلا ، علنا نعود اليها في رحلة أخرى ، ندرس داراتها الجميلة ، وكنيستها وديرها ، ومدافنها ، وكتاباتها وزخارفها الجميلة ·· فهل تتحقق رحلتنا الفكرية مرة أخرى !! ولتصدق رؤيا الرحالة الانكليزية بيل ـ ١٩٠٥ ـ حين زارتها فوصفتها بقولها : وفي سرجلا ذات الهواء القوي المنعش ، وريثة كل هذا الوقار والمهابة المتسمة بالاعتدال ، ذات المظهر الجليل ·· لمن الصعوبة مضاهاتها ، رغم كونها مهجورة كلية ،

---

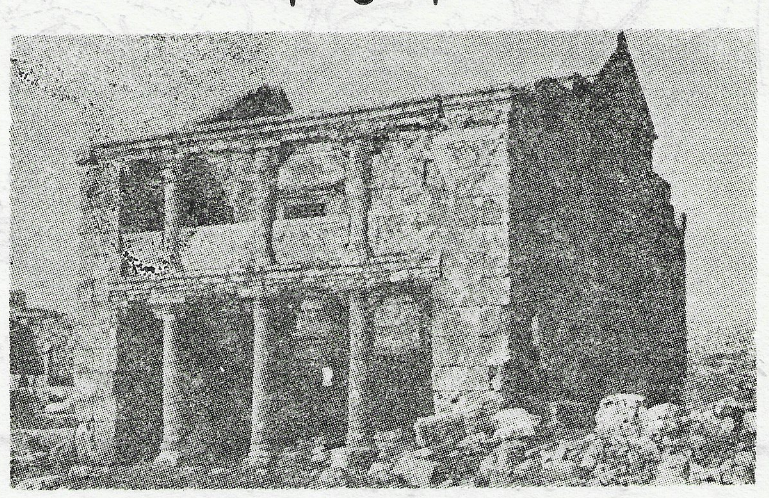
١٣٣ ـ سبق للرحالة برتون ودريك ـ ١٨٧١ ـ ذكرهما الحمام عرضا انظر ٢٠٨/٢ وبرشم ص ٢٠٠ وغاريت ص ٥٧ · ولا يتسع المقام لعرض واقع الحمام والمقهى وتاريخهما تفصيلا وسنعود اليهما في كتاب « الحضارة في جبل الزاوية » قيد الاعداد ·

وأبنيتها بلا سقوف(١٣٤) ، ونودع منطقة ريحا ٠٠ وكلنا أمل في العودة اليها مرة ثانية ، في رحلة طويلة ، نزور فيها ، مدنها الاثرية ، وقراها الجميلة ٠٠ !!



٢٧ ـ سرجلا ـ دارة مؤلفة من طابقين في الحي الشرقي ـ القرن السادس

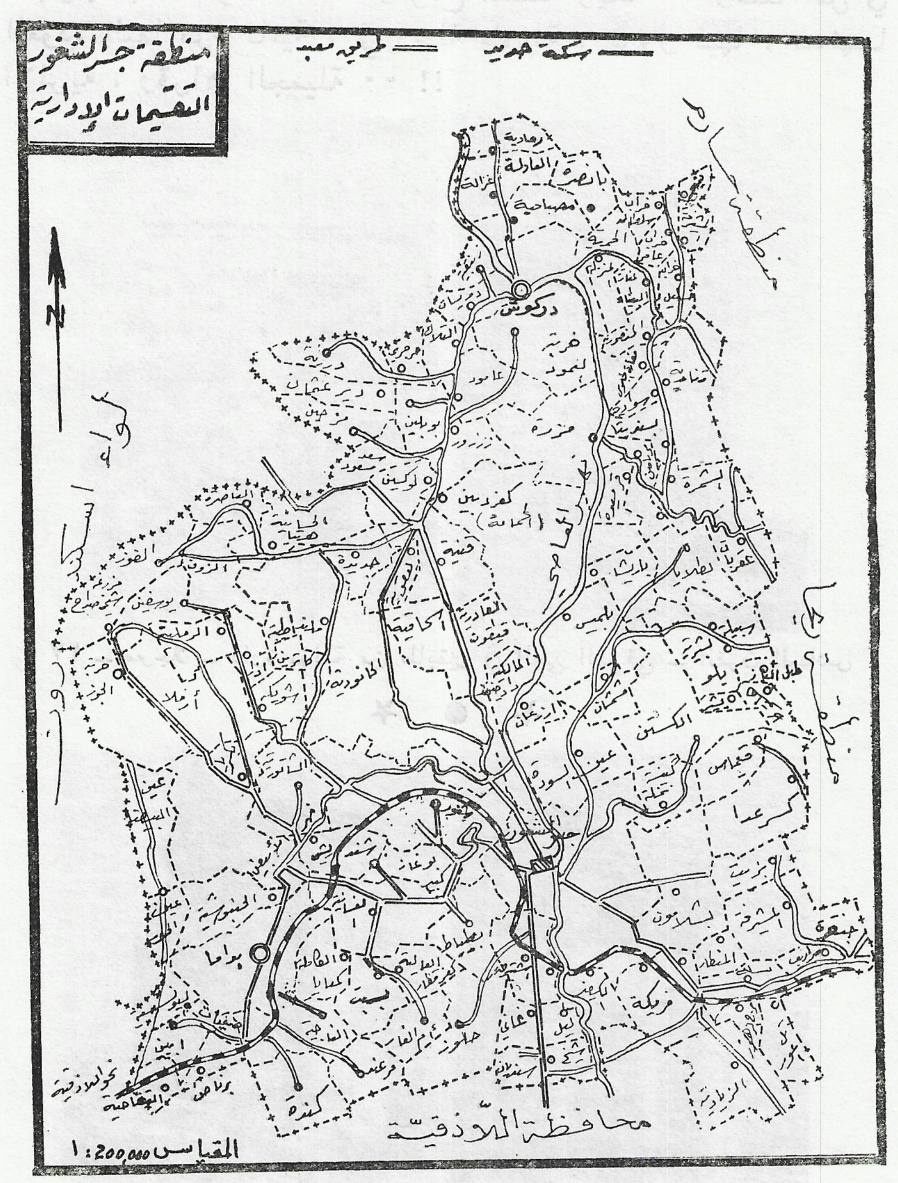
✶ ● ✶



٢٨ ـ سرجلا ـ « المقهى » القرن الخامس

---

(134) B - D - P- 250



٢٩ ـ التقسيمات الادارية في منطقة جسر الشغر

الفصل الرابع

منطقة جسر الشغور

تقع هذه المنطقة جنوب غرب المحافظة ، يحدها شمالا لواء اسكندرون (سنجق هاتاي كما اطلق عليه الاتراك) ناحية القصير في محافظة أنطاكية ، ومنطقة حارم · ومن الشرق منطقتا ريحا وادلب وحارم ، ومن الجنوب محافظة حماه ولاذقية ، ومن الغرب لواء اسكندرون ومحافظة لاذقية · تبلغ مساحتها /١١٠٥/ كم٢ وتتشكل من النواحي ١ ـ ناحية قرى مركز جسر الشغر من ٤٣ قرية و ٥٩ مزرعة · ٢ ـ ناحية دركوش من ١٤ قرية و ٣٥ مزرعة · ٣ ـ ناحية بداما من ١٢ قرية و ٣٧ مزرعة · فيكون المجموع ٦٩ قرية و ١٣١ مزرعة وقدر عدد سكان المنطقة عام ١٩٨٦ /٩٤٧٠٨/ نسمة · لم تستقر هذه المنطقة اداريا عبر العصور ، لمتاخمتها منطقة اراضي أنطاكية في العهدين السلوقي والروماني البيزنطي ، والثغور والعواصم في العهود العربية الاسلامية الاولى والاموي ، وأمارة أنطاكية في الحروب الصليبية · وقبل الفتح العربي الاسلامي كانت المنطقة الواقعة شمال (جسر الشغر ـ قلعة الشغر ـ بداما) ومعظم جبل الوسطاني تابعة لاقليم سورية الاولى وعاصمته أنطاكية ، بينما كان القسم الآخر تابعا لاقليم سورية الثانية وعاصمته أفاميا · وبعد الفتح كانت تابعة لجند قنسرين (كورة معرة مصرين) وفي عام ٢٧ هـ تولى الامارة على المنطقة معاوية بن أبي سفيان ، اذ ولاه عمر بن الخطاب الامارة في السواحل وأنطاكية ومعرة مصرين وكيليكية وفي عام ٢٥ هـ أضاف عثمان اليه قنسرين والعواصم · ودارت في

هذه المنطقة عدة حروب مع الروم ، لان الجراجمة[1] الذين سكنوا منطقة جسر الشغر في القرن الاول الهجري ، وخاصة ناحية عيون الحمام ـ حاليا حمام الشيخ عيسى ـ كانوا من المعارضين للسلطة الجديدة ، اذ دفعهم ملك الروم قسطنطين عام ٦٧٦ م لاشغال العرب عن الفتح ، بشن الغارات على الدولة الاموية • وفي العصور الوسطى وخاصة في العهدين الايوبي والمملوكي كانت تابعة لمملكة حلب ومن أعمالها شقيف دركوش وأعماله والشُغْر وبكاس وأعماله[2] • وكانت النيابة في الشغر وبكاس ، وولاتها من أرباب السيوف ، ودرجة نيابتها العاشرة[3] يولى من قبل نائب حلب ويدعى النائب في شغر بكاس أمين عشرة[4] • بينما كانت دركوش ولاية وواليها بمرتبة جندي[5] • وفي العهد العثماني تبدلت تقسيماتها الادارية كثيرا ، ولم تستقر على حال مخصوص لطبيعة موقعها ، بين حلب ـ انطاكية ـ لاذقية ، وواقع سكانها ، وتخوم جبالها • وقد تحولت ـ كما سنذكر فيما بعد ـ نيابة شغر بكاس في العهد المملوكي الى نيابة الشغر في قرية الشغر الحالية • وفي العهد العثماني كما تشير الى ذلك وثائق هذا العهد أن مركز قضاء الشغر في قرية الشغر ولكن قرى هذا القضاء

---

١ ـ الجراجمة أو المردة : هم الذين احتلوا البلاد من جبال الجليل حتى الجبل الاسود ـ الامانوس الان ـ عاصمتهم الجرجومة في جبال اللكام التابعة لانطاكية حملاتهم معروفة ضد العرب في القرن السابع للميلاد • ولما فتح أبو عبيدة انطاكية في ١٧ هـ / ٦٣٧ م هم الجراجمة اللحاق بالروم ولكنهم تمتعوا فيما بعد بنوع من الاستقلال الذاتي ضمن الامبراطورية البيزنطية • وفي أيام معاوية وعبد الملك وغيرهما من الخلفاء ، قاموا بحملاتهم في الشمال السوري ، تنفيذا لرغبات ملوك الروم الذين مدوهم بالرجال والمال والعتاد راجع عنهم دائرة المعارف الاسلامية مادة الجراجمة والبلاذري : فتوح البلدان وياقوت الحموي وتاريخ ميخائيل السوري باريس ١٩٠٣ ـ مجلد ٢ ـ ص ٤٥٥ •

٢ ـ القلقشندي : صبح الاعشى ج ١٤/ص ٥١ •

٣ ـ نفس المصدر ج ٢٢٧/٤ •

٤ ـ نفس المصدر ـ ج ١٢/ص ١٦٨ •

٥ ـ نفس المصدر ج ٤/ص ٢٣٠ •

بدأت تقل في النصف الاول من القرن الحادي عشر الهجري واحدى هذه الوثائق أشارت الى ثلاث قرى ببكفلا ـ قيقون ـ كفر نحل ومزرعتان[٦] وسبب ضعف هذا القضاء هجرة سكانه الى البلدة الجديدة (الجسر) والناشئة حول الخان الذي عمره آل الكوبرلي ونقل القضاء اليها ، وذلك في النصف الاول من القرن الثامن عشر . وأما دركوش فقد كانت ناحية تابعة لانطاكية باسم «ديركوش عام ٩٧٤ هـ /١٥٦٦ م . وفي عام ٩٨٣ هـ/ ١٥٧٥ م أصبحت قضاء[٧] ثم أصبحت قصبة . وقد ضعفت هذه البلدة نتيجة الزلازل وسلخ لواء اسكندرون فيما بعد . استقلت دركوش عن ولاية حلب فترة ، لتتبع مباشرة الى استنبول ، كمثيلتها جسر الشغر كما ذكر كورانسيز ـ ١٨٠٩ ـ (يوجد عدة آغـويات أو حكومات مستقلة ، مرتبطة مباشرة بالباب العالي كـ دركوش ـ شغر ـ ريحا وانطاكية[٨] وأما جسر الشغر فقد استقلت اداريا عن ولاية حلب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، ولتكون تابعة مباشرة الى اسطنبول ويعين حاكمها من بين أهلها كما سنبحث لاحقا . وقد ذكر Guys غي ـ ١٨٤٥ ـ [٩] ان دركوش وشغر أي جسر الشغر تابعتان لولاية حلب مباشرة ويوجد نائب في جسر شغر ، وعدد القرى التابعة لهما ثمانون وعدد السكان ١٥٠٠٠ نسمة منهم ٨٥٠٠ مسلمون و ١٨٠٠ نصارى أرثوذكس و ٤٧٠٠ نصيرية وتشير الوثائق العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر الى أنقضاء جسر الشغور عام ١٨٨٨ ـ يتبع ولاية حلب في نهايتها الجنوبية الغربية ، ومن ملحقاته ناحية أردو وناحية المضيق من

---

٦ ـ سجلات المحكمة الشرعية بحلب المجموعة ٢٣ ص ١٦ وثيقة تا ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٦ وغيرها .

٧ ـ سجلات المحكمة الشرعية بحلب المجموعة ٤ ص ٤٤٥ و ٤٤٦ . راجع التفاصيل عن توسع هذا القضاء «محافظة ادلب في العهد العثماني» قيد الاعداد .

(8) C - I - P. 38 .

(9) Guys (H) Statique du Pachalik d'Alep . Marseille 1853 P. 78 et Planch

١٠١ قرية يبلغ عددهم ـ ٢٥١٢٥ ـ نسمة[١٠] بينما ذكرت سالنامة عام ١٢٨٧ هـ/١٨٧٠ م يتبعه ناحية أردو فقط ، ولكن سالنامة عام ١٣٠٨ هـ/١٨٩٠ م ذكرته قضاء يتبعه ثلاث نواحي : ناحية جسر شغور وآردو ومضيق و٧٥ قرية ٠ وفي مطلع القرن جرى بعض التعديلات على هذا القضاء ، وتضاف ناحيتان هما بداما ودركوش كما ذكرت سالنامة عام ١٣٢١ هـ/١٩٠٣م مشكلة قضاء من أربع نواحي و ١٦٨ قرية ومزرعة ٠ ومجموع السكان في هذا القضاء ١٤٨٨٦ نسمة ولكن عام ١٣٢٤ هـ ألحق بقضاء أنطاكية عدة قرى تابعة لهذا القضاء ، وتلحق قرى أخرى به ، كانت تابعة لقضاء أنطاكية ٠ وفي العشرينات تبع هذا القضاء ناحية بداما ودركوش وقلعة المضيق لغاية عام ١٩٣٢ حسب التقسيمات الفرنسية في دولة سوريا٠ وفي عام ١٩٣٣ ضمت ناحية قلعة المضيق الى قضاء معرة النعمان ولم يبق في قضاء جسر الشغور سوى ناحية بداما وناحية دركوش ٠ وبلغ عدد السكان في هذا القضاء عام ١٣١٠ هـ (٢٥٥٠٧)[١١] وفي عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م بلغ عددهم / ٨٤٤٣ / نسمة[١٢] وبلغ عددهم عام ١٩٢٥ م (١٧٨٧٧) نسمة وبدىء بتأسيس دار الحكومة من ٢٤ غرفة[١٣]

جسر الشغر

تقع مدينة جسر الشغر على ضفتي العاصي في طريق لاذقية ـ حلب وتبعد عن ادلب /٥٠/ كم وعن لاذقية /٨٠/ كم وعن حلب

---

١٠ ـ باشي : قاموس الاعلام ١٨١٦/٣ والبستاني في دائرة المعارف عام ١٨٩٨ ـ القاهرة المجلد العاشر ذكر جسر الشغر قضاء بولاية حلب فيه ١٠١ قرية وناحيتان هما الاردوي والمضيق ومن قراه ٦٢ قرية تابعة لنفس جسر الشغر و ٣٣ تابعة للاردوي و ٦ للمضيق ٠

١١ ـ الغزي : نهر الذهب ٣٣٢/١ و ٣٣٣ نلاحظ تفاوت السكان في العدد ، بين الزيادة والنقصان نظرا للواقع الاداري غير المستقر في العهد العثماني ـ انظر فصل الفصول الواقع السكاني ٠

١٢ ـ نفس المرجع ٣٣٤/١ ٠

١٣ ـ الطباخ ٥٤٢/٣ و ٥٤٥ ٠

١٠٥ كم · بين خطين الاتفاقيين ٤٢٩ ـ ٤٣٠ كم وبين خطي الطول الاتفاقينين ٢٠٦ ـ ٢٠٨ كم · وعلى الضفة الغربية لنهر العاصي بارتفاع يتراوح بين ١١٦ ـ ٢٠٠ م عن سطح البحر · يحدها من الغرب النهاية الشمالية لجبال العلويين ، وتشرف عليها من الشرق هضبة كلسية ، ذات تربة حمـراء تسمى بأرض حجر جملات ، كما تحيط بها عدة هضبات يقطعهـا نهـر العـاصي ويجاورها في الشمال الشرقي تل أثري يدعى (تل كشـفهان) سنذكره في حينه · وكما كان تاريخ ادلب محيرا للباحثين ، كذلك تاريخ مدينة جسر الشغر ، هل هي قديمة كما يؤكـد البحاثـة الاوربيون ، أم هي حديثة كما يقول البحاثة العرب ؟! اذ لم يأتوا على ذكرها ، لطغيان أسم وأحداث قلعة الشغر عليها ، وقد استمدت المدينة اسمها منها وسميت جسر الشغر !! والاغرب من ذلك أن بعضهم وقع في اللبس أثناء تأريخ المنطقة بين الاثنتين ، كما وقعوا بين تأريخ ادلب الكبرى وادلب الصغرى ، لعدم تمحيصهم الوقائع التاريخية ، ولانهم لا يعتقدون بوجود موقعين اثنين بل ثلاثة تحمل الاسم ذاته : حصن الشغر ـ الشغر القديم ـ جسـر الشـغر ، باستثناء الرحالة الفرنسي فان برشم Van Berchem ١٨٩٥ ـ الذي كان أول من عاين المواقع الثلاثة بدقة علميـة ، وثقافـة تاريخية متمكنة ، وليوضح لنا ولاول مرة ، هذا الاختـلاط في تأريخ هذه المواقع ، والتفريق بينها ونحن بالتالي نلج هذا البحث ، اسوة به ، لعلنا نقدم الجديد عنها ، بادئين بمدينة جسر الشغر مركز المنطقة الادارية · وبامكاننا تقسيم تاريخها الى مراحـل ثلاث : الاولى قبل الاسلام والثانية العصور الوسطى والثالثة العهد العثماني ·

المرحلة الاولى ـ قبل الاسلام : لاتفيدنا الحوليات العربيـة بشيء عنها في هذا العصر ، أصحيح أنهـا لم تكن قائمـة أم أن الباحثين الاجانب على صواب ، حينما أكدوا أن بلدة الجسر الحالية بلدة قديمة ، يعود تاريخها الى ما قبل ميلاد السيد المسيح ! مستندين في ذلك الى نصوص الرحالة !! فبطلموس (٩٠ ـ ١٦٨ م)

ذكرها باسم سلوقيا آدبيلوم Seleucia ad Belum حيث وضعها على نصف درجة من البعد غربي أبامي (أفاميا) بينما الرحالة انطونين Seleucobelus ٣٠٠/ م ذكر هذا المكان باسم سلوقو بيلوس عندما مر به، وهو اسم اغريقي يعود الى القرن الثالث قبل الميلاد، وأن بيلوس هذه لن تكون الا على العاصي • وفي القرن الثاني ـ العهد الروماني ـ ذكر هذا الموقع باسم نياقوبا Niaccuba والتي هي تحريف لسلوقو بيلوس، التي ذكرها الرحالة أنطونين أو أنطونيوس • وأما ستيفان البيزنطي، الذي استقى بحثه من عدة مصادر يجعل المسألة أمامنا معقدة، فنصه غير واضح كل الوضوح[١٤] وكذلك المؤرخ تيوفان في حولياته، ذكر أن البقعة واقعة في منطقة أباميا، وذكر ستيفان ان سلوقوبيلوس أو سلوقيا آدبلوم هي في هذا المكان[١٥] • وذكر الرحالة الفرنسي كورانسيز حين زار بلدة جسر شغر ـ ١٨٠٩ ـ أن المؤرخ D'Anville دانفيل لايعتقد أن الشغر هي سلوقي ادبيلوس القديمة، اذ لم يجد فيها أي بقايا قديمة لاثارها، تدعم هذا الرأي قائلا ان بناءها كما شاهده تم في عصر حديث جدا، فمؤرخوا الحروب الصليبية لم يأتوا على ذكرها[١٦] وكذلك المؤرخ أندرية يضيف رأيه مع دانفيل وستيفان البيزنطي، ويتفق الجميع على أن سلوقيا آدبلوم وسلوقيا بيلوس ما هي الا محطة الشغر[١٧] ولكن الرحالة برشم ـ ١٨٩٥ ـ يخالفهم الرأي، بينما الباحث الفرنسي دوسو في رحلته ـ ١٨٩٧ ـ يخالفه ويؤكد أنها بلدة جسر الشغر الحالية اعتمادا على المعطيات التي قدمها لنا بطلموس، وأن نياقوبا ليست سوى سلاقوبا وهي سلوقوبيلوس وهي واقعة أما في كشفهان أوفي جسر الشغر[١٨] • وحسما للموقف، وبما أن الحوليات العربية لم تشر الى ذلك،

---

(14) D. T - P. 155 - 180 .

(15) R. E - P. 1636 .

(16) C. I - P. 44 وذكر كورانسيز أنها في موقع دركوش راجع بحث دركوش

(17) R. E - P. 1636 .

(18) D. T - P. 180 .

فانني أرجح أن سلوقيا بيلوس ليست هي جسر الشغر الحالية ، بل هي في موقع تل كشفهان المجاور لها في الشمال الشرقي وذلك للاسباب التالية : ١ ـ ان الرحالة والباحث الفرنسي دوسو ذكر ان البلدة اما في كشفهان أو جسر الشغر ، ونحن نميل الى وقوعها في كشفهان ٢ ـ ان تل كشفهان تلا أثريا يطل على العاصي ، فيه ينابيع تدعى عين الديسا ـ عين التينة ـ عين التل ٠ واسم النبع الاول اسم قديم ، بينما بلدة الجسر لايوجد فيها نبع ، والبلدان تجاور الينابيـع ٠٠ اذن فالبلـدة العائـدة الى العهـد السلوقي الاغريقي هي في كشفهان ، والتنقيب الاثري هو الفاصل في ذلك ! ٣ ـ المؤرخون والجغرافيون العرب في العصور الوسطى ذكروا تل كشفهان ، ولم يأتوا على ذكر بلدة الجسر الحالية ، والتي هي كما سنبين فيما بعد ، بلدة حديثة تعود الى النصف الثاني من القرن السابع عشر ٠ وهذا يدفعنا لدراسة المرحلة الثانية من تاريـخ المنطقة أو بلدة الجسر وهي مرحلة العصر الوسيط : ارتبطت هذه المرحلة بموقعين متجاورين آ ـ تل كشفهان ب ـ الجسر المعقود على العاصي ٠ أما تل كشفهان ويسمى سابقا في الحوليات العربية كشفهان أو كشفان فيقع في الشمال الشرقي من البلدة ، باطلالة جميلة على العاصي وسهل الوسطاني ٠ ذكره المؤرخون والجغرافيون العرب منهم ياقوت الحموي ٦٢٦ هـ بقوله «تل كشفهان : بفتح الكاف وسكون الشين المعجمة ، وفتح الفاء ، وهاء ، وألف ونون : موضع بين لاذقية وحلب ، نزله الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب معسكرا فيه مدة » وأما « أبو الفداء » المتوفي عام ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م بعد أن عرف حصن شغر ـ بكاس قال «وفي شرقيهما على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر على النهر ، وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه كل اسبوع[١٩] كما ذكره ابن شداد المتوفى عام ١٢٨٥ م قبل أبي الفداء بقوله « حصن تل كَشْفهَان مـن

---

١٩ ـ أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٦٠ ٠

الحصون التي استولى عليها ومد الدهر يده اليها » وبعده ذكره ابن الشحنة ٨٢٤ هـ/١٤٢١ م باسم حصن تل كشبهان في الروج الغربي[٢٠] • من النصوص التي عرضناها تأكد لدينا بلا شك :

١ ــ أن تل كشفهان تل أثري يعود الى زمن سابق للعصور الوسطى •

٢ ــ أن هناك جسرا يصل الضفة الشرقية من العاصي بالغربية ، اما أن يكون في موقع الجسر الحالي ، أو أن هناك جسرا داثرا يدعى جسر كشفهان ، وهذا ما نرجحه ، اذ ظل هذا الجسر قائما الى أواخر العهد الايوبي ، حسب رواية أبي الفداء • بينما الجسر الحالي فيعود بناؤه الى العهد المملوكي كما سيرد •

٣ ــ أنه كان حصنا صغيرا يجتمع الناس بقربه يوما كل اسبوع ــ بازار ــ للبيع والشراء ، ولوقوعه قرب عقدة مواصلات هامة •

٤ ــ ورد ذكره في الحروب الصليبية الاولى ، حيث دارت المعارك حوله ، وعسكر صلاح الدين عنده عام ١١٨٨ ، وذكره أكثر من مؤرخ ومرافق لصلاح الدين خلال قدومه من قلعة صهيون قرب الحفة الى القرشية ومن ثم تل كشفهان وبالاحرى حصن كشفهان ، حيث أخذه بالامان كمعظم الحصون المجاورة له[٢١] •

BDO - T - 32 - 1980 - 81

٢٠ ــ ابن الشحنة : الدر المنتخب ص/١٧٧/ ابن شداد ص ٣٧٢ في

٢١ ــ راجع تفصيل ذلك في كتابنا حصن شغر ــ بكاس • في الحوليات الغربية العائدة للحروب الصليبية تذكر حصنا باسم «كاستل روج» قرب حصن أرزغان يقع في منتصف المسافة بين انطاكية ومعرة النعمان • ولعله هو بذاته حصن كشفهان والذي دعاه الفرنجة (الروج) وله ذكر في تواريخهم ، ففي سنة ١١٣١ م كان الموقعان أرزغان وحصن الروج تحت سلطة أمير طرابلس الذي نالهما من عروسه كبائنة ، وقد كانت هذه قد أخذتهما من تنكريد الذي أعطاها اياها كميراث ــ راجع فصل الفصول واقع الحصون والقلاع ــ

٥ ـ هناك وثيقة قديمة ، وجدت في اسطنبول ونشرها الباحث الفرنسي كلود كاهن ، ذكرت أنه في سنة ٥٤٤ هـ/١١٤٩ م [٢٢] كسر فيها نور صاحب أنطاكية على تل كشفهان وأخذ ملكهم في صفر وهي تؤكد لنا بلا شك أن تل كشفهان كان حصنا بيد الفرنجة واسترده نور الدين منهم . ولكن الرحالة برشم ـ ١٨٩٥ ـ اعطى رأيا يغاير رأينا ووصل الى القول انه بعد تتبع رحلة الملك الاشرف قايتباي ٨٨٢ هـ/١٤٧٧ م خلال جولته التفتيشية في شمال سوريا ، وقدومه من ناحية القرشية كما مر صلاح الدين قبل ثلاثة قرون مضت ، الى الشغر التابعة لاقليم حلب ، حيث يوجد جسر على مجرى الماء والذي يقال انه من روافد العاصي ، وحيث يعقد هنا كل يوم ثلاثاء سوق يفد اليه سكان الارياف المجاورة ، وعن هذا المكان يتفرع عدة طرق ، أحدها يتجه الى حلب والاخر باتجاه أنطاكية ، والطرق الاخرى باتجاهات مختلفة[٢٣] ثم وصل الى نتيجة مفادها : ان جسر كشفهان ليس ذاك الواقع على العاصي في الجسر بل هو فرع بسيط من نهر الابيض . ان رأي برشم هذا غير مقبول ، لانه اعتمد على رواية مغلوطة لاحد الذين رافقوا صلاح الدين ، وهو ليس من المنطقة الشمالية السورية ، ولم يقبل بحجج ياقوت وأبي الفداء ـ من أبناء حماه ـ وابن شداد ـ وابن الشحنة ـ من أبناء حلب ـ وهؤلاء أعرف من غيرهم بمناطقهم وبمجرى العاصي وروافده . وقد خالفه في الرأي الرحالة والباحث الفرنسي دوسو ـ ١٨٩٧ ـ اذ جاء وعاين المواقع مرة أخرى ، قائلا ان حجة برشم غير مقبولة بأن جسر كشفهان هو جسر حصن الشغر ـ بكاس . فنص أبي الفداء واضح وصريح ، بأنه الى الشرق منهما على شوط فرس . واذا قبلنا فرضية برشم ، فأين الجسر الذي يعبر العاصي البارا وأفاميا ؟! يجيب برشم انه جسر دركوش ، لكن دوسو يؤكد أن

---

(22) Bulletin D'etudes Orientales Tomes VII - VIII Anees 1937-38 P. 116
وهي وثيقة عربية وضعها بستان الجابي .

(23) B. V - P. 262

بعض الرحالة قد شاهدوا الطريق الروماني ومنهم مونتفورت ـ ١٨٣٨ ـ اذ اجتاز العاصي عن طريق الجسر الحالي ، وسار الى الجانب الايمن من العاصي ، فاكتشف على الشط الايسر الطريق الروماني الذي يهبط من الجبل ، وليس هناك أدنى شك ، أنه الطريق الروماني الذي يصل أنطاكية بأفاميا • وقد شاهد الرحالة ايلي سمث ١٨٤٨ آثار هذا الطريق المرصوف بالحجارة بين جسر الشغر ومصب نهر الابيض وخرائب أرزغان الواقعة الى الشرق من العاصي ، تقدم لنا دلائل تربط بين هذا المكان وبين حصن يدعى أرزقان في المصادر العربية ، حيث ذكره ابن شداد ١٢٨٥ م باسم حصن أرْزَقَان ، وكذلك ابن الشحنة ١٤٢١ م باسم حصن أرزقال وفي زمنه يدعى أرزغان المقابل لتل كشفهان وبينهما العاصي وأرزقان وهو الاسم الاصح بأصله ، كان أحد المناطق التي أمتلكتها سيسيليا أرملة تنكريد كمهر لها من زوجها كونت طرابلس ، لكن نور الدين مالبث أن قام بحصار هذا الحصن الكبير حتى استسلم عام ١١٦١ ـ ١١٦٢ م وخربه كعادته في معظم الحصون ، كي لا تقوم للفرنجة قائمة بعد ذلك • ولكن بعد نور الدين جرى ترميم هذا الحصن • فالوثائق تشير الى أن صلاح الدين قد أقطع عام ١١٩٣ م الى بوهمند أمير أنطاكية ، العمق وأرزقان[٢٤] • نعود الان الى حصن كشفهان ، والذي أعتقد أن

---

٢٤ ـ هناك أرزقان فوقاني في الجبل الوسطاني ، وأرزقان تحتاني وهي الحصن المذكور • أشار اليه برغرن ـ ١٨٤٤ ـ بعد مروره بمعارة مصرين أنه سار في منخفض يدعى الروج شبيه بسورية المجوفة ، وظل يصعد ثلاث ساعات الى وادٍ آخر يأخذ أسم خان خرب يدعى أرزران ، وعلى مقربة منه نجد قرية مشمشان • وعلى مسير نصف ساعة نصل الى القرية واجسر على العاصي ـ جسر الشغر ـ الذي يفصل ولاية حلب عن ولاية طرابلس • ذكرته سالنامة حلب عام ١٩٠٣ (أرزغان) ويدعى الان بأسم مزرعة الزهراء التابعة لقرية عين السودة • وقد علمت أن تبديل اسمها جاء تصحيحا لتاريخها ، ظنا ممن عدلوا الاسم أنه تركي ، مع أنها موجودة قبل الحكم العثماني • واسمها في الحقيقة محلي ، فهل نعيدها مع غيرها الى اسمها الحقيقي ، حرصا على حفظ تراثنا ، وتوثيقا لتاريخنا •• انها دعوة موجهة لدراسة واقع الاسماء مرة ثانية !!

J. Bergren = Guide fran cais arabe Vulgaire - Upsal 1844 P - 454

أصل جسره روماني ، كما أكد الرحالة مشاهدتهم لبقايا الطريق الواصل اليه قرب التل ، والذي يأتي من أنطاكية باتجاه دركوش ـ كشفهان ـ أفامية • ويؤكد هذه الفرضية خط سير حملة صلاح الدين ، الذي جاء الى المنطقة من قلعة صهيون ، قرب الحفة الى خان القرشية ـ كشفهان ، حيث عسكر هناك ، وأرسل حملة أولية استكشافية الى حصن شغر ـ بكاس • ولهذا فانني لا أوافق برشم فيما وصل اليه ، رغم رجوعه الى المصادر العربية والافرنجية ، وزيارته الميدانية ، ولكن عدم فهمه الجيد للنصوص العربيـة ، أوقعه في هذه المغالطة • هذا وقد حاول دوسو ـ ١٨٩٧ ـ عمليا تتبع مسار صلاح الدين فقال « ان الطريق الذي اتبعناه من جسر الشغر الى أنطاكية مرورا بدركوش ، يختلف عن الطريق الذي اتبعه برشم ، مما أتاح لنا فهما أفضل للمراحل التي تتبعها صلاح الدين أثناء فتوحاته عام ١١٨٨ • الساعة صفر : الانطلاق من جسر الشغر ١٥ر١ ـ الجسر القديم الواقع أسفل القرية بـين الكثير من الاشجار ٢٥ر١ في سفح الحصن • وفي أيلول يغدو النهر الابيض أو نهر الشغر جدولا صغيرا ٤٥ر١ شاهدنا بكفـلا على يميننا دون زيارتها ١٥ر٢ الجانودية : قرية مأهولة بالسـكان المسلمين • ذات حقول خصبة • أشير الينا الى قيقون بين الجانودية وجسر الشغر ، قرب تل دهب وقدموا لنا خاتما قائلين : انه من تلك المنطقة ، وهذا الخاتم القديم جدا يشير الى قدم هذا الموقع ـ وهو الآن بمتحف اللوفر في باريس ـ ٥٠ر٣ اليعقوبية قرية أرمنية وبقربها في القنية وجدنا أحجـارا كثيرة ، كما شاهدنـا فسيفساء ، الى الشرق منها بلا شك مرتفع يسمونه مـرة أخرى القلعة ١٠ر٤ عامود ، الى الشمال نرى بشربة ، ٣٣ر٤ خربية[٢٥] ٥٠ر٥ دركوش • لقد سلك صلاح الدين بعض أجزاء هذا الطريق في حملته المشهورة سنة ١١٨٨[٢٦] ومما يؤكد فرضيتنا أن جسر كشفهان يسبق الجسر الحالي، كما انه كان بالتالي عقدة مواصلات

---

٢٥ ـ بشربة تدعى الان مزرة •

(26) D - T - P. 160 - 61

تجارية بين حلب ولاذقية ، ماذكره برشم عن « المعاهدة التجارية المعقودة عام ١٢٠٨ م بين سلطان حلب الملك الظاهر غازي والبندقيين الايطاليين ، حيث منحهم بموجبها الحق في المرور من الطريق Delmonte ceffam - Var Cesfam ولا ندري ان كان هذا هو الممر الذي ذكره أبو الفداء ، مما يفرض علينا قراءة النص الايطالي (والوحيد المعروف) من مقاله Ponte بدلا من Monte هذا التصحيح ليس ضروريا ، حيث يوجد بالقرب من الجسر لتل كشفهان ، اذ رأينا صلاح الدين قد مر به قبل الهجوم على شغر ـ بكاس • وان تل العربية تقابلها بالايطالية Monte ونصل للممر من التل الى الجسر ، ومهما يكن الامر فان Ponte أو Monte يعودان الى نفس الاسم ويجب أن يكونا متجاورين[٢٧] هذا وقد أشارت المعاهدة التي عقدها سلطان حلب مع البنادقة اللاذقانيين الى هذا الممر ، والذي يجب أن يكون موجودا على الطريق الواصل بين هاتين المدينتين • واذا كان هذا الطريق يمر من شغر ـ بكاس ، لن يستطيع قطع العاصي الى جسر الشغر ، وصولا من لاذقية الى قمة جبل بداما ، بل ينبغي أن يتابع الى الشمال الشرقي حتى بلدة الشغر القديم ، قاطعا نهر الابيض أسفل شغر ـ بكاس ، وبعدها بلا شك يتابع الى بكفلا متسللا شمالا من يمين القنية ، وبعدها الى الشمال الشرقي ليمر من العاصي الى دركوش • ولكن ما هي الطرق الاخرى ؟ انها أولا ذاك الطريق المؤدي الى لاذقية ، ويمكن القول كان سابقا الممر المشقوق في الصخر نفسه ، بموجب فتحة نهر الابيض الى بكفلا ، والتي كانت في النهاية حسب كل المعطيات والمظاهر ، ذاك الطريق المباشر من أنطاكية الى أفامية ، والتي يجب مرورها بالعاصي من جسر الشغر • ولقد راينا فعلا بأن جسر بلدة الجسر بالرغم من أنه من العصور الوسطى ، فهو قائم على الاغلب قبل رحلة قايتباي سنة ١٤٧٧ م حيث أن النقش الذي يحمله يعود الى القرن الخامس عشر • ولكن النصوص تضع

---

٢٧ ـ B - V - P. 261 أي الجسر والتل متجاوران ، متقابلان ، وهذا ما ارجحه شخصيا بعد زيارتي المواقع ، وحسب الدلائل التاريخية •

أمامنا تساؤلات أبعد من ذلك ، وهكذا نقول ان الجيش بقيادة السلطان بيبرس سنة ١٢٦٨ زحف من أفامية الى أنطاكية ، حيث حاول في مروره أخذ القصير مارا بجسر الشغر . وهذه الفرضية مؤكدة بالنص الذي يوضح لنا بأن السلطان القائد لهذا الجيش بنفسه ، قفل عائدا الى أفامية مارا بالجسر الذي يقع تحت شغر ـ بكاس ، والذي أجتازه ليختصر السفر الى أنطاكية . وهذا الجسر لا يمكن أن يكون الا جسر كشفهان الذي ذكره أبو الفداء على نهر الابيض ـ وهذا القول لبرشم وليس لنا ـ وجسر قايتباي على ضفة فرع من نهر العاصي ، وهو ليصل اليه من أفامية ، لم يتمكن بيبرس من اجتياز نهر العاصي الا عند جسر الشغر ، ومع ذلك لا يوجد أي رافد لهذا النهر فوق الجسر حتى شيزر واذا كان بيبرس مر بمحاذاته مثلا بدركوش ، وقام بلفة على شغر ـ بكاس لكي يصل الى انطاكية عن طريق القصير(٢٨) . ومع احترامنا للبحاثة الاثري برشم في هذه الفرضية ـ كما قدمنا سابقا ـ فالنص العربي الذي اعتمد عليه عن الظاهر بيبرس نقف عنده مرة أخرى «وترك السلطان أفامية ومنها الى جسر تحت الشغر وبكاس وأصبح معبرا (عابرا) على أنطاكية » يشير هذا النص بدلالة قاطعة الى وجود جسر قريب من حصن شغر ـ بكاس ، وهو ليس الذي ذكره برشم الواقع على نهر الابيض ، بل هو جسر كشفهان على العاصي ، اذ ليس هناك معبر رئيسي قريب غير هذا ، رغم ان هناك جسرا آخر على نهر الابيض للاسفل من شغر ـ بكاس، ولكن لطغيان اسم شغر في المنطقة دعي باسم أهم موقع فيها، ومن غير المعقول ذكرهم الجسر الفرعي واغفالهم الجسر الرئيسي المعقود على العاصي . كما أنه خلص الى نتيجة نوافقه على ما جاء في بدايتها ، ونخالفه في نهايتها اذ قال « وخلاصة القول : خلال الحروب الصليبية ومن المحتمل كذلك الى نهاية القرن الخامس عشر ، طريق لاذقية ـ حلب لا يمر من جسر الشغر ، كما هو

---

(28) Ibid - P. 262 - 64

اليوم ، ولكن الى الشمال أكثر الى الشغر القديم ومن جسر كشفهان مجتازا نهر الابيض تحت شغر ـ بكاس والذي يجتاز نهر العاصي في دركوش (انتهى) وكما أسلفنا ، لا نوافق على هذه النتيجة التي خلص اليها برشم ، فجسر تل كشفهان يجتاز العاصي ، وليس نهر الابيض كما ذكرنا ، اذ استشهدنا في نهاية بحثنا بمصادر عربية وثيقة ، والتي لم يتمكن برشم من فهمها جيدا ففسرها بعيدا عن مضمونها الحقيقي ، وعاد ليؤكد مرة أخرى أنه في جسر كشفهان وليس في جسر الشغر ، يتصالب هذا الطريق مع طريق أفامية ـ أنطاكية ، ومن هذا نفهم معنى وجود بازار شهير ومجمع للناس ، كان يقام مرة في الاسبوع في العصور الوسطى في هذا الملتقى للطريقين المتجاورين الرئيسيين ، كما كانت تجبى فيه الضريبة • ولكن في القرن الخامس عشر انحدرت شغر ـ بكاس بسبب الزلازل التي خربت هذا الملتقى عام ١٤٠٤ أو في عام ١٤٠٨ م الارجح أن رحلة الملك قايتباي ١٤٧٧ م توضح لنا المسألة بشكل أفضل ، وتخالف ما وصل اليه برشم ، وتؤكد وجهة نظرنا ان الملتقى لم يكن فقط قرب شغر ـ بكاس وأقرب الى النهر الابيض ، بل قرب العاصي كذلك ، لنقرأ ثانية نص أبي الفداء المتوفي عام ١٣٣١ م « وفي شرقيهما يقصد شغر ـ بكاس على شوط فرس جسر كشفهان ، وهو جسر على النهر ، وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه كل اسبوع » انه لم يقل الى الشمال كما توصل برشم[٢٩] ، بل حدده الى الشرق ، وكذلك وجود السوق الذي يفد اليه الناس كل اسبوع • ولنقرأ الان نص رحلة قايتباي عام ١٤٧٧ ، كما ذكره كاتب رحلته « ثم توجه ركابه الشريف آخر الليل ، ونزلنا الى الشغر في ركابه ، من معاملة حلب بعد الظهر من عقبات كثيرة ، وبه جسر على مياه ، قيل انها من العاصي ، يوم الثلاثاء وهو مكان مفرق طرق ، به سوق يجتمع فيه أهل البلاد في يوم الثلاثاء ، وطرقه احداها الى حلب ، والاخرى الى أنطاكية ،

---

٢٩ ـ يقع جسر بكفلا في الشمال بينما جسر كشفهان نحو الشرق من حصن شغر ـ بكاس •

والباقي الى غير ذلك[٣٠] ..» ولنا ثلاث ملاحظات على هذا النص: الاولى أن كاتب الرحلة ذكر زيارته الى الشغر التابعة اداريا الى حلب ، ويعتقد القارىء لاول وهلة أنها بلدة الجسر الحالية ، بل هي قرية الشغر المجاورة لحصن شغر ـ بكاس ، والتي نوهنا عنها في بحثنا حيث قلنا ، أنها ظلت مركز قضاء بعد الزلزال ، الى ان انتقل فيما بعد الى الجسر . والثانية : انه لم يقل مباشرة وبه جسر بل قال من عقبات كثيرة وبه جسر على مياه ، قيل انها من العاصي ، وأنه مفرق طرق ، حددها بوضوح ، ولم يذكر نهر العاصي تحديدا بل ذكر « قيل انها من العاصي » والاصح انها تسير نحو العاصي ـ ولعله خطأ من الناسخ أو المؤلف ـ وهو مفرق الطرق كما ذكر . وان الجسر الذي ذكره كاتب رحلة قايتباي هو بذاته جسر بكفلا . فلننتقل الى المسألة الثالثة وهي مسألة البازار[٣١] الذي ذكره أبو الفداء باسم سوق يجتمع الناس فيه كل اسبوع ، وكاتب رحلة قايتباي ذكر أنه سوق يجتمع الناس فيه كل اسبوع يوم الثلاثاء . الاول عند جسر كشفهان والثاني في قرية الشغر ، مركز القضاء . بل انها لمصادفة جميلة ان نقول ان يوم الثلاثاء يوم مبارك في المنطقة ، واتخذ هذا السوق في المكان ذاته الذي عسكر فيه صلاح الدين ، وفي الزمن ذاته يوم الثلاثاء ، كما روى لنا مرافقه العماد بقوله « نزل على العاصي يوم الثلاثاء سادس الشهر ، وبحور السوابح في غدران السوابغ مائجة على على ذلك النهر » ولا يخفي على القارىء أن مياه نهر الابيض لن تكون مائجة سابحة كنهر العاصي .. وهكذا تتوضح لنا المسألة أكثر ، والتي لم يتمكن برشم من الوصول اليها . وقد يعارض القارىء بقوله : ان سير خط رحلة قايتباي مشابه لسير حملة

---

٣٠ ـ القول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف ـ طرابلس ١٩٨٤ ص ٦٠ . ان المحقق لهذه الرحلة ذكر الشغر هي حصن شغر ـ بكاس اعتمادا على ياقوت . وهو خطأ نظرا لتشابه الاسماء ، حيث انتقل الاسم الى المكان المجاور في الجهة الغربية باسم قرية الشغر .

٣١ ـ أصبحت مسألة البازار واضحة ، بعد تضعضع كشفهان وحصن شغر ـ بكاس ، أصبح البازار الرئيسي في المنطقة في قرية الشغر .

صلاح الدين فلم لم يأت الى الشغر مباشرة، كما فعل قايتباي وكلاهما قدما من الفرشيه ؟! وهذه مسألة واضحة ، فصلاح الدين كما ذكر ياقوت وغيره عسكر في تل كشفهان ، وباعتباره على رأس حملة عسكرية فانه جاء من منطقة الحدود الخلفية لحصن شغر ـ بكاس اذ كما نعلم تحده أنطاكيا في الغرب الشمالي ، وحصن القصير في الغرب ، وحصنا كفر دبين وبلميس شرقا • ومن الجنوب هناك حصن برزويه وحصن سرمانيا ، وهكذا بامكان الفرنجة تطويقه بسهولة ، ومن يأخذ مفرق الطرق الرئيسية ، يقطع الامدادات على الجميع ، فعسكر في تل كشفهان(٣٢) وبامكاننا القول انه لم يعسكر هكذا ، بل أخذ حصن كشفهان ، وهو حصن صغير غير منيع • ومما يؤكد فرضيتنا هذه أنه لم يرسل كل قواته ، بل قسما منها الى حصن شغر ـ بكاس في بداية حصاره لها • وهي عملية عسكرية فذة لهذا القائد ، والذي أرسل بعد استسلام حصن شغر ـ بكاس ، حملة اخرى بقيادة ابنه الى سرمينيا وبرزوية لكي يحمي خطوطه الخلفية ، ويتمم فتح الحصون المجاورة وهكذا كان • وأما قايتباي فانه لم يأت على رأس حملة عسكرية ، بل كانت جولته تفقدية الى سورية الشمالية ، ليتأكد من الوضع العسكري فيها • وأما جسر كشفهان فقد أزيل ليحل بالقرب منه جسر آخر بناه جقمق الجركسي • ونرجح أن الطريق الروماني قد كان متصلا بكشفهان ، وكما أكد رحالتنا في القرن التاسع عشر مشاهدتهم لبقاياه الى الشمال من الجسر الحالي ، وعلى الضفة اليسرى ، أي قرب كشفهان • ومما يوثق فرضيتنا أنه كان هناك مركز مراقبة • على هذا الجسر ، ويشكل استمرارا لهذه المراقبة الجمركية أو الضريبية ، وفي المكان الذي يقام فيه البازار الاسبوعي ، وحينما تضعضع جسر كشفهان ، حل الجسر الحالي مكانه في منتصف القرن الخامس عشر ، وظل بقربة مركز مراقبة

---

٣٢ ـ ذكرها رتمان حين زيارته لواء حلب في أواخر القرن التاسع عشر ، ان جسر الشغر هي عين تل كشفهان حيث عسكر صلاح الدين انظر الهامش رقم ٢ في
D - T - P. 158

ضريبية ، والذي تحدث عنه الرحالة فيما بعد · أهمية هذا المركز تأتي من ذكره في المعاهدة الموقعة بين سلطان حلب والبنادقة ، حماية للتهريب ، وتأكيدا للمراقبة ، والجدير بالذكر أنه وعد كذلك أن يقيم للبنادقة فندقا في موقع بلدة الجسر الحالية · ولعله هو الخان الصغير الذي ذكره جلبي في رحلته الاولى عام ١٦٤٨ م · وأما في العهد العثماني، فقد أصبح هذا الملتقى مزدهرا ، نظرا لاهمية هذا الطريق ، ولضعف أهمية شغر ـ بكاس · وأما الجسر الحالي فسنعود اليه مرة اخرى بعد عرض نصوص الرحالة الذين أسهبوا في وصفه ·

العهد العثماني : من أقدم المصادر التي حصلنا عليها في هذا العهد رحلتا أوليا جلبي · الاولى عام **١٠٥٨ هـ/١٦٤٨** م حيث قال « وأتينا الى جسر شغور هذا المكان تابع الى حلب ، وهو على ضفة العاصي ، وفيه خان صغير ، ونرجو أن يأتي صاحب الخيرات ليعمر هذا المكان كي يكون ممرا آمنا للحجاج[٣٣] » وفي رحلته الثانية تبدل هذا الموقع وتحول الى خان كبير ، وآمن ، غني بالحياة الاقتصادية والاجتماعية · ولعل تاريخ هذه البلدة ، ارتبط في بدايته بالعهد العثماني وبالخان الكبير الذي بناه آل الكوبرلي وأوقفوا له الاوقاف العديدة ، فازدهرت الحياة فيه وفيما يجاوره، واستتب الامن ، مما دفع الكثير من السكان للهجرة اليها واعمار هذا الموقع[٣٤] وقضى على حيرتنا بتأريخها ، نصوص الرحالة التي حصلنا عليها ، كون هذا الموقع ممرا رئيسيا للقوافل وخاصة الحجاج المسلمين والنصارى ·· فلنتابع رحلتنا معهم ، نستكشف معالم هذه البلدة من نصوصهم القيمة ·

---

٣٣ ـ ج·س ٥٦/١ ·

٣٤ ـ تتشابه أحوال الجسر وازدهارها في النصف الثاني من القرن السابع عشر مع ادلب الصغرى ، والتي ازدهرت في ذات الوقت · راجع كتابنا «ادلب ·· البلدة المنسية ! » لمعرفة أسباب هذا الازدهار والعمران السريع ·

١٠٨٢ هـ/١٦٧١ م ـ أوليا جلبي « وصف قلعة شغر[٣٥] حتى سنة ١٠٦٩ هـ لم يكن فيها غير خان صغير . وفي ذلك التاريخ أصدر السلطان محمد خان الرابع أمره الى محمد باشا الكوبرولو بانشاء قلعة جديدة ، وخان منيع لا يوجد مثلهما من اسلامبول الى مصر . فبنيت القلعة على رأس هضبة ، وهي مربعة الشكل ، بناؤها حجري متين ، على قاعدة عالية ، ويقابل القلعة خان كبير مؤلف من ثلاث طوابق ، وبقربه خمسون دكانا ، وكذلك حمام جميل مطلي، بالكلس الابيض . كما يوجد حوالي مئة بيت بالاضافة الى قصر المتولي وجامع عال ، وبيت لتوزيع الطعام على المساكين والفقراء . وفي الخان أربعون قبة ، وعدة مخازن ، وجناح خاص بالنساء ، وغرف عديدة للضيوف والاعيان ، وحظائر كثيرة للخيول ، وداخل الباب الحديدي الكبير مئة وعشرون موقدا وعلى أطرافه الاربعة توجد ديوانات للجلوس ، وغرف الحريم وغرف الزوار ، وأماكن لمئات الخيول والبغال والحمير والعجول والجمال حتى أن الانسان يتيه داخلها . ورصف بين الجانبين بالحجر الابيض بياضه كبياض الصحراء ، والى جانبها جامع يصلى فيه المصلون ، ويدعون لصاحب الخيرات ، ووسط هذه الباحة بركة ماء يشرب منها الدواب ، وتتغير باستمرار ، ولهذا الجامع قبة مغطاة بالرصاص . ولهذا المكان الخير طريق متصل بالفلاة ويمر على تسع قناطر . ويجمع الصدقات متولي الاوقاف (خليل آغا) من منطقة العاصي ليقدمها للخان المذكور سابقا . وتبعد الشغر القديم خمس ساعات عنه »[٣٦] .

١٦٧١ ـ وانسلبن الايطالي « مدينة الشغر بلدة كبيرة أبنيتها من لُبَن . فيها سوق للاقمشة القطنية ، يردها الكثير من

---

٣٥ ـ هي بلدة الجسر الحالية وليس قلعة الشغر ، فمن عادة المؤرخين الاتراك اضفاء كلمة قلعة على الخانات والابراج المجاورة لها ، لانهاكانت بمثابة القلاع التي تأوي وتحمي الحجاج والمسافرين ، ولانها من الابنية الهامة في عهدهم .

٣٦ ـ ج . س ٣٨٦/٩ .

الناس فيها خان جديد لمبيت المسافرين ، بناه الوزير الكبير . وهو واسع وكبير جدا ، ويتسع لايواء ألف شخص مع دوابهم . غطي كل البناء بالرصاص . وفي البلدة ينابيع وجامع وبيت قهوة — مقهى — ودكان حداد واحد ، ثم ساحتين يقام فيهما السوق — البازار — (٣٧)» .

١٦٨٨ — دولاروق الفرنسي « لو اتبع أحدنا مجرى نهر العاصي من أفاميا الى أنطاكيا، لن يجد عبر هذه المسافة شيئا مهما غير بلدة الشغل Shogle وكما أعتقد فهي بلدة حديثة تبعد عن أنطاكيا سفرة يوم وعن حلب يومين . وهي موقع مرور للمسافرين من حلب الى القدس عن طريق ساحل سوريا . فيها خان جميل الحقت به مضافة . أسس وأوقف من قبل الوزير أحمد كوبرلي ، والذي كان ايضا وزيرا . وفي هذا الخان ينام ويطعم جميع المسافرين فيه عدد من الفقراء والعجزة الموجودين في المضافة . وأما الجسر فذو اثنتي عشرة قنطرة فوق نهر عريض ، ترفع مياهه بالنواعير كما في أفاميا .. (٣٨) » .

١٦٩٧ — موندريل الانكليزي « وصلنا الى شغل Shoggle (جسر شغر Jisr Shoghor) الواسعة والجميلة ، ولكنها غير نظيفة تقع على نهر العاصي ، يعبر اليها بجسر مؤلف من ثلاث عشرة قنطرة صغيرة توصلك بالبلدة التي يحتضنها النهر . ولكن في منحنيات المياه الشديدة أقيمت عجلات كبيرة — النواعير — مصنوعة لرفع الماء بواسطتها بسرعة طبيعية ، بدون أية قوة تضاف اليها حاجزة الجدول . مياهها عكرة وشديدة الضرر صحيا ، وأسماكها رديئة كما وجدنا بخبرتنا ، لم يأكل أي شخص من كل أصحابنا

(37) Omont (H) : Missions archeologiques en orient 2 Vol Paris 1902 - P. 82 - 83 .

(38) De la Roque : Voyage de Syrie Paris 1722 - P. 144 - 45.

شيئا منها. ومع ذلك أصيب عدد من[٣٩] أصحابنا بوعكة صحية في الصباح التالي . نزلنا في خان يمتاز بالظرافة والجمال ، متميزا عن غيره من الابنية ، أنجزه «كوبريللي الثاني» وأوقف كل دخله الاضافي لكل مسافر يحتاج لضرورات الحياة ، بتقديم حصة كافية من الطعام والشراب ، والمجهزة لمن يطلبها من الناس المعوزين بعد يأسهم من الحصول عليها . في الطرف الغربي للخان تكية على شكل معين تضم غرفا لعدد من الناس المحتاجين كهبة شخصية من الكوبرلي . وحين وصولنا وجدنا الخان مزدحما بعدد كبير من الحجاج المسلمين المتوجهين الى مكة[٤٠] » .

١٠٨٠ هـ - ١٦٩٩ م - الخياري «ثم سرنا الى ان وصلنا مع الفجر الى المنزل المقصود المسمى بـ «الشغر» فاذا هو منزل بين جبلين غير مرتفعين يجوس بينهما نهر العاصي عليه كبري طويل جدا معد للمرور عليه ليصل المارون الى ما أنشأه حضرة مولانا المرحوم الوزير الاعظم محمد باشا من قلعة عامرة تحتوي على أماكن للسكن كثيرة وعلى مسجد عظيم اجتمع بنا خطيبه وامامه أخبرنا ان العمارة الموجودة من المسجد المشار اليه والخان العظيم الوضع ، والذي لم نر الى الآن أعظم منه وصفا ، ولا أتقن صنعا ، فيه أماكن كثيرة للمسافرين معدة لنزولهم . وفي وسط الخان محل محل مرفوع على أركان أربعة تحته بحرة ماء بها فوار عظيم وتخت من خشب يجلس عليه ، وفوقه مسجد مربع به طاقات ومحراب يصعد اليه بدرج ، وفي مقابل باب الخان بصدره تكية عامرة البناء ظاهرة السناء مشتملة على أماكن متعددة ، وعلى محل للطبخ به قدران عظيمان يطبخ فيهما كل يوم طعام ويوزع في طياس من

---

٣٩ - يعود السبب الى المستنقعات في الروج والغاب قرب الجسر ، والتي جففت في الخمسينات بينما الخياري ذكر استعذاب الماء والوضع والهواء ، وشعره دليل على ذلك .

(40) M - J - P. 387 .

النحاس للفقراء المقيمين والواردين ، وفي الخان المرافق المحتاج اليها لمقدمة الطهارة على أحكم وضع ... »[41] .

١٧٦٧ برسنز : تابعنا سيرنا نهبط من الجبل ، لنجد سهلا شاسعا وانحدارا متوازيا . في وسطه جسر معقود على العاصي ، باحدى عشرة قنطرة حجرية ، ولنشاهد بلدة جميلة على ضفة العاصي تدعى شغل . بدا شعب البلدة مشغولا جدا في تبييض الملابس القطنية والمنتشرة زراعتها على مدى أكثر من نصف السهل . ويقول السكان ان اغلب الدباغين والفرائين في هذه البلدة ، وهم أكثر من بقية المناطق في سورية ... »[42] .

١٧٩٧ ـ براون : قررنا عبور البلاد الرومانطيقية، وأمضينا الليل في الهواء الطلق في شغر Shawr . حيث نهر العاصي ينحنى بشكل سحري ، عبر السهل . ان بلدة شغر كثيرة السكان . فيها مقر جيد للقوافل ، لكننا فضلنا الهواء الطلق ، كي نتنجب الحشرات التي تقطن في مثل هذه الاماكن . وبالقرب منها جسر حجري جيد من سبعة قناطر . جهزت مثل هذه الاستراحات أساسا للقوافل التي تمر من هذا الطريق من القسطنطينية الى مكة[43] » .

١٨٠٩ ـ كورانسيز : اعتقد أن الشغر تم بناؤها في عهد حديث جدا ، فالمؤرخون الصليبيون لم يأتوا على ذكرها أبدا . ومع ذلك فان أبا الفداء كتب عنها كما نعلم في بدء القرن الرابع عشر[44] ولكن بالامكان القول انها تعود الى ما قبل مائة وخمسين عاما . وهي بلدة مكتظة بالسكان المسلمين . تقع على يسار نهر العاصي ، ونجتاز النهر بأرجلنا فوق جسر فيه محل لدفع الرسوم .

---

٤١ ـ الخياري ـ رحلة الخياري ـ بغداد ١٩٦٩ ص ١٨٧ .

(42) P - T - P. 382 .

(43) B. Travels in Africa, Syria. London 1799 P. 382 .

٤٤ ـ ذكر أبو الفداء اسم تل كشفهان بقربها وليس هي لانها لم تكن موجودة بعد .

السرايا والخان الخاص بالاجانب من الابنية الواسعة والمنظمة والقسم الاكبر من البلدة يأخذ شكلا متدرجا على انحدار الجبل ، مما يضفي عليها مشهدا جميلا ..»[٤٥] .

١٨٥٠ ـ والبول : ان جسر شغر بلدة مسلمة ، ولنقل انها قرية كبيرة ، وهي ترتفع عن الجسر المشيد فوق النهر ، ومن هنا جاءت تسميتها تلك ، من قرية الشغر الواقعة تحديدا مقابل الجسر بحوالي ستة أميال . وتقع على منحدر التل فوق العاصي ، على حافته اليسرى ، منازلها طينية ، والقليل منها بناؤها حجري[٤٦]، ولكن معظم الاسطحة واسعة ، الا أننا شاهدنا فيها سطحا منحدرا مغطى بالقرميد . وبشكل عام نموذج البناء فيها ذاته سائدا في وادي العاصي ... وبالامكان القول انها تمتاز بالتسويق التجاري ، خصوصا القطن ، التنباك ، والتجارة مع الجبال المجاورة .. » [٤٧] .

من النصوص السابقة للرحالة ، وهي غنية وافية ، تتوضح لنا بعض ملامح تكون بداية بلدة جسر الشغر، وكيف ازدهرت خلال فترة وجيزة ، لم تتجاوز ثلث القرن . وهي فترة قلما تمتعت بها بلدة اخرى في المحافظة باستثناء ادلب الصغرى ، والتي ازدهرت في ذات الفترة التي اهتم بها ايضا آل الكوبرلي كما ذكرنا في الجزء الاول .. ولعل تحليلات بعضهم المبنية على التخمين دون الدليل ، أبعدتهم عن الحقيقة التاريخية بعض الشيء ، ومثالنا على ذلك الرحالة أحمد زكريا ـ ١٩٣٢ ـ حيث ذكر أن محمد باشا

---

(45) C - I - P. 44

٤٦ ـ ذكر دوسال الذي زار الجسر بعد كورانسيز أن أبنية هذه المنطقة من الاحجار الكلسية والاحجار السوداء الصغيرة .. وهناك الكثير من الازقة الطويلة المرصوفة بالاحجار المرتبة بجانب بعضها الاخر ، والتي قسم منها مازال بشكل جيد حتى هذا الوقت ـ R - E - P. 1101 ونضيف أن أزقة الجسر بلطت بالاحجار منذ أيام الكوبرلي في النصف الثاني من القرن السابع عشر .

(47) W - T - 3 - P. 173

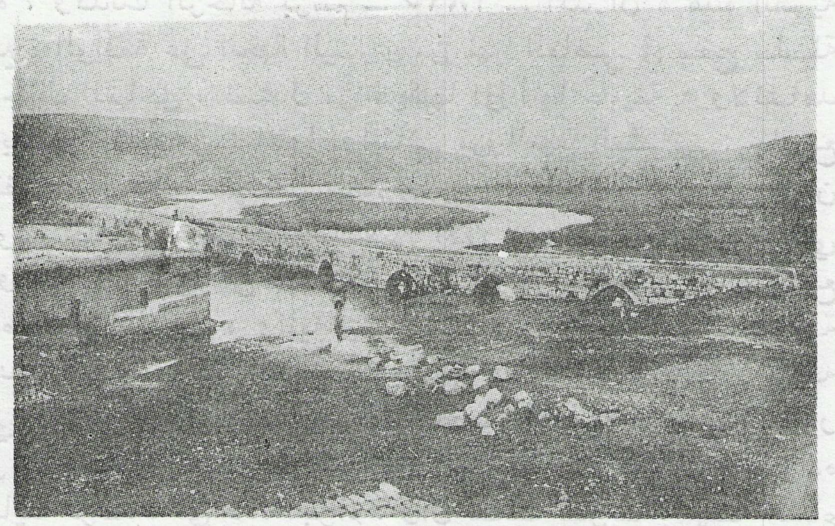
الكوبرلي الشهير الذي كان باشا أيالة طرابلس الشام ، قبل أن يصبح الصدر الاعظم مر من هنا بعد بضع سنين من مرور الجلبي، فرمم الجسر الكبير المعقود فوق العاصي ، وقيل انه بنى الجامع الكبير أيضا وخانا وحماما ، فعمرت بلدة الجسر على يد هذا الوزير الخطير ... » (٤٨) وقد أعتمد بعضهم هذا النص دون غيره ، وكذلك الرحالة برشم ـ ١٨٩٥ ـ أكد أن « هذه القرية الكبيرة الواقعة على الجهة اليسرى من نهر العاصي في سفح سلسلة من جبال الساحل ، نستدل من هيكلها الى أنها حديثة ٠ ولانشاهد الا بناءين متميزين : الاول والثاني من العهد العثماني : جامع بلانقش يؤرخه ، حتى من الخارج ، وأما الخان الكبير فهو مزين بنقوش حديثة ، لم نفسرها حتى الان ٠ والاثار الوحيدة التي تبدو لنا أنها تعود الى عهد أقدم فهو الجسر الحجري الذي يقطع العاصي الى الشغر ، واليه يعود القسم الاول من مجراه لمقاومة انحدار النهر بشكل أفضل ، وبسبب هذه الوصلة ، فان سطحه أفقي تقريبا ، ومما تقدم ، فاننا نجد ذلك في أغلب الجسور العربية ، وهو يستند الى عدد من القناطر والركائز ، وموادة المتباينة ترشدنا الى عدة أجزاء ، وان صحت نظرتنا ، فهيئة البناء تشير الى أنه يعود الى ما قبل العهد العثماني ، يتطابق حكمنا هذا مع النقوش غير المصقولة والمدمجة في منتصف الجسر ٠ وفي الحاجز من جهة الشمال يكمن اسم جقمق ربما هو السلطان المملوكي ، الذي حكم من عام ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣ م ٠ ومن حيث مشكلة الشغر ، فان هذا النص يعود الى ترميم بسيط ٠ فان أصل الجسر يرتقي الى أكثر من ذلك ، ولكن لايوجد أي دليل على أن البلدة أو جسر الشغر من العصور الوسطى ..(٤٩)» من النصوص السابقة تبين لنا أن أقدم بناء في البلدة هو الجسر الحجري المعقود على العاصي ٠

---

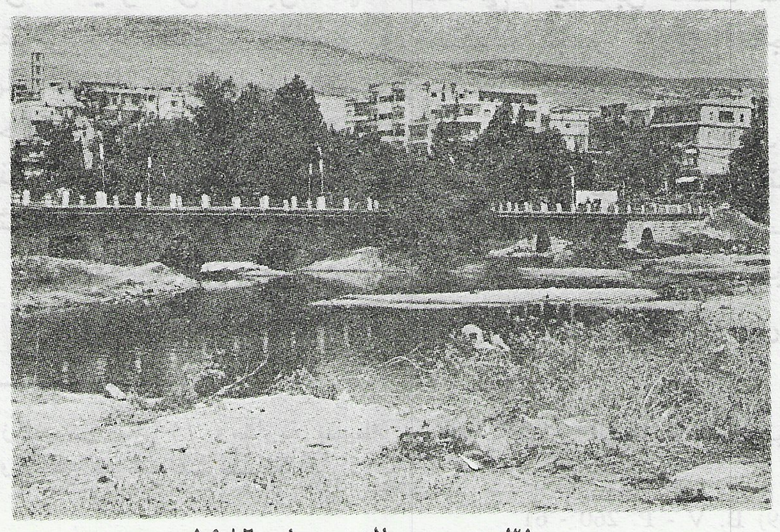
٤٨ ـ ز.ج ص /١١٩/ ومقارنة بسيطة بين هذا القول والقول الاقدم لجلبي والاصح تتوضح لنا المسألة أكثر ٠

(49) B. V - P. 260 - 61 .

والذي يعود الى العهد المملوكي ، حيث شكل على هيئة قناطر محلقة ثابتة ، وطرازه الحالي عربي عائد لعهد سيادة فن بناء الجسور العربية ، ولكن ملامحه الرئيسية قد تبدلت نتيجة الترميمات والاصلاحات • وأما الحجر الذي أزيل مؤخرا لسقوطه في الماء ، فقد نقش عليه اسم السلطان الظاهر جقمق المملوكي الذي حكم



٣٠ ـ جسر الشغر عام ١٩٣٢ ـ عن جولة أثرية



٣١ ـ جسر الشغر عام ١٩٨٦

مصر من ١٤٣٨ الى ١٤٥٣ م · وهـو من المماليك البرجيـة ، اشتراه السلطان برقوق وأصبح في عهد برسباي كبير الحجاب ، ثم أتابكا ثم وصيا على ابن برسباي السلطان العزيز يوسف ، خلعه واستأثر بالسلطة · انتهج سياسة خارجية سليمة · توفي في الثمانين من عمره · كما رممه « محمد باشا كوبرلي » عندما اهتم بالبلدة ، وجعلها محطة للمسافرين يجدون فيها ما يرغبون من راحة وأمان · وفي سنة ١٩٥٤ قامت السلطات بترميم واسع له بعد أن داهمه الفيضان الذي هدد المدينة وغمر بعض أطرافها، مما دفع السلطات لفتح عشر فتحات ، اضافة الى السابقة · طوله ٤٠٠ م وعرضه ٥ م · وهناك جسر آخر بنـاه الانكليز عـام ١٩٤٣ ، غير مستخدم الآن ، يقع في الجهة الشمالية من الجسر الحالي · وأما الجسر الحالي فمعقود على عشرين قنطرة منها عشر قديمة ، وعشر حديثة ، ثم حولت السلطات من العشر القديمة أربع حديثة · والفتحات الحديثة مربعة الشكل ، بعضها مستدير وصخورها مختلفة عن صخور القناطر العشرة الباقية المقوسة ·· وكما لاحظنا فان الرحالة جلبي ذكر أنه معقود على تسع قناطر عام ١٦٧١ بينما دولاروق ـ ١٦٨٨ ـ ذكر أنه معقود على أثنتي عشرة قنطرة وموندريل ١٦٩٧ ثلاث عشرة قنطرة بيما الغزي وزكريا ذكرا بانه يتألف من أربع عشرة قنطرة في الثلاثينات واكد الجميع على أنه رمم مرارا ، ويشير الى ذلك نوع حجارته المختلف · وهو مقوس في وسطه ، كي لاتدفعه تيارات المياه ، كانت تقام بقربه وفي منحنيات المياه السريعة ، على أطراف العاصي نواعير

---

٥٠ ـ ذكر الرحالة اينسورث ـ ١٨٣٥ ـ أن جسر الشغر البلدة العربية الوحيدة الواقعة على مجرى نهر العاصي · واما الجسر فمؤلف من ثلاثة عشر قنطرة وهو الوحيد المتين والنظيف · وكذلك ذكره نيبور من قبل ـ ١٧٦٦ ـ بطول ١٦٠ خطوة مزدوجة وعلى الضفة اليسرى منه يقع جبل الاكراد · R. E - P. 1099 وأما والبول ـ ١٨٥٠ ـ ذكر أن القناطر صغيرة جدا ، ومنخفضة ، وهناك تقوية في الجسر للتيار المائي ، وواحدة هيكلها واسع ·· رأينا أسماكا رائعة كثيرة ، في ذلك النهر الذي يفيض فوق السهل الجنوبي المستنقعي الفسيح · W. T . 3 - P. 188

تسقي الاراضي المجاورة • وفي زمننا لم نعد نجد لها من أثر بعد ، كما هو في حماه مع أنها كانت عديدة كما ذكرها كورانسيز عام ـ ١٨٠٩ ـ وفي الاربعينات من هذا القرن كان يوجد ثلاث نواعير، واحدة في الجانب الغربي ، واثنتان في الجانب الشرقي(٥١) • وأما اسمها فقد ذكرنا أنها سميت نسبة الى الجسر المعقود على العاصي، بالنسبة للشق الاول من الاسم ، والشق الثاني استمد من اسم قلعة الشغر ، والتي سنتحدث عنها فيما بعد • ونلاحظ أن الرحالة كتبوا جسر شغر وشغل والاصح كما كتبها برجرن في دليلة عام ١٨٤٤ جسر الشغر ، وظل اسمها هكذا سائدا بدون اضافة الواو، وهذا الاصح ، وما يعتقده بعضهم أنها جاءت من الثغور فغير وارد ذلك ، لانه لم يكن لها وجود يذكر قبل العهد العثماني بل الاسم والموقع لحصن الشغر وكذلك رحالتنا الخياري ، زارها في بداية تأسيسها ونهضتها فكتبها الشغر عام ١٦٩٩ وكذلك براون بعد مائة عام ١٧٩٧ كتبها باسم الشغر ، وأصبح يطلق عليها في القرن التاسع عشر جسر شغر ـ كوارنسيز ١٨٠٩ وبوركهارد ١٨١٢ ـ • وأما دورها كموقع استراتيجي هام في مفترق طرق المواصلات بين انطاكيا والبارا ـ أفاميا ، ولاوديسيا ـ بيروا (لاذقية ـ حلب) فغنى عن التعريف ، اذ لا يوجد أفضل من هذا الممر لعبور المسافرين والقوات العسكرية عبر االعهود القديمة والوسطى والحديثة • وقد أشار بعض الرحالة الاجانب الذين مروا في المنطقة في القرن التاسع عشر الى مشاهدتهم علائم الطريق الروماني المار من انطاكيا الى البارا ـ أفاميا أو لاوديسيا الى بيروا(٥٢) • حتى ان ابراهيم باشا المصري ، عندما جاء بحملته الى سوريا عام ١٨٣٢ ، اهتم بانشاء الطريق من لاذقية الى الجسر

---

(51) L'ORONTE - 1940 Paris P. 58

٥٢ ـ ذكره مونتفورت ـ ١٨٣٨ ـ اذ اكتشف على الشط الايسر للعاصي الطريق الروماني وكذلك ايلي سمث ـ ١٨٤٨ ـ قرب مصب نهر الابيض على العاصي بقوله «في هذا المكان نلاحظ ما يسمى بالطريق الروماني المرصوف بالاحجار بعد مسيرة عشرين دقيقة من بلدة القنية •

R. E - P. 1104 , D - T - P. 159 - 160 .

كما ذكر الرحالة والبول ـ ١٨٥٠ ـ وانه لو تم انجازه من قبل أتباعه ، لاصبحت جسر الشغر بلا ريب ، منطقة تجارية هامة ، وخاصة بعد اصلاح ميناء لاذقية ، كبديل عن ميناء اسكندرون الذي يعتبر ميناء حلب(٥٣) ونظرا لاهميـة المنطقـة السياسيـة والعسكرية في العهد العثماني ، ولما تمتعت به البلدة من ازدهار سريع ، بعد اهتمام آل الكوبرلي بها ، وكثرة سكانها وتقدمها الاقتصادي ، وورود قوافل التجارة والحجيج اليها ، كل هذا دفع السلطة العثمانية للاهتمام بها ، كما حدث لاختها ادلب الصغرى ، فاستقلت اداريا عن ولاية حلب في منتصف القرن الثامن عشر ، وكما ذكر الطبيبان الانكليزيان الاخوان رسل في حديثهما عن الفترة التي أمضياهـا في حلب ١٧٤٢ ـ ١٧٦٨ ، ومعايشتهما للاحداث « ومن مناطق الولاية التي استقلت مؤخرا الشغر (جسر الشغر) ويرأس حكومتها آغا من أبنائها تشمل سلطته ادلب أيضا ، يعينه الباب العالي ولا يخضع لوال ما(٥٤) . ونستنتج من قولهما بأن ادلب كانت تابعة لها لمدة وجيزة ، في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وسعت بلدة الجسر لاستقلالها ، لان والي حلب عجز عن التحكم في أمورها ، لبعدها عن الولاية وقربها من حدود ولاية طرابلس ، فكتب التقرير تلو التقرير طالبا عدم مسؤوليته عنها ، فتحقق رجاؤه وأجيب طلبه . وذكر كورانسيز ـ ١٨٠٩ ـ ان حدود ولاية حلب تنتهي قرب الجسر لتبدأ ولاية طرابلس(٥٥)

---

(53) W - T - 3 - P. 175 .

(54) Bod man (H) Politi cal Factions in Aleppo 1760 - 1826 N - Carolina. U. S. A - 1963 - P. 4 .

والرحالة في محافظة ادلب الجزء الاول ص /٥٦/ والافرنج في حلب في القرن الثامن عشر تعريب قسطون ـ حلب ـ ١٩٦٩ ص ١٦٤ ويضيف رسل «ويمكننا أن نعتبر معظم المناطق الجبلية مستقلة ، لان سكانها قلما يخضعون لغير رؤسائهم وزعمائهم ، ويكادون لا يعرفون لغيرهم سلطة عليهم ! » .

(55) C - I - P. 38 .

وهي تابعة مباشرة للباب العالي في استنبول حيث يحكمها آغا أو حكومات صغيرة غير مرتبطة بوالي حلب أو طرابلس . وكذلك ذكر الرحالة ري ـ ١٨٦٤ ـ أنه خيم في قرية جسر شغر ، حيث يفصل العاصي ولاية حلب عن لواء لاذقية التابع لايالة بيروت وأما الفرنسي غي في حديثه عن الاوضاع السياسية والدينية لولاية حلب عام ١٨٤٥ ـ ذكر ان الشغر تابعة لباشوية حلب مباشرة وتحكم من قبل نائب ، وبما ان الاخير ثقة في بحثه أكثر من ري ، فبامكاننا القول انها ظلت مستقلة اداريا عن ولاية حلب حوالي ثلاثة أرباع القرن، ونرجح انها أصبحت تابعة لها في الربع الثاني من القرن التاسع عشر ، وبخاصة بعد انهيار الاوضاع السياسية والادارية فيها بعد عام ١٨١٠ كما سنبحث لاحقا ، وكذلك بعد اهتمام ابراهيم باشا المصري ببلدة الجسر ، مما دفع السلطة العثمانية الى تشديد الرقابة عليها ، باصدار الاوامر الصارمة ، وسحب معظم شبانها الى الخدمة الالزامية ، وتطبيق النظام الشديد على أهاليها والمنطقة المجاورة لها كما سيذكر لنا الرحالة الذين زاروا البلدة فيما بعد . كما كانت هناك مراكز مراقبة جمركية وهي :

أ ـ مركز مراقبة عند الجسر : ذكره الرحالة كورانسيز ـ ١٨٠٩ ـ (كفار) بأنه محل لدفع الدية (الرسوم) وهو المكان الذي تجبى فيه الرسوم من كل نصراني يمر فيه ، وكان الرسم قرشين ، ولكن الحراس يطلبون أكثر ، وحاولنا عبثا اعفاء الاوربيين من هذا الرسم المخجل وفي حال عدم الدفع يجعلون بنادقهم في حالة تأهب ، ونتيجة هذا الاسلوب السيء ، يرفعون رسومهم ، واسلوب الحماية هذا شبيه باسلوب اللصوص أكثر منه

لجباية الرسوم[٥٦] • وذكره والبول ــ ١٨٥٠ ــ باسم مركز الرسوم الجمركية ، ومهمة هذا المركز مراقبة القوافل القادمة من الشرق والجنوب •

ب ــ مركز مراقبة بداما : ذكره موندريل ١٦٩٧ وكان يقع غربي بداما بحوالي ٣ كم ، بعد الناجية وعند قرية الكنندة ، لتكون حدا فاصلا بين ولاية حلب وولاية طرابلس ، والتي تضم لاذقية كمتصرفية لهذه الولاية • وهذا المركز يراقب القوافل القادمة من الغرب •

جـ ــ مركز الغفر ــ التنارية : يقع في الشمال الشرقي من الجسر بـ ١٥ كم ذكره موندريل بقوله « انه المكان الذي دفعنا فيه أول كفارتنا • وبلا شك ينبغي على المسافرين دفعها ــ في كل مرة يعبرون بها الطريق للذين ينتظرونهم في محطات محددة • كانوا في البداية يفرضون الضريبة على النصارى ، جزاء لاذعانهم وحمايتهم في تجارتهم من العربان واللصوص • ومازال الاتراك يتاجرون بهذا النظام المستخدم ، ويدافعون عن الاسباب ذاتها التي دعت اليه • لكن في ظل تلك الحماية ، هم الذين ينتهزون الفرص المناسبة من المسافرين خاصة الفرنجة ، ليأخذوا مبالغ غير معقولة وجائرة • وعوضا عن وجود الحماية الامنية ، نلتقي باللصوص منهم • بعد ساعة طويلة خلف هذه الكفارة ، قادنا الطريق فوق جبال في الطرف الغربي من وادي الروج • وصلنا بعد نصف ساعة من عبورنا ونزولنا في واد آخر ، مسرعين بشكل مواز كالسابق ، وغادرنا في الطرف الآخر للتل • وفي بداية نزولنا

---

٥٦ ــ C - I - P. 39 , 44 • ذكر الرحالة أوليفير (١٧٩٤)أن هناك نقطة حراسة عند الجسر تحيط بها أشجار الحمضيات والقطن والفواكه والخضر والمشمش والكرز وتجارة الحرير • وكانوا ينشطون بالتجارة عبر النهر ــ أي بالتهريب وأن البلدة صغيرة وضيقة تغلق كل ليلة مساء • وغنية بمحاصيلها التي عددها لنا R. E. P 1101 • وعلمت من كبار السن انه هناك مركز مراقبة آخر قرب جسر مجاور لقلعة شغر ، يدفع المسافرون الرسوم المقررة وللستينات كانت تشاهد بقايا هذا المركز •

في الوادي قرية تدعى بل ميس Bell - Maoz والتي منها في ساعتين نصل الى شغل (Jisr Shogher) Shoggle جسر شغر (٥٧) ·»
وكانت مهمة هذا المركز مراقبة القوافل القادمة من الشمال من انطاكيا ودركوش أو القادمة من الشرق عبر سهل الروج ·

الخـان : لقد أرتبط تاريخ بلدة الجسر بالخان ارتباطا وثيقا ، لانها لم تكن شيئا يذكر عام ١٦٤٨ ، حين مرور جلبي ، حيث ذكر وجود خان صغير ولعله خان التتن الداثر الذي اجتثت منه الحجارة ، لبناء الجسر على العاصي · والخان الذي ندرسه هو الخان العظيم والاكبر « خان الكوبرلي » · لم يبق منه غير مدخله الجنوبي ، كبقية معالم الجسر الاثرية ، التي أزيلت بكل أسف · اذ كان فيها عام ١٩٠٣ ثلاث خانات ·وفي عام ١٩٢٣ خان واحد وهو الذي سنوليه اهتمامنا · ولكن قبل البحث نذكر القلعة التي ذكرها لنا رحالتنا جلبي في زيارته الثانية عام ١٦٧١ ، المبنية على رأس الهضبة والمقابلة للخان ، ولعلها كانت كبرج مراقبة وحراسة وحماية الخان ، في بداية تأسيسه ، وقبل نزوح السكان الى المكان الذي توجد فيه البلدة حاليا · وقد ذكر الغزي عام ١٩٢٣ وجود قلعة فيها ولم يصفها لنا ويحددها تماما · وبرأينا هو المكان الذي شيد فوقه هذا البرج الحراسي كما هو في خان شيخون، حيث ألحق بالخان برج مراقبة فيه خمسون جنديا من المشاة وعشرة فرسان ، في النصف الثاني من القرن السابع عشر (٥٨) وفي الجسر كانت هذه القلعة (البرج) في الجانب الغربي للخان ، ومجاورة للجامع الكبير ، وفعلا بعد اطلاعنا على المخططات المساحية في مجلس المدينة وجدنا هذا الحي مربع الشكل ، وذكر لنا أنه مازال هناك أحجار كبيرة الحجم في هذا الحي ، الذي بنيت فوقه أبنية حديثة · كما

---

٥٧ ـ M - J - P. 386 - 87 وحول هذا المركز راجع الهامش رقم ١٩٣ في بحث دركوش · وبلميس : قرية قديمة في أصلها كانت شقيفا له ذكر في الحروب الصليبية حرره السلطان بيبرس من الفرنجة عام ١٢٦٧ م وتقع الى الشمال من جسر الشغر بـ ٩ كم وما تزال آثار الشقيف واضحة
٥٨ ـ الرحالة في محافظة ادلب ـ ج ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ·

لازال سكان هذا الحي يسجل في بطاقاتهم الشخصية « حي القلعة » ·
وأما خان الكوبرلي فقد أوضحته لنا النصوص السابقة ، التي تباينت في توضيح اسم بانية · وقد ذكرت السالنامة العثمانية لعام ١٩٠٣ ان محمد باشا الكوبرلي عمر جامع وخان وحمام في جسر الشغور ، بينما الرحالة السابقين ذكروا اسمين ، الاول : وهو الذي أصدر السلطان العثماني محمد الرابع عام ١٦٥٨ أمره ببنائه الى الوزير الاعظم محمد باشا الكوبرلي ، ولكن لم تمض غير ثلاث سنوات حتى توفي هذا الوزير عام ١٦٦١ م ، وليتسلم ابنه أحمد باشا الكوبرلي سدة الوزارة العظمى ، فتابع انجاز هذا العمل العظيم ، وهو الذي ذكره موندريل باسم كوبرلي الثاني ، فأوقف هذا الخان للمسافرين والمحتاجين للطعام والشراب وقد لاحظ الباحث الفرنسي سوفاجيه أن الرحالة عزوه الى الوزير الكوبرلي أحمد باشا فتوصل الى النتيجة التالية « ليس هناك أدنى شك في هذه الشهادات المعاصرة لهذا الحادث · اذن بني الخان بين ربيع ١٠٧١ هـ/ تشرين الثاني ١٦٦٠ وشعبان ١٠٨٧ هـ تشرين الاول ١٦٧٦ » وهذا غير صحيح استنادا الى الرحالة جلبي وهو أوثق من غيره ، لانه عثماني ، وقريب من السلطة العثمانية ومعاصر لهذه الفترة ، وكما ذكر سنة ١٠٦٩ هـ/١٦٥٨ بدأ محمد باشا الكوبرلي الصدر الاعظم ببناء هذا الخان ،وكما أكده المحبي أنه تفرغ لاجراء الخيرات ، فعمر الخان المعروف به في طريق قسطنطينية ، بين اسكي شهر وأزنيق ، والخان والعمارة العظيمة بقصبة الشغور[٥٩] ولكنه توفي عام ١٠٧٢ هـ/١٦٦١ م فأتم ابنه عمارة هذا الصرح الكبير ونرى أنه تم الانتهاء منه حوالي عام ١٦٦٥ ، لان جلبي ووانسلبن ذكر أنه تم الانتهاء منه حديثا · فيكون التاريخ الاصح ـ ١٦٥٨ ـ ١٦٦٥ م ، أي استغرق بناؤه ثماني سنوات · ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل كانت هناك غرف تأويهم ، قدمت لهم كهبة ومساعدة من آل الكوبرلي بالذات ،

---

٥٩ ـ المجي ـ خلاصة الاثر ـ دمشق ١٩٨٣ ج ١ ص ٣٠٠ ·

بما عرف عن هذه الاسرة من أهتمامها بالاوقاف[٦٠] ولم يوقف هذا الخان فقط بل أوقفت بعض القرى المجاورة ٠

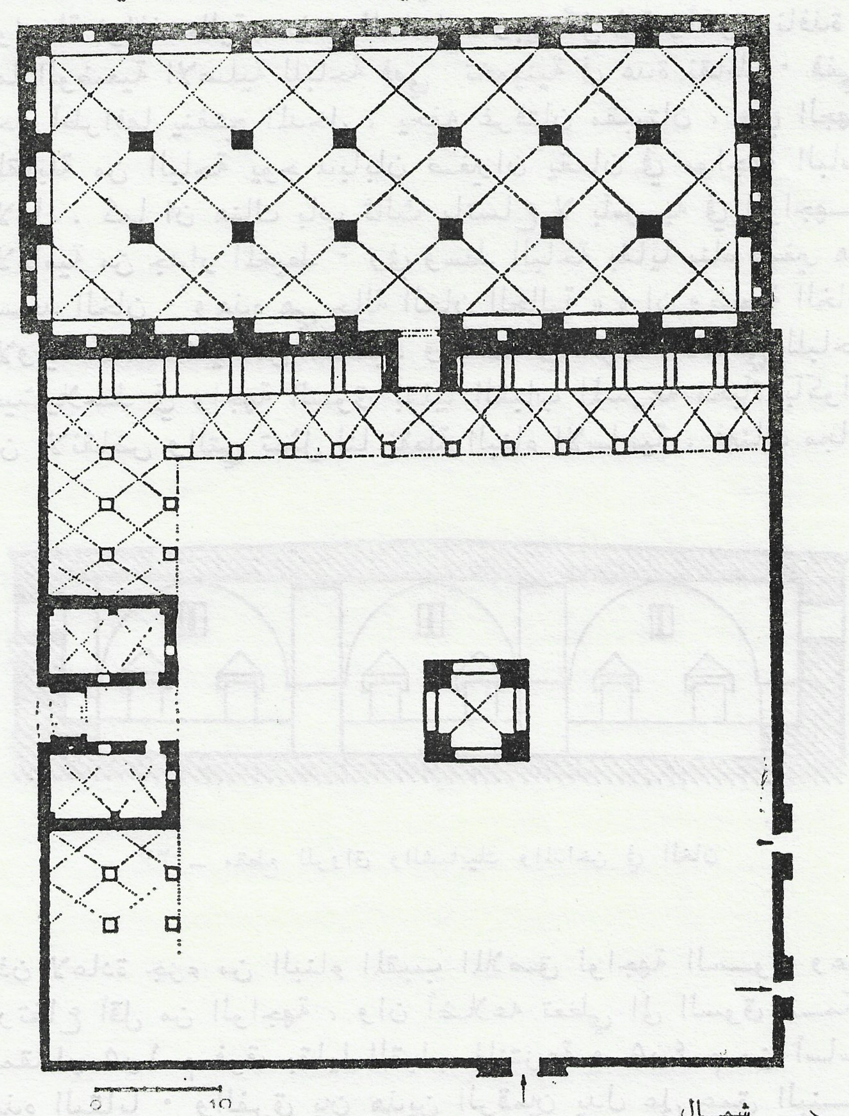
كما ذكر بوركهارد ـ ١٨١٢ ـ بأن بلدة جسر شغر تخص ذات العائلة « آل الكوبرلي » كما في ادلب وكذلك ، فهي مثلها تدفع خمسة عشر كيسا نقدا الى الكوبرليين ، وسبعة الى الحرمين ، وهي كادلب وقف للمدينتين المقدستين مكة والمدينة ، ويرتفع الدخل من ثلاث أو أربع عشرة قرية مجاورة لجسر شغر ، والذي خصص ليزود المضافات العديدة التي بناها آل الكوبرلي في البلدة ذاتها ، حيث عدد من الناس الفقراء يطعمون يوما مجانا ٠ لاادلب ولا جسر شغر تدفعان ضريبة أرض أو ميري ، طالما بالنتيجة يتبعان مكة ٠٠٠ وأما الرسوم المفروضة على مقاطعات جسر شغر فتبلغ عشرين كيسا من الدراهم ٠٠»[٦١] وهنا نلاحظ تقارب دخل آل الكوبرلي بين البلدة وريفها ، والذي ينفقونه على الاوقاف التي وهبوها للفقراء ، من ايجاد مأوى لهم ، الى الطعام اليومي ٠ ولعل ذكره المضافات العديدة التي بناها آل الكوبرلي في ذات البلدة دليل أكيد على فضل هذه العائلة على هذه البلدة في اقامة المنشآت العمرانية وجعلها بلدة متطورة يقصدها الغرباء ، ويمر منها الحجيج والقوافل بأمان واطمئنان ، ليتزودوا بما يرغبون ، ويبيعون ويشترون بكل حرية ٠ ولدى المقارنة مع بلدة ادلب الصغرى ، نجد نسبة ما تدفعه الى العائلة ثلاثة أرباع نسبة ادلب ، وللحرمين حوالي نصف ما تدفعه ادلب ، وقد ظل هذا الوقف مستمرا منذ منتصف القرن السابع عشر ولغاية زيارته ٠ وأما ضرائب الارض والميري فقد سبق الحديث عنها في بحث ادلب ٠ ولننتقل الآن الى عرض واقع الخان تفصيلا كما وصفه لنا الباحث الفرنسي سوفاجيه ـ ١٩٣٠ ـ « يقع الخان في منطقة التجمع

---

٦٠ ـ راجع تفصيل ذلك كتابنا « ادلب ٠٠ البلدة المنسية ! » قيد الاعداد والرحالة الجزء الاول ص ٧٣ ٠

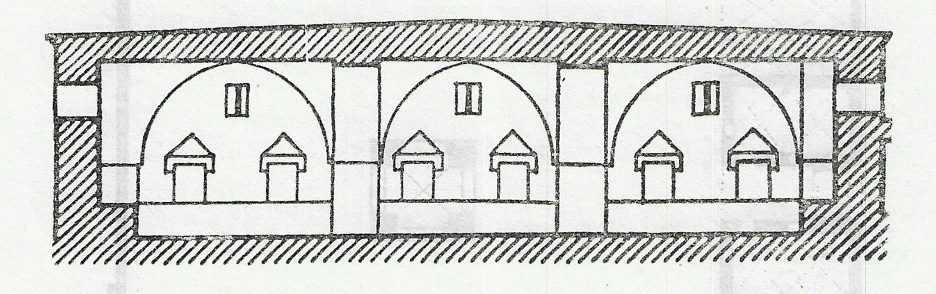
(61) B - T - P. 124 .

السكاني تقريبا ، حيث تقع البيوت مواجهة لجداره المسور ، بشكل يجعل من العسير الوصول الى جميع محيطه ، بالاضافة الى ذلك ، جزء من هذا الصرح المتصل تغير شكله الاصلي كما هو في الشكل . ويشغل القسم الامامي من البناء بباحة كبيرة سماوية،



٣٢ ـ مسقط أفقي لخان الكوبرلي في جسر الشغر عام ١٩٣٠ (عن سوفاجية)

وفي نهايتها سوق كبير مقبب يشكل العنصر الاساسي للخان ، وأعمدة كبيرة ترتكز عليها القباب وتنتظم المداخن في الجدران بارتفاع ١/١٠ عن الارض ويفترض وجود مصطبة بدائية في هذا المكان ، ولكنها زالت دون أي أثر لها • أما انارة السوق فتتم بواسطة نوافذ عالية ، تفتح للداخل ، وبين كل لمعة وأخرى نافذة• أما الوضعية الاصلية للباحة فهي تخمينية في عدة نقاط • ففي أحد أطرافها ينفتح المدخل ، يحفه غرفتان مقببتان ، وفي الجهة المقابلة من الباحة يوج دبابان صغيران يقعان في مواجهة الباب الاول ، كما ان هناك باب ثالث باتساع لا بأس به في الواجهة الامامية من جدار المحيط • وفي وسط الباحة بقايا بناء صغير هو مسجد الخان • وهذه هي حالة الخان الحالية » « ان وضعية الخان الاولية كانت غاية من التعقيد وخاصة في الوجه الامامي للباحة حيث يلاحظ في واجهة السوق بقايا القباب المنتزعة مخبأة بأكوام من الانقاض والتي تمثل لنا نقطة البناء الاساسية ، فهناك مجال



٣٣ ـ مقطع للرواق والشبابيك والمداخن في الخان

اذن لاعادة جزء من البناء المقبب الملاصق لواجهة السوق وعلى ارتفاع أقل من الواجهة ، وان أضلاعه تعطي الى السوق سمكا بمقدار ٥ر١ م فوق بقايا القباب المنتزعة و ٥ر٤ م من أساس هذه البقايا • والفرق بين هذين الرقمين يدل على عمق البناء المذكور ، والعمق قليل لا يتجاوز ثلاثة أمتار بشكل يوافق لمكان

سكني وان الفرضية المقبولة أكثر من غيرها ، بان هناك اعادة بناء للمخازن على شكل سوق صغير لتموين المسافرين بالاشياء الضرورية الاولية ، وان هذا البناء يتجانس مع الخانات الاخرى المعاصرة ، وكان يمتد أمامه بدون ريب ، رواق مسقوف ليقي التجار والزبائن والبضائع من تقلبات الجو ، وان الرواق كان يمتد على أربع واجهات من المساحة ، وبحسب بعض الاقوال المحلية للمنطقة ، كان يحوي الخان على حمام أشير الى مكانها في القسم الامامي من الساحة ، مقابل الغرفة التي تجاور المدخل • ويضيف سوفاجيه بانه ليس لديه ملاحظة بخصوص هذه الناحية التي ليس لها أي أثر • ومن الجائز أن هذه الحمام التي ليس هناك من رأي يعارض القول بوجودها ، كانت تقع حقا في ملحقات الخان التي زالت في هذه الايام • أما هذه الملحقات التي كان ينفتح عليها بابان مثبتان في احدى الواجهات الجانبية من جدار السور ، أحدهما يؤدي الىمحل بيع الحوائج للجنود والمسافرين ، وهذا ما يذكره المسافرون ، وكذلك مازال السكان يحتفظون بهذه الذكرى • أما الباب الآخر فيؤدي الى مكان المرضى (المشفى) • وقد أشير الى ذلك بالنصوص السابقة والتي فيها موقع الحمام • وقد بني الخان باعتناء زائد ومن الحجر الجيد ، وبدت صورة جدرانه بهيجة • أما أحجار القباب فهي على شكل غير منتظم ، وقد زين الباب الرئيسي ومدخل السوق بنقوش تظهر التزيينات الاثرية العثمانية كما في حلب(٦٢) وفوق الباب الكبير الجنوبي كتب في لوحة باللغة العربية « جدد هذا الخان بالامر العالي سر البوابين الحاج اسماعيل آغا شريف زادة سنة ١٢٤٢ هـ » وحسب هذا الامر فان الحاج اسماعيل هذا كان رئيس الحراس في الباب العالي الذي رمم هذا الخان سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ ـ ١٨٢٧) بينما ذكر الطباخ في ترجمته انه توفي سنة ١٢٤٢ هـ بعد أن كان متسلما لحلب سنة ١٢٤٠ ، وانه جدد دار الحكومة في جسر الشغر

---

(62) Sauvajet : Art Islamic Revu V 4 - 1930 P. 108 .

كما هو محرر على بابها ٠ وهذا يفيد انه كان حاكما فيها[٦٣] وفي عام ـ ١٨٥٠ ـ زار الجسر الرحالة والبول فكتب يحدثنا عن الخان « فيها خان كبير يكاد ينهار ، وقد ذكر لي المتسلم الذي دعاني لزيارة هذا الخان انه قد أصلحه منذ فترة قصيرة جدا ، وبطراز تركي شائع ، رغم أن هذه الطريقة لم تعد مجدية ٠ يشتمل الخان على طابقين ، السفلي فيه أرضية تنحدر قليلا ، وأما العلوي ، فرغم أناقته يتخلل المطر جدرانه ، وقد أصبح خربا جدا ، ولذلك اضطر المتسلم لازالة هذا الطابق ٠ وهكذا تحول الخان الى طابق واحد عال ، وشكله لائق تماما[٦٤] ونضيف ان هذا ، كان الاصلاح الثاني بعد الاصلاح الاول ، الذي تم بعد وقوع الزلزال عام ١٢٣٧ هـ/١٨٢٢ م الذي دمر بعض معالم الجسر الاثرية كالخان والجامع الكبير وغيره كما سيرد لاحقا ٠ وقد ظل هذا الخان مركزا خاصا لدار الحكومة ـ سراي ـ الى ان فكرت السلطات ببناء دار حكومة جديدة بديلا عنه ، وتم ذلك عام ١٩٣٠ ، دشنها الشيخ تاج الدين الحسني رئيس وزراء سوريا ، في موقع الى الشرق من الخان قرب ضفة العاصي والجسر ، والقيت في هذه المناسبة كلمات قائمقام الجسر الذي تمنى جلب عين ماء استبرق الى المركز وضرورة انجاز طريق الجسر حمام الشيخ عيسى وحاجة القضاء الى المدارس[٦٥] ٠

ومن خلال الاطلاع على مخطط سوفاجيه ، فقد كانت مساحة الخان تبلغ قبل هدمه /٥٠٠٠/ م٢ ٠ اذ هدم طرفه الغربي منذ ربع قرن ، حيث شق شارع سوق القصابين ٠ وكما ذكر جلبي فان هذا الخان من أعظم الخانات من اسطنبول الى غزة والذي كان يتسع لايواء الف شخص مع دوابهم ، بينما خان مراد باشا في المعرة يتسع لايواء ثمانمائة شخص مع دوابهم ٠

---

٦٣ ـ الطباخ جـ ٧/ص ٢٣٩ ٠

(64) W - T - 3 - P. 173 .

٦٥ ـ الرحلة التاجية ـ حلب مطبعة المعارف ١٩٣٠ م ص ٠ وتدعى كذلك اشتبرق وتقع الى الغرب الجنوبي من الجسر بـ ٣ كم ٠

الجامع الكبير : من المعالم الاثرية القيمة والباقية ، بناه محمد باشا الكوبرلي ، كما أشارت الى ذلك الوثائق السابقة وخاصة الرحالة الخياري ١٠٨٠ هـ/١٦٩٩ م « أن المسجد العظيم الذي انشأه الوزير الاعظم محمد باشا بين يديه رحبة بها فوار ماء عظيم وبه • بحرة ماء عظيم وبه بحرة ماء عليها مربع مغشى بالرصاص ، وفي البحرة أنابيب الوضوء والمسجد مبيض الجهات، عليه قبة واحدة عظيمة الوضع ، وبه محراب مشرق ومنبر كذلك • وماء هذه البحرة ينبع من جبل هناك حلو بارد وليس من نهر العاصي • وبعد دخولنا المسجد المذكور أجتمع بنا خطيبه وامامه وكرمنا بما تيسر ، فاذا به رجل حسن الاخلاق عذب الحديث ، وبعد دخولنا الجامع واجتماعنا بخطيبه المذكور ، واستعذاب الماء والموضع والهواء طلب مني بعض من معنا من الاحباب نظم شيء من الابيات فنظمت هذه الابيات ، فجاءت بنت الوقت والساعة • وقد أخذ نسخها بعد نظمها وقراءتها الامام عنده استحسانا لها وهي :

مررنا بوادي الشغر قد رق ماؤه
وراق هواه فاستطبناه منزلا
به مسجد حلاه لعابد
فالله ما أبهاه وضعا وأفضلا
أثاب اله العرش بانيه رحمة
ومغفرة حتى تعم وتشملا
وعمّره بالنا سكين به لكي
يكون مدى الايام بالنسك موهلا

وأقمنا به الى أن صلينا العشاء وتناصف الليل أو زاد على النصف بقليل • فرحنا في أمان الله وحفظه ورعايته ولحظه[٦٦]» • يقع الجامع الان في وسط البلدة ، وقد تغيرت بعض معالمه ، اذ

---

٦٦ ـ الخياري ـ رحلة الخياري ـ بغداد ١٩٦٩ ص ١٨٧ •

جدد مرة اخرى ، كما وجدنا فوق ساكفة باب الحرم لوحة كتب عليها ما شاء الله كان جدد هذا الجامع الشريف وقف الحاج محمد باشا كبرلي زادة على يد عمدة الاغوات الحاج اسماعيل آغا شريف زادة في سنة احدى وأربعين ومايتين وألف ١٢٤١ هـ » . أي انه جدد قبل عام من تجديد الخان ، والذي جدده كذلك اسماعيل آغا كما ذكرنا . وتم التجديد الاخير عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م . وهو مؤلف من قبة واحدة واسعة ، نقوش سقفها بديعة وجميلة . والمئذنة مبنية على الطراز التركي المعروف ـ انظر الصورة ـ



٣٤ ـ الجامع الكبير في جسر الشغر (جامع الكوبرلي)

ومن خلال وصف الخياري المقارن مع الواقع الحالي ، نجد تبدلا طفيفا في الجامع ، سببه الزلزال الذي وقع عام ١٢٣٧ هـ/١٨٢٢م

في شهر آب ، الذي أثر عليه كما أثر على واقع الخان الكبير وأما الماء البارد الحلو ، فكان يجلب بقنوات خاصة من مياه استبرق ٠ ومن الذين زاروا الجسر ، وتحدثوا عن جامعها الشيخ الادهمي الطرابلسي ، الذي مر ببلدة الجسر سنة ١١٥٠ هـ/١٧٣٧ مع مجموعة من علماء الازهر برئاسة المؤلف ، وهم متجهون الى ادلب فحلب ، وفي العودة وصلوا الى « جسر الشغر وصلوا الظهر في جامعها واذا رجل من الشافعية يقرأ للناس تفسير الخطيب ، فدلف اليهم وعرض الضيافة عليهم ، فاعتذروا[٦٧] وقد أشارت الوثائق الى وجود جوامع أخرى ٠٠ ففي عام ١٣٠٦ هـ/١٨٨٨ م كان فيها جامعان وخمسة مساجد وتكية واحدة[٦٨] وفي ١٩٠٣ جامعان وفي ١٩٢٣ ثلاثة جوامع وخمسة مساجد وتكية واحدة وحمام واحد[٦٩] وفيها الآن أحد عشر جامعا ومسجدا ٠ والزلزال الذي وقع سنة ١٨٢٢ م ، لم يؤثر على الجامع الكبير فقط ، بل كذلك على مسجد مجاور له يدعى الآن جامع الخربان » لان معالمه أزيلت ، لتحل محله حديقة ٠ وقد وصف الشاعر محمد تقي الدين ابن الشيخ محمد المطلبي هذا الزلزال[٧٠] ٠

اين القصير واين الجسر ياسندي ★ صاروا رميما بلا مال ولا ولد
افناهم الدهر والباقون في كمد ★ وكم تحصنوا في حصن وفي زرد
فلم تفدهم وناعي الموت ناعيها

ياجسر شغر لحاك الله من وطن ★ أفنيت أهلك لاغسل ولاكفن
قرحت قلبي بالاحزان والشجن ★ أسفا على كل وجه أبيض حسن
وأهيف قد دوت منه مبانيها

---

٦٧ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٧ سنة ١٩٢٧ ص ٣٠٣ عرض لمخطوط رحلة الادهمي الطربلسي الى بلاد الشام ٠

٦٨ ـ باشى : قاموس الاعلام ـ استنابول ١٣٠٦ هـ مجلد ٣ ص ١٨١٦ ٠

٦٩ ـ الغزي ٤٤٢/١ ومازال هناك حي يسمى بالتكية ، ويسجل على هويات سكانة « خانة التكية » ٠

٧٠ ـ الطباخ ٤٠٢/٣ و ٤٠٥ ٠

وقد أعقبت هذه الزلزلة زلزلة أخرى عام ١٣١٥ هـ/١٨٩٧م ولم تعقب ضررا ٠ كما تعرضت البلدة الى الهواء الاصفر عام ١٨٣٧ م[٧١] ومرة أخرى عام ١٩٠١ وفتك بأهلها عدة أيام[٧٢] وفي عام ١٩٠٦ م مات فيها عدة اشخاص على الطرقات من شدة البرد وكثرة الامطار وزوابع الثلج[٧٣] وفي عام ١٩٧٢ طاف نهر العاصي ، ودمر بعض المنازل الواقعة على ضفته ٠

ننتقل الان الى جو آخر مع الرحالة بوركهارد ـ ١٨١٢ ـ بعد زيارته ادلب وريحا ، ذكر الواقع السياسي عرضا في جسر الشغر فقال « ان أهمية الدالاتية في ريحا ، كانت من خلال ارتباطهم بطبل علي زعيم الدالاتية في جسر شغر ، يبلغ عدد الخاضعين لسيطرته حوالي ستمائة شخص ومع ميلي اسماعيل ، الزعيم الآمر في قلعة المضيق ٠٠٠ »[٧٤] وقبل الاسهاب بالحديث عن الواقع في بلدة الجسر والمنطقة ، لابد لنا من توضيح حقيقة الدالاتية هؤلاء ، فقد أشتق اسمهم من الكلمة التركية Deli وتعني الاحمق أو المجنون ، دعوا بذلك نظرا لطيشهم وجندوا من اجناس مختلفة، من الاناضول ، وقائدهم يعرف بدلي باشي، اشتهروا في بلاد الشام في القرن الثامن عشر كجنود مرتزقة ، وبالنسبة للجسر فقد كان حاكمها يدعى الطبل على قبل مجيء بوركهارد ـ ١٨١٢ ـ اذ لجأت السلطة العثمانية عام ١٨١١ الى تعيين وال جديد في حلب يدعى محمد رجب باشا ، بعد أن أخفق السابق في السيطرة على الجسر والتي كانت شبه مستقلة اذ في عام ١٨٠٨ اغتصب السلطة فيها طبل على ، مما دفع هذا الوالي الجديد الى استعادة سلطته أمام الباب العالي في جسر الشغر ، فحاول القضاء عليهم ، ولكنه

---

٧١ ـ بخاش ـ نعوم = أخبار حلب ـ ١٩٨٥ ج ١ ص ٦٤ ٠

٧٢ ـ الغزي ٣/٤٥٩ ٠

٧٣ ـ نفس المرجع ٣/٤٦٦ ٠

(74) B - T - P. 125

أخفق في محاولته .. وبصراحة لم يتمكن رجب باشا من ادارة شؤون ولايته بنجاح ، وكان ضعيف السلطة بحلب ، فالانكشارية مازالوا أقوياء كما كانوا عند حضوره فعزل عن الولاية في نيسان ١٩١٣ ، وجاء مكانه شعبان أوغلو جلال الدين محمود باشا ليتمكن عام ١٨١٥ من فتح الطريق من بيلان الى اسكندرون الذي ظل مغلقا سبع سنوات وتمكن من طرد عمر آغا قائد الاكراد وسعيد آغا حاكم ريحا وطبل علي حاكم الجسر (٧٥) وقصتهما أنه في سنة ١٢٢٨ هـ/١٨١٣ غضبت الدولة على سعيد آغا حاكم ريحا والطبل علي حاكم جسر الشغر ، فهربا من تلك البلاد ، وكان سيرهما نحو بلاد الامير بشير في لبنان ، فلم يقبلهما فانصرفا الى نواحي حماه . وبلغ سليمان باشا حضورهما الى هذه البلاد ، فكتب في طلبهما كتابا الى الامير بشير من صورته أنه وفد اليه ثلاثة أوامر سلطانية من جانب الدولة العلية .. ومضمونها أنه منذ سنوات لسبب خلو ايالة حلب الشهباء من صيانة الوزراء ، وقع الفساد من بعض القادة الاشقياء . ومن جملتهم محمد سعيد متولي أريحا والطبل على ضابط جسر الشغر . فانهما ظلما العباد وأفسدا نظام البلاد، وخرجا من قيد الطاعة والانقياد . ولاجل تنظيم الايالة المذكورة. اقتضى توجيهها الى عهدة الدستور المعظم والمشير الخطير المفخم سعادة أخينا محمد هلال الدين باشا المكرم والمشار اليه بحسب الامر العالي ، قد حضر مع العسكر الى قتالهما واذلالهما ، فثبتا على قتاله ، حتى دارت عليهما الدائرة ، وغلبا فانهزما بأموالهما وعيالهما الى بلادكم . ولايخفى عليكم أن عدو الدولة العلية ، هو عدو الله ورسوله فيجب عليكم القبض عليهما ، وارسال رأسيهما الى العتبة الملكية ، وضبط جميع أموالهما وأسبابهما حسب الشرع الشريف . لان سعادة والي حلب المؤمن قرر في العتبة العلية وصولهما الى بلادكم .. وان دمهما مباح ... ولكن يأتي الجواب أن محمد سعيد والطبل علي حضرا الى هذه البلاد ، وتم عرض

(75) Bodman (H) B. F. in Aleppo 1760 - 1826 N. Carolina U.S.A - 1963 - P. 128 - 131 .

المرسوم على الناس ، ولكن الامير بشير يختم الجواب مع جميع أكابر البلاد ، ولم يشاهدهم أحد فيها فيما بعد . وأما سعيد آغا والطبل علي فانهما خرجا الى نواحي بغداد ، فأقاما مدة هناك . ثم رحلا الى مصر ونزلا على محمد علي باشا ، فقبلهما وشفع عند الدولة العلية لهما ، فصدر العفو عنهما وأقاما عنده الى ماشاء الله(٧٦) .

ولكن لم تهدأ الاحوال في الجسر بعد ان تم القضاء على سلطة طبل علي وأعوانه ، اذ بدأ آل رستم بمحاولة جديدة لاستعادة نفوذهم السابق ، كما كان في القرن الثامن عشر . ففي عام ١٨١٦ قتل علي آغا رستم ابن عمه واستولى على جسر الشغر ولاذقية وصادر أغنياءهما حتى قنصلي بريطانية وفرنسة(٧٧) والذي نرجحه أن بلدة الجسر فقدت استقلالها الذاتي عن إيالة أو ولاية حلب ، بعد هذه الاحداث الدامية ، فبعد أن كانت تابعة مباشرة لاسطنبول ، أصبحت تابعة لايالة حلب مباشرة . وأما آل رستم فقد ظل دورهم وتأثيرهم في المنطقة مستمرا ، حتى ان الامير ابراهيم باشا المصري بن محمد علي عندما قدم الى سوريا عام ١٨٣٩ ، منع جباية الخوة في معابر البلاد ومسالكها ، فنفر منه آل رستم في جسر الشغور(٧٨) وهم الذين كانوا يسيطرون على مفارق الطرق ومفارزها في كل من جسر الشغر ــ الشغر ــ دركوش . وكما ذكرنا رغبة ابراهيم باشا بتحسين الطريق بين لاذقية ــ حلب ، ليتمكن من السيطرة على الطرق ، وكان أول من عارضه في تنفيذ رغبته آل رستم ، لحرمانهم من الخوة التي كانوا يفرضونها على المسافرين . ففي شهر تموز ١٨٣٩ قتلوا خرفان آغا متسلّم الجسر فأرسل ابراهيم باشا يخرب الجسر ومعها أربع ضيع . وأرسل أسماعيل بك وأربع من الاسلام المتوجهين لكي يعطو رخصة

---

٧٦ ــ تاريخ الامير حيدر الشهابي القاهرة ١٩٠١ ج ٣ ص ٩٢١ .
٧٧ ــ الغزي : نهر الذهب ٣/٣٢٢ .
٧٨ ــ دائرة المعارف للبستاني بيروت ١٩٥٨ ج ٢ ص ١٥ .

للعسكر بالنهب والقتل والسبي[٧٩] وفي عام ـ ١٨٥٠ ـ ذكر والبول أنه تعرف على متسلم قرية الشغر محمد رستم آغا ، والذي يقطن في منزل يغاير منازل الآخرين وذكر أنه كان حاكما لجبل الاكراد ، وهو الذي أثنى عليه الرحالة العقيد تشسني وبعثة الفرات الاثرية • وكان له دور مؤثر في المنطقة ، عندما أعلن تطبيق النظام في المنطقة ان نفوذ آل رستم في المنطقة يعود الى ما قبل منتصف القرن الثامن عشر حيث كان (محمد بن رستم) عام ١٧٣٧ قائمقاما على ادلب وريحا والشغور ـ أي جسر الشغر ـ وخلال السبع سنوات التي تولاها ، مارس خلالها شتى أنواع الظلم والسرقة والنهب ، حتى أنه احتال على دفاتر الضرائب الواجب تحصيلها من الذميين • وفي ريحا استغل عمال طبخ الصابون فيها لمنفعته الخاصة • مما دفع السلطان العثماني لاصدار فرمان باعفائه من مناصبه ، بناء على العرائض المقدمة من أهالي هذه البلدان وذلك عام ١١٥٧ هـ/١٧٤٤ ثم يعود ويتولى منصب المتولي على أوقاف الكوبرلي في جسر الشغر عام ١٧٤٨ ، ويستغله مرة أخرى لمصالحه الخاصة ، فيصدر السلطان أمرا آخر بكف يد المغتصب محمد بن رستم ومحاسبته على الاموال الوقفية ، وتولية الكتخداي حاج علي على الوقف المذكور • وفي عام ١١٨٥ هـ ١٧٧١ يتولى أوقاف الشغور رستم زادة محمد ولكنه في عام ١١٨٧ يتهرب من أداء ما عليه مـ ن الرسوم فيعفى من منصبه ويطلب ملاحقته[٨٠] « وفي عام ١١٨٩ في جمادي الثاني/١٧٧٥ م جار والي حلب الحاج علي باشا طلجلي ، ويخرج أغوات حلب والاوجاقلية في معية كتخداه كوساكاهية ، لقتال التركمان ولما وصل الى جسر الشغر حاصرها ، فلما امتنعت عليه أرسل يطلب عونا من الباشا والي حلب ، فأرسل الاخير دلالا ينادي في حلب بخروج بقية الانكشارية ، لامداد كاخيته الذي يحاصر الجسر ،

---

٧٩ ـ بخاش ـ نعوم : أخبار حلب • حلب ١٩٨٥ ج ١ ص ١٠٥ •

٨٠ ـ راجع التفاصيل في كتاب «ادلب البلدة المنسية ! » قيد الاعداد •

ولكنهم أبو وامتنعوا عن الذهاب[٨١] لانهم كانـوا من المعارضين لكتخداه • ثم تستعيد السلطة سيطرتها على البلدة مرة ثانية ، لتليها حوادث أخرى وفي مطلع القرن التاسع عشر يتمكن محمود بك ابن رستم من أن يؤسس لنفسه أمارة مستقلة في جسر الشغر، وذلك بحماية الجزار باشا[٨٢] وهنا نتساءل لم كانت بلدة الجسر، مستقلة اداريا عن مدينة حلب في القرن الثامن عشر ، حيث يعين حاكمها من الباب العالي في اسطنبول مباشرة ، دون الرجوع الى حلب ،واستمر هذا الوضع الى عام ١٨١٥ حيث كانت مستقلة تحت دري بك الصغير[٨٣] ؟ ، ومع أنها لم تكن بعيدة عن حلب كغيرها من المناطق ، بالاضافة الى موقعها التجاري الهام ، وحدودها المتاخمة لولاية طرابلس مع متصرفية لاذقية ، فانهـا استقلت اداريا ، نظرا لانها كانت عاصمة منطقة القصـير ، حيث تركز التركمان والطوائف الاخرى ، وهذا الواقع دفع السلطة العثمانية ـ كما في لبنان ـ الى منحهم الاستقلال الذاتي ، وأن يكون حاكمها من أهلها ، امتدت سلطته أحيانا الى ادلب بالذات ـ كما أسلفنا ـ في الربع الثاني من القرن الثامن عشر • وحاول آغا الجسر أكثر من مرة الاستقلال الكامل عن السلطة العثمانية ، كما حاول آل رستم أكثر من مرة عدم دفع الرسوم المترتبة عليهم تجاه السلطة ، فما كان من السلطان الا ان يصدر أوامره الى باشا حلب ليعيد الامور الى نصابها •

الواقع السـكاني : لم يكن الموقع المجاور للجسـر مأهـولا بالسكان سنة ١٦٤٨ ، بل كان هناك خان صغير ، والطريق غير آمن ، وحينما أهتم آل الكوبرلي بالمنطقة باعمارهم الخان الكبير ، تحول سكان القرى الى الاستيطان بقربـه ، نظرا لاعفائهـا من الرسوم والاعشار حسبما ذكره بوركهـارد ، ولورود الحجاج

---

٨١ ـ الطباخ : سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٤٨ وبودمان ص ١١٢ •

(82) BODMAN - P. 122 (83) Ibid - P - 5

والتجار اليه . فأقيمت المنشآت الخدمية بجواره بدءا من عام ١٠٦٩ هـ/١٦٥٨ م . وفي عام ١٦٧١ م كان هناك حوالي مئة بيت أي ما يعادل سبعمائة نسمة . وأما براون ـ ١٧٩٧ ـ فذكر أنها كثيرة السكان . وكورانسيز ـ ١٨٠٩ ـ بلدة مكتظة بالسكان

عدد السكان	العام	المصدر
٧٠٠	١٦٧١	جلبي
٤٠٠٠	١٧٩٤	أولفير
٥٠٠٠	١٨٨٨	قاموس الاعلام
٤٠٠٠ فيها ٦١٩ خانة	١٩٠٣	السالنامة
٢٣٢٨	١٩٢٢	الغزي
٤٠٠٠	١٩٣٢	أحمد زكريا
٨٧٠٠	١٩٤٥	الاحصاء الفرنسي
٨٠٠٠	١٩٤٨	قيود النفوس
١٣٨٨١	١٩٦٢	قيود النفوس
٢١٤٦١	١٩٨١	التعداد العام
٢٥٧٣٥	١٩٨٦	النمو السكاني

وأما النصارى فأول من أشار اليهم والبول ـ ١٨٥٠ ـ بقوله فيها سبع عائلات نصرانية تدين بالمذهب الارذوكسي ، وفيها كنيسة وخوريان ويروي حادثة حصول الكنيسة على أرض خاصة بها بمساعدة القنصل الانكليزي . وأن نصارى الجسر غير ملتزمين بالنظام ـ أي الجندية ـ لاعفائهم منه . والكنيسة المذكورة تقع في الحي الغربي ، والمجددة سنة ١٩٢٦ . وبلغ عدد النصارى سنة ١٩٢٢/١٤٧/ ن . وفي نهاية عام ١٩٨٦ كانوا كما يلي ٤٤٩ روم أرذوذكس ١٢٨ أرمن أرذوذكس ٤١ لاتين والمجموع ٦١٨ن. وقبل وداعنا هذه البلدة التي أطلنا زيارتنا فيها نرافق من زارها في هذا القرن ، وهو عهد قريب منا .

١٩٣٢ ـ أحمد زكريا ـ جسر الشغر : وجسر الشغر بليدة جميلة فيها من السكان أربعة آلاف ، عرب أكثرهم مسلمون، وفيها دار للحكومة جديدة ومساجد ومدارس ودور للاهلين مبنية بالحجر

الابيض حسنة في الجملة ، ويمر من وسطها طريق السيارات الذاهبة من اللاذقية الى حلب،ولكن هواءها رديء لقرب مستنقعات الروج والغاب منها · هذا وفي أواخر القرن الماضي جعلت بلدة جسر الشغر مركز القضاء[84] ، لم يصب بقوله انها جعلت مركزا للقضاء في أواخر القرن الماضي ، فهي قضاء قبل ذلك وأما دار الحكومة ، فقد كانت سابقا في خان الكوبرلي ، ونظرا لتوسع البلدة وتشابك مصالحها ، فكرت السلطات باقامة دار للحكومة الى الشرق من الخان قرب جسر نهر العاصي ، دشنها الشيخ تاج الدين الحسني رئيس وزراء دولة سوريا عام ١٩٣٠ ·

١٩٤٧ ـ البستاني : « حتى تصل الى قرية جسر الشغر أو الشغور ، في وادي العاصي الفسيح ، على ثمانين كيلو مترا من اللاذقية ··· ينصرف أكثر سكانها الى الزراعة في وادي العاصي · أما البيوت فتتسلق تعبة واطية السقوف ، سفوح الهضبة فوق الارض الزراعية ، لا يتخللها جنينة ولا شجرة ، ظاهرة ، في بياض لبنها على تلك الارض البيضاء ·· »[85]

وأخيرا نودع جسر الشغر ، التي استوفت حقها من البحث كما نعتقد !

قرية الشغر

تقع الى الغرب الشمالي من جسر الشغر ، بمسافة ١٢ كم · تاريخها قديم ، ارتبط بالحصنين المجاورين لها[86] ، كما في حارم اذ ارتبط تاريخ البلدة بتاريخ القلعة · وكما حدث مع حصن شغر ـ بكاس ، بعد الزلزال الواقع سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م الذي دمرها ، ان ازدهر الموقع الغربي لحصن بكاس ، فاستوطن السكان فيه ، وحاولوا اعادة مجدهم الغابر ، ليس عسكريا بل اداريا

---

٨٤ ـ ز ـ ج ص /١١٩ ـ ١٢٠/ ·
٨٥ ـ البستاني ـ خمسة أيام في ربوع الشام ص ١١١ ـ ١١٢ ·
٨٦ ـ انظر كتابنا «حصن شغر ـ بكاس (حطين الثانية) قيد الطبع ·

وعلميا ، اذ ظل مركز قضاء كما تشير الى ذلك الحوليات العربية ، ودعي باسم قضاء الشغر تتبعه عدة قرى ، وذلك قبل ظهور مدينة الجسر الحالية في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، ولتحتل مركز القضاء منذ ذلك الحين . وكما ذكرت فان حصن شغر - بكاس كان من الناحية الادارية احدى نيابات حلب ، ويطلق على حاكمها النائب بالشغر وبكاس . وحفاظا على هذا المركز الاداري ظلت البلدة محتفظة به ، ودعيت قضاء الشغر فيما بعد . ومن الذين تولوا هذا القضاء عبدالله بن عصرون المتوفي عام ٨٢١ هـ وكان شافعي المذهب(٨٧) بينما كان اصحاب حصن شغر بكاس من أصحاب ابن تيمية عام ٧٢٥ هـ . وظلت قضاء الى منتصف القرن السابع عشر كما ذكر جلبي في رحلته الاولى عام ١٦٤٨ م « من القصبات المعمورة قصبة شغور ثم فقدت هذا المركز الاداري لنمو مدينة الجسر الحالية . وقد زارها كما ذكرنا في بحث الجسر الملك قايتباي عام ٨٨٢ هـ/١٤٧٧ م كما ذكر كاتب رحلته «.ثم توجه ركابه الشريف آخر الليل ، ونزلنا الى الشغر في ركابه من معاملة حلب » وهدف زيارته تفقد المواقع الهامة في شمال سورية ، لأن المماليك كانوا يتوقعون قدوم الاتراك الى هذه المناطق ، فكانت جولته سرية ، لتحقيق هدفها المرسوم . وكانت كذلك ذات مركز علمي رئيسي في المنطقة ، برز فيها علماء ذاع صيتهم في حلب واللاذقية ودمشق منهم : أحمد بن محمد بن طنبل المتوفي عام ٨٨١ هـ في عهد الدولة الجركسية ، ويوسف بن أحمد الشغري المتوفي عام ٨٨٥ هـ ، ومحمد بن اسماعيل الانزوني المتوفي عام ٨٨٦ هـ ، وهو من قرية الانزون من عمل الشغر ، وغيرهم كثير . ولنرافق الآن الرحالة ثم نتابع الحديث عنها .

١٨٥٠ - والبول : في قرية الشغر تسعمائة نسمة ، وهي مبنية فوق سهل في منتصف الطريق ، في سفح الجبل وفي مقدمة الوادي الصغير ، ومن صفاته أنه ينبثق نبع من فوقه تماما ،

---

٨٧ - الطباخ : سيرا علام النبلاء ج ٥ ص ١٧١ .

ويعبر ماؤه البساتين ، ثم ينحدر الى وادٍ ضيق عميق ، فاصلا القرية عن عنق الصخرة القائم عليها الحصن • غالبية المنازل مبنية بالطين ، والقليل منها بالحجارة ، ولكن رونقها كان جميلا بطلائها الابيض ، وبنوافذها ، وتبدو في حالة جيدة • تشتمل القرية على جامع جميل وواسع ، وقد كان سابقا كنيسة(٨٨) • وجميع سكانها الآن مسلمون • لقد وجدت جميع أهالي القرية متمدنين ومضيافين • حين زرت محمد آغا متسلم البلدة ، حكى لي أنه كان حاكم جبل الاكراد ، (وهو الذي اثنى عليه العقيد تشسني وبعثة الفرات) وكان له دور مؤثر في المنطقة • وعندما اعلن تطبيق النظام في المنطقة ، ذهب الى الجسر ، لاجراء بعض الأعمال مع الباشا آمر العسكر • وأضاف والبول أن محمد آغا روى له تاريخه ، حيث كان آمر تونس ، ثم دارت الايام على والده ، فذهب الى الجزائر ، التي كان الفرنسيون يهاجمونها حينذاك •• وأضاف يقول له : لقد شهدت أنا ووالدي ذلك الهجوم ، ولم يكن لدينا أي أمل في حرب ضد رجال جاؤوا لقتالنا• ثم فكر ثانية بالرحيل ، فالتحقنا بخدمة ابراهيم باشا • وأضاف معبرا عن ارتياحه لرجال بعثة التنقيب في الفرات التي كان يرأسها تشسني • وذكر والبول أن محمد آغا أخبره أنه يتبع الحكومة الآن بكل نزاهة واخلاص •• (٨٩) »

١٨٩٥ ـ برشم : ان شغر القديم تقع في الجهة الغربية من شغر وبكاس ، على الجانب الآخر من الهضبة المائلة نحو نهر الابيض ، وهي محاطة بالبساتين والحدائق • أصل هذه البلدة قديم ، واليها بلا شك أشار أبو الفداء للممر المذكور أعلاه ، عندما وصف الجامع والريف المزدهر في شغر وبكاس ، وفعلا فان الحصانة ضيقة جدا بالمقارنة مع موقع البلدة ان الموقع المشار اليه

---

٨٨ ـ يؤكد ذلك وجود نقوش بيزنطية في بعض جدرانه كقرص تتخلله نقوش نافرة وغيرها كما وجدتها عام ١٩٨٥ •

(89) W - T - 3 - P. 170

من قبـل الجغرافي العربي ، هو ما نراه كذلك في البلـدة ، وفي الحائط المدموج عند عبورنا، انـه جـزء لايقـرأ من الوصف الكوفي[٩٠] مما سبق عرضه نستنتج أن البلدة لم تفقد أهميتها التاريخية بضعف الحصنين ، وهي لاتعود لهذا الزمن ، بل تسبق الزلزال ، وان كانت شهرة الحصنين ، طغت عليها . وهم جميعا يشكلون موقعا واحدا وسكانا متوحدين . وماذكره الرحالة برشم عن الكتابة الكوفية ، قصد بها الجامع الذي نقشت عليـه هـذه الكتابة العائدة الى العصر الوسيط . ويقع هـذا الجامـع الآن شرقي القرية ، ويطل مباشرة على حصن بكاس ، وهو الذي ذكره أبو الفـداء ٧٣٢ هـ/١١٣١ م « ولهما مسجـد وجامـع ومنبر ورستاق »[٩١] والذي يدعى الآن الجامع التحتاني الكبير . كما أن فيها ثلاثة مساجد أخرى أقدمها الفوقاني الكبير والذي يعود الى مئتي وخمسين عاما . ولا تخلو القرية من معالم أخرى كمقام الشيخ والولي اليمني وهو الشيخ محمد الاهدلي اليماني المتوفى عام ١٢٩٣ هـ من الزهاد المتصوفين وأما العيون والقساطل فحدث ولا حرج ، وانها في موقعها النزه الجميل ، وعيونها المتعددة تدفعنا لزيارتها مرة أخرى مع حصن شغر بكاس !!

وتشتهر هذه القرية بصناعة غزل ونسج شعر الماعز ، ليصنع منه بيوت الشعر للاعراب المتنقلين ، وهي صناعة قديمة فيهـا كما كان فيها صناعة نسج القماش الخام قبـل دخـول الآلات الحديثة . ولم تخل من المجاهدين ضد الاستعمار الفرنسي ، فهذا (عبدالرحمن كسيب) الذي انضم الى ثورة (ابراهيم هنانـو) ، فكانت معركة رأس المقطع في القريـة ، حيث انتصر فيهـا على الفرنسيين . وهناك المجاهد حسن الشيخ صالح من شغور فوقاني .

---

٩٠ ــ B. V - P. 260 ولم أجد أثرا لهذه الكتابة لطلائها بالكلس ؟

٩١ ــ رستاق : لفظ فارسي يعني القرية أو محلة بالعسكر أو البلد التجاري . ويقصد أبو الفداء . هنا أن لحصن شغر ــ بكاس قرية مجاورة ، فيها جامع وأهمية تجارية وعسكرية .

وأما اسمها فكما لاحظنا في البداية ، بعد الزلزال ، دعيت الشغر ثم في القرن التاسع عشر الشغر القديم ، والآن الشغور الفوقاني والشغور التحتاني ، وهما قرية واحدة ، تمر بينهما سكة حديد قطار حلب لاذقية · والجدير بالذكر أن الرحالة برشم ذكرها بشكلها الصحيح ·« شغر القديم » ، بينما سالنامة حلب العثمانية لعام ١٩٠١ ذكرتها شغور قديم باضافة الواو اليها ، وشاع هذا الخطأ ، الذي حدا ببعضهم الى تفسير الاسم بالثغور وهو غير ذلك · ومن حيث عدد سكانها فقد ذكر والبول عددهم /٩٠٠/ ن عام ١٨٥٠ وبلغوا عام ٢٢/٨١٧/ن ، وسبب تراجع سكانها ـ مع أن عددهم قبل القرن التاسع عشر أكثر من ذلك ـ استمرار الهجرة منها الى بلدة الجسر الناشئة ، والتي نمت وازدهرت فيما بعد بسبب ما تمتعت به الثانية من امتيازات واعفاءات · وبلغ عددهم عام ٤٥/١١٨٦/ن وقدروا عام ٨٦/٢٣١٤/ نسمة ·

الغسانية (أنكزيك)

تقع هذه القرية التي عدل اسمها من أنكزيك الى الغسانية، الى الغرب الجنوبي من الجسر بمسافة ١٠ كم وبلغ عدد سكانها عام ٢٢/٢٢٣/ن وعام ٤٥/ ٨٠٠ن وقدر عام ٨٦ (١١٢٧) ن · وهي من القرى القديمة المتقدمة حضاريا ـ ومازالت ـ ويقل عدد سكانها الآن لهجرتهم الى المدن الاخرى ك حلب ولاذقية ، نظرا للمستوى العلمي الذي وصل اليه ابناؤها · كانت تابعة في الثلاثينات من القرن السابع عشر الى ناحية القصير ـ قضاء انطاكية ، كمزرعة تدعى « أنكزي » · وفي مطلع القرن ذكرتها سالنامة حلب ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣م « أنكزيك » تابعة لمركز الجسر وهي كذلك الآن · اكتشف فيها عام ١٩١٤ فسيفساء في أحد المنازل وفي عام ١٩٦٧ اكتشفت فسيفساء أخرى ، وهي لكنيسة قديمة بيزنطية بالقرب من كنيسة أخرى كتب على ساكفتها « هذه الكنيسة كانت عمارتها سنة ١٨٨٠ م » وكان في هذه الكنيسة الاخيرة ثلاثة قبور للخوارنة · وأما الكنيسة المرصوفة بالفسيفساء على شكل

بلاطات بيض مدورة ، تفصل البلاطة عن الاخرى قطع سوداء وبداخلها صليب · ووجد فيها أيضا عواميد · محيت هذه الفسيفساء المؤلفة من طبقتين الاولى من القرن الرابع،والثانية من القرن الخامس· والرصف شكل من شريط داخلي مجدول ، يليه شريط مستقيم ، يتصل بدائرة شريطية يحف بها مع الزوايا

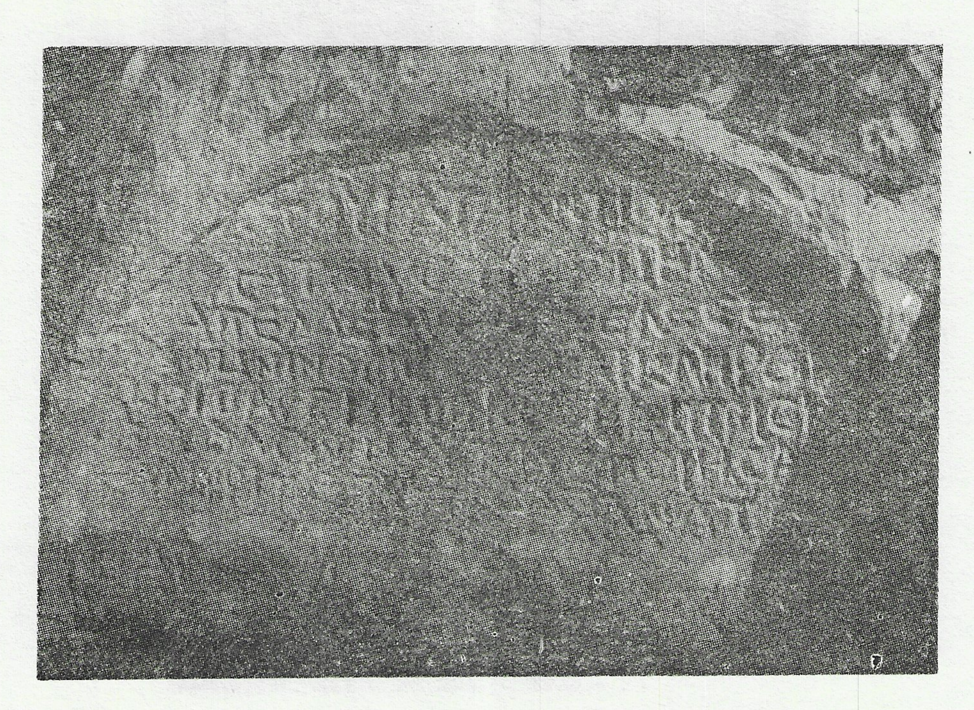


٣٥ ـ الفسيفساء الاولى والثانية في كنيسة الغسانية ـ القرن الخامس



٣٦ ـ تفاصيل الفسيفساء في كنيسة الغسانية (أنكزيك)

الاربع شكل هندسي ، على شكل مثلثين متداخلين ٠ أما الدائرة الشريطية فتتألف من أربع دوائر زخرفية ، وكل دائرة تناظرها أخرى في الرسم ذاته ، وتحيط بدائرة مركزية بداخلها مربعان متداخلان يشكلان رسم نجمة ثمانية ٠ وهي ملونة بألوان خمسة٠ ويشبه رصف الشريط الخارجي ودوائرها رصف فسيفساء جرادة الواقعة شمال المعرة والعائدة الى القرن الخامس ٠ وللدائرة الوسطى المحتوية على مربعين متداخلين كشكل نجمة ثمانية ، شبيه في دير سمعان ، اذ نقش على نجفة شكل يماثله ، وأيضا على ناووس في قلعة حلب ٠ وفي وسط تاج في الكنيسة الشرقية في باقرحا ، وفي ساكفة معمودية باشمشلي وبابوطا ، وكذلك في كنيسة باشكوح وباموقا وفي طورين (ضريح عائلي) وفي مواقع



٣٧ ــ مدفن أنطيوخوس ــ ٣٢٨ م ــ (غرب الغسانية)

أخرى : قلب لوزة ـ زوق الكبير ـ قرق بيزا ـ كفر دريان[٩٢] لقد زالت معالم فسيفساء هذه الكنيسة ـ بكل أسف ـ ٠ وقبل دخولك اليها تشاهد عين ماء عذب بارد ، أقيم فوقها قوس جميل، ولكن العين القديمة ـ والجافة الآن ـ فتقع الى الغرب الجنوبي منها ، وتعود الى العهد البيزنطي ، كما هو مشاهد على النقش الموجود عليها صليب منقوش ضمن ثلاث دوائر ٠ ووجد في القرية تاج سرياني يدعى التاج السوري كما سماه بطلر ويعود الى القرن الخامس ، وله شبيه في موقع الكنيسة رقم ٣ في البارا ٠ واكتشف أيضا آلة لطحن الحبوب تعود الى العهد السلوقي (اليوناني) ـ راجع فصل الفصول عن المعاصر والمطاحن ـ ٠ ويوجد بعض الآثار الهامة جنوب غرب القرية ،والتي لم تدرس بعدمنها:خربة تدعى « القصر » ٢كم نحو الغرب : آثار رومانية ، معصرة ، و٣ قبور قديمة ووجد في موقع (ضهر الضامي) ٣ كم غرب القرية ، مدفن روماني ـ وثني تتصدر واجهته الخارجية كتابة يونانية٠ تضمنت: أنطيوخوس وورثته أي مدفنا خاصا بهم ويعود لعام ٣٢٨ م ٠ وأما اسم أنطيوخوس فهو شائع في المحافظة : في جوانية في جبل باريشا وفي طورين ٠

١٧٦٧ ـ برسنز : « وصلنا الى القرية المدعوة أنكزي Ingerzee ذهب دليلنا مباشرة الى منزل خوري الارثوذكس، الذي تلقانا بلطف وترحاب وحالا وضع نفسه بخدمة صديقه قائلا : انهم سيعدون غرفة لخيولهم ، وفي ذات الوقت وبنفسه ذهب ليقيم معنا ٠ تزودنا بالنبيذ ، والذي لم نصادفه أغلب الطريق في تركيا أغلبية سكان هذه البلدة من النصارى الارثوذكس ، الذين منحوا امتيازات كبيرة بموجب الاوامر السلطانية العثمانية[٩٣] يحكمهم

---

(92) Castellana (Pasquale Recerche Sul Villagio Di Ghassanieh - Cairo 1971 - P. 14 .

٩٣ ـ راجع « محافظة ادلب في العهد العثماني » قيد الاعداد ٠ حيث نعرض الاوامر السلطانية العثمانية التي منحت هذه الحقوق لنصارى المحافظة ٠

الخوري الرئيسي ، ويكون مسؤولا عن سلوكهم ، ويتلقى ضريبة الرؤوس ، والتي يدفعها الى الآغا الحاكم في الشغل ـ يقصد جسر الشغر ـ ان هذه القرية أو نوعا ما لنقل البلدة ، لها أهميتها عند الخوري ، اذ فيها أكثر من الفي نسمة ، وواقعة على قمة وعرة جدا ، في انحدارها ممران ، مقطوعان في الصخر بتعرجات zig-zag مباشرة ، أحدها من الغرب وآخر الى الشرق • ويقع السهل على مسافة في جزء واسع من الطريق • زرع هذا السهل فيما قبل من اقطاع كبير ، بأيدي سكان هذا الجبل ، وبمساعدة الصناعة التي لبت احتياجتهم ، اذ قسمت ، بمثل هذه الطريقة لكي تحصل على تأثيرات جيدة من أعلى القمة ، زرع حوالي ثلث السهل في الطرف الشمالي بالقطن والتبغ والبطيخ والقرع والخيار وخضراوات أخرى مأكولة • والجزء الآخر تقريبا للمرعى، وأنواع مختلفة من الحبوب والتوت وأشجار الفاكهة الاخرى المنتشرة في المنطقة • تُقاد خيولهم وقطعانهم وخرافهم وأبقارهم ، ليلا الى القرية ، للتأمين عليها من اللصوص • ويأتون بها الى السهل صباح كل يوم ، حين مزاولتهم أعمالهم عدا يوم الاحد • جميع السكان يتكلمون اليونانية ـ يقصد نصارى أرثوذوكس ـ يشكل هذا الواقع في هذه البلدة استثناء بالمقارنة مع المناطق الواقعة شرقي العاصي تبدو وكأنها عالم صغير قائم بحد ذاته • كنا هنا بمنزل نظيف ، سرائره جيدة ، والنوم فيه مريح • وفي الصباح تزودنا بحليب رائع ، وحصلنا على ما لم نحصل عليه منذ ثماني ساعات من السفر تجولنا في أرجاء البلدة ، وكان يومها الاحد ، وكل واحد منهم يمضي عطلته • لديهم كنيستان • شاهدنا الكنيسة الكبرى نظيفة جدا ، رسم على مذبحها ـ هيكلها ـ مشاهد يوم القيامة ، وفي أمكنة أخرى • هناك لوحتان أخريتان احداهما لمادونا وولدها، والاخرى للقديس نقولا المسكين المقتول • قرب قمة الجبل نبع ماء ظريف ، ذو أنبوب وحوض حجري لسقاية القطيع ، وقناة صغيرة لتجر الماء المبدد الى الحقول • هنا أربع خوارنة أرثوذكس ، اثنان منهم يشرفان على المدارس • بنيت جميع المنازل بالحجارة ، وهي متينة

ولكنها ليست جميلة جدا ،ومع ذلك الكثير منها واسع ومناسب ٠ يفخر سكانها بانهم يملكون جميع ما يحتاجون لانفسهم ، ما عدا الغضار اللازم لصنع الاواني التي يشترونها من الشغل ٠ غالبية الرجال يستخدمون في الزراعة والنساء والفتيات في غزل خيط القطن ، لينسجن الالبسة القطنية وتربية دودة الحرير وغزله ٠٠ وهكذا ٠٠ كما ان منهم البنائين والنجارين ، والصياغ والحلاقين وهناك التجار الذين يتسوقون القطن الخام ، اضافة للملابس القطنية والحرير الخام ، وأنواع أخرى من تجارة الخردوات ٠ وأما الحرير فلا يصنعونه ، بل يرسلوه الى (الشغل) لبيعه هناك ، وللبلدان الاخرى كلاذقية وأنطاكية ، وبالمقابل يجلبون الحديد وأدوات النجارة والحدادة ، تجارة الاسلحة ، دبابيس ابر ، زجاجات الشراب والالعاب(٩٤) لعل نص هذا الرحالة شافيا ، باعطائه فكرة وافية عن هذه القرية المزدهرة اقتصاديا عام ـ١٧٦٧ ـ على غير عادة القرى الاخرى ، والتي كانت تشكو كثرة الضرائب وجور أصحاب النفوذ ـ راجع فصل الفصول واقع القرى في العهد العثماني ـ ٠ ولم يبق من آثار الكنائس القديمة غير ما ذكرنا ، ولعلها دمرت نتيجة الزلزال الذيوقع في المنطقة عام ١٨٢٢ م٠ فاقيمت فيما بعد الكنيسة المؤرخة عام ١٨٨٠ والمجاورةللكنيسة القديمة ، والتي كانت تحوي لوحات فنية مصورة لما دونا وولدها أي السيدة مريم وابنها يسوع المسيح ، وأخرى للقديس نقولا ، وهو أسقف مدينة ميرا في تركيا ٠ تكرم ذخائره في مدينة باري في ايطاليا ٠ وعن الطوائف المسيحية الموجودة فيها : روم أرثوذكس ـ بروتستانت ـ كاتوليك لاتين ـ أرمن ٠ وجد البروتستانت في القرية عام ١٩٣٠ وأقاموا مدرسة عام ٤٦ ـ ٤٧ ٠ وأما الكنيسة القديمة فقد زالت كما ذكرنا ولكن فيها كنيسة تعود لعام ١٩٤٩ وأخرى للاتين، ثم بنوا ديرا خاصا بهم عام١٩٥٢وديرا للراهبات عام ١٩٦٢، يستخدممستوصفاومقرا

---

(94) P - T - P. 50 — 52

للاشغال اليدوية · وتعتبر القرية من القرى الجميلة والنزهة في المحافظة ، أشاد بموقعها الرحالة الفرنسي ـ برشم ١٨٩٥ ـ والبستاني ١٩٤٧ · يقصدها السياح من حلب ولاذقية · ترتفع عن سطح البحر حوالي ٨٠٠ م وتطل على جبال : الاقرع والزاوية والوسطاني · ووادي العاصي · وفيها أبنية جميلة صالحة للاصطياف ·

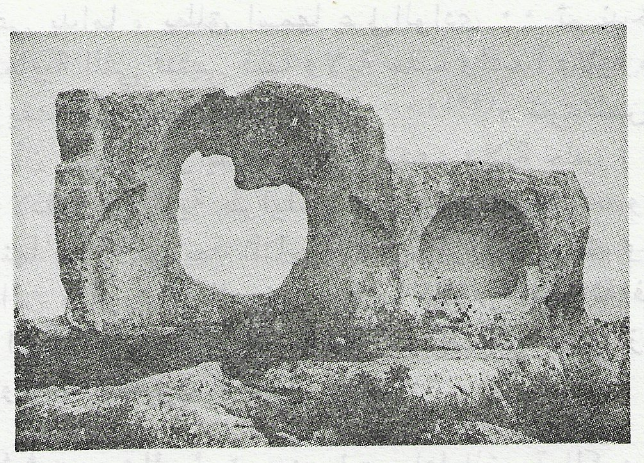
بداما

تقع الى الغرب الشمالي من جسر الشغر بمسافة ٢٠ كم · كانت في النصف الاول من القرن السابع عشر قرية تابعة لقضاء ديركوش ، ولما أصبحت بلدة الجسر قضاء تحولت تبعيتها الادارية كقرية تابعة لناحية جسر الشغر الى أواخر القرن الماضي ثم أصبحت مركز ناحية في مطلع هذا القرن ، اذ ذكرتها سالنامة ولاية حلب لعام ١٣٢١ هـ/١٩٠٣ م ناحية تتبعها ١٣ قرية ومزرعة · بينما يتبعها الآن ١٤ قرية ٣٩ مزرعة بلغ عدد سكانها عام ٢٢/٦٩٣/ن وعام ٤٥/١٧٠٠/ن وقدر عام ٨٦/٣٢١٠/ن لم تذكرها الحوليات العربية[٩٥] ، غير بعض الرحالة المتأخرين ، بالرغم من وقوعها على يمين الطريق الرئيسي ، فوق مرتفع ، يطل على سهل ضيق ، يدعى باسمها «ممر بداما» ، الذي كان عبر العصور ، صلة الوصل بين لاذقية ـ حلب أو أفاميا أو أنطاكيا ، فالطريق الروماني يمر بقربها ، وشواهد قبورها القديمة تشير الى ذلك · اذ هناك الى الشرق منها حوالي أربعين مدفنا كمدارج في الجبل ، والتي تعود الى العهد الروماني ـ البيزنطي · ويعتقد بأنها مدينة من العهد الروماني ، كانت لها أهميتها كمحطة للمسافرين ، وازدهرت بعد رصف الطريق الروماني الذي كان يمر بالقرب منها وذلك في القرن الثاني الميلادي · ويلاحظ بين

---

٩٥ ـ ذكرها ياقوت بقوله « باداما من قرى حلب من ناحية اعزاز » ؟

حقولها أكمة صخرية كبيرة ، الى الشرق من بداما الحالية ، تشكل تجمعا سكانيا خاصا، من خلال الاقسام المنتظمة والمترتبة المقطوعة في زوايا يمنى في الصخر ، تخدع المرء بشكلها ، ان كانت حقيقة أم خيال ! وهذه الاكمة كانت في الاصل موقعا لدير من العهد البيزنطي الواقع على اليسار ، والكنيسة بجانبه بحوالي عشرة أمتار . ويوجد كذلك صلبان ودرج .



٣٨ ـ بداما ـ كنيسة الدير ـ القرن الرابع

ونلاحظ في الصورة المنشورة ، وعلى اليمين صندوق حجري خاص بذخائر القديسين ويدعى المارتيريون أو بيت الشهداء. وجميعها حفرت في صخرة واحدة ضخمة ويدعو الاهالي هذا المكان « شير المقدوح » ومن الرحالة الذين ذكروها .

١٠٨٢ هـ/١٦٧١ م جلبي : موقع قرية بداما : قرية فيها زعامت . من طرفها القبلي واد ، ومن طرفها الغربي واد أيضا . وهي قريبة من لاذقية على البحر الابيض (٩٦) لم يفدنا جلبي عن

---

٩٦ ـ ج.س ـ ٣٨٦/٩ .

هذه القرية كثيرا ، على غير عادته ! كانت حين مروره اقطاعا من نوع الزعامة ، الذي كان يقتطعه السلطان العثمــاني للفرسان السباهية يتراوح دخل هذا الاقطاع من ٢٠٫٠٠٠ الى ١٠٠٫٠٠٠ أقجة ، ومقابل ذلك يلتحقون بالجيش حين دعوتهم ، ومن القرى ذات الاقطاع الزعامي : قنية ــ كفر عروق ــ حفسرجة وغيرها ٠

١٦٩٧ م ــ موندريل : (قادما من الجسر) وفي مدخل الوادي قرية تدعى بداما ، يطلق اسمها على الوادي ٠٠ ثم ندخل منطقة الجبال الغابية التي تنتهي فيها ولاية حلب ولتبدأ ولاية طرابلس، ولكن طريقنا فيها كان صخريا جدا ٠٠٠[٩٧]» نستخلص من نص موندريل أن بداما آخر بلدة آهلة في حدود ولاية حلب ، والمجاورة لمتصرفية لاذقية في ولاية طرابلس ٠ وكانت نقطة الحدود تقع الى الغرب منها بـ ٣ كم، بعد الناجية وعند قرية « كندة» وفي الاخيرة سبعة مدافن منقورة في الصخر ٠ وأما الاودية الثلاثة فهي الاول بطيبياط المطلة عليه قرية الغسانية ، والثــاني وادي زعينيــة ، والثالث وادي اللفشون أو سهل بداما ٠

١٨٥٠ م ــ والبول : «عندما وصلنا القرية الكردية بدامــا Bedama ، بدت وكأن جميع سكانها قد هرعوا الى المتسلم، لمعرفة أخبار الخدمة الالزامية ٠٠٠ وهي كبقية القرى الاسلامية، تلحظ فيها نوعا من الصحة العالية ، اذ كانت الغرفة التي شغلناها نظيفة ومرتبة ، وكذلك المتكآت التي قدمت الينا لنتكىء عليها ، والمؤونة متوفرة ، والناس يرتدون ألبسة حسنة ٠ تبلغ كمية الضرائب المفروضة عليهم حوالي عشرة بالمائة من انتاجهم ، تسدد بالكامل ولايقبل أي نقص فيها ٠ وفي صباح اليوم التالي عاد الشيخ من جسر Djisser بأوامر ارسا ل الرجال كي يساقوا مع غيرهم

---

(97) M - J - P : 387

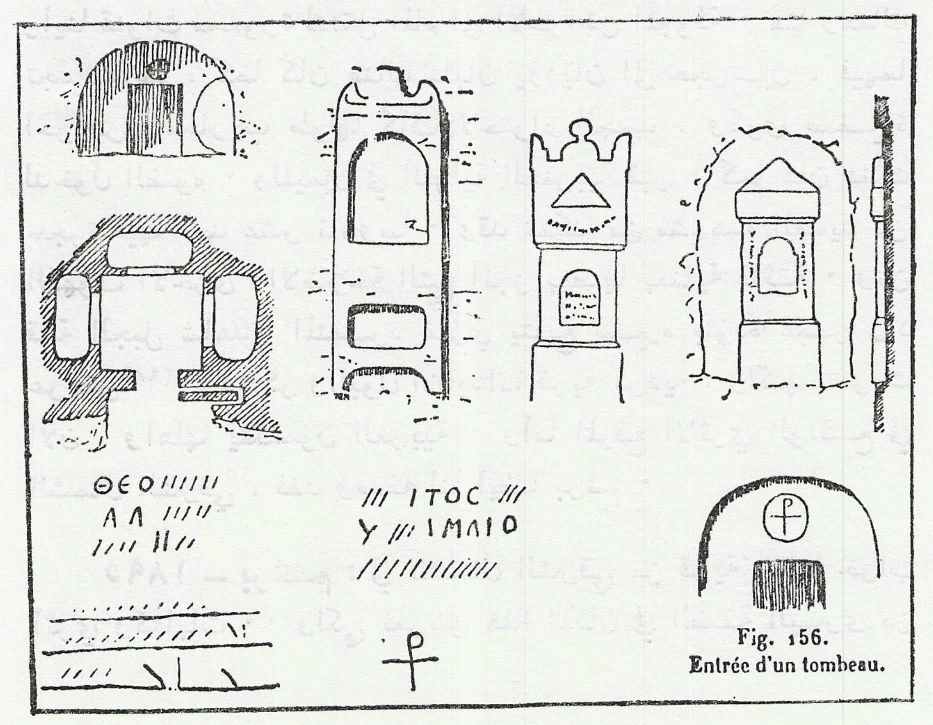
للخدمة العسكرية • ولم يعد يسمع أي صوت بهيج • عوقب أحد الرجال لقوله « انه يأمل موت السلطان قبل سوقهم الى الجندية » ولا أخفي أننا سمعناهم يشتموننا لاعتقادهم أننا سبب مصائبهم • لقد كانوا بحاجة الى النظام ، فهو سيفيدهم ويعلمهم ألا يتهموا الناس ظلما ! وفي واد صغير ، مررنا بجانب صخرة ضخمة منعزلة، مجوفة الى ثلاث حجرات ، لها عدة درجات منقورة في الصخر • كما رأينا قنوات محفورة لتنقل الماء الى الاحواض المجوفة • هنا وهناك تجد مقاعد ، كما كان هناك بابان يؤديان الى حجرتين ، فيهما أحواض ومحاريب طولها كاف لاحتواء الجسد ، وكوى صغيرة لدخول الضوء • ولليمين في النهاية الجنوبية قبر • كما كان هناك حجرة فيها أحد عشر ناووسا • وقد تمكنا من مشاهدة العديد من الكهوف الاخرى والاضرحة التي أنجز بعضها بعناية فائقة • ومن قمة الجبل شاهدنا المتمرد غازي يتابع سيره بتؤدة عبر واد عريض[٩٨] •• » ذكر والبول ان بداما قرية كردية ، ولكنها تعربت الآن ، وأهلها يتكلمون العربية • وأما الموقع الاثري الواقع في الشمال الشرقي ، فقد وصفه لنا أيضا برشم •

١٨٩٥ ـ برشم : في الشمال الشرقي من قرية بداما خراب أثري وكتابات •• ولكي نعرض هذا المكان في الضفة اليسرى من

---

٩٨ ـ W. T - 3 - P. 168 — 170 كما ذكرها الرحالة ري Rey عام ـ١٨٦٤ـ بقوله « تقع عند قرية بداما نقطة انقسام المياه المتجهة نحو الشرق في وادي العاصي والى الغرب نحو المتوسط • وهذه القمة على أرتفاع ٥٧٤ م• وعلى الاغلب،كان هذا الطريق وعرا ومخططا بمواقع رومانية،تنهض منكل الجوانب صخور شاقولية ، كما أن المنحدرات مغطاة بنباتات وأشجار الجوز والحور وصنوبر حلب •• » ص ٢٥ •

نهر لبشون[٩٩] تقف أمامنا صخرة معزولة وسط حقول الوادي ، وهي كبيرة كأنها نوع من القصر الوحيد ، فمنحدراتها وحفرها مقصوصة بزوايا قائمة داخل هذه الصخرة المشكلة بيد غير بشرية، وعبثا حاولنا ايجاد كتابة أو نحت يدل على كتابة أو تاريخ لهذا الاثر الكبير ، والذي ربما كان من أصل قديم • وعلى بعد بضعة مئات من الامتار ، أكثر للشمال «واد ضيق» يمتد من الشمال



٣٩ ـ رسوم وكتابات منقوشة في مدافن بداما (برشم ١٨٩٥)

---

٩٩ ـ يدعى الآن نهر بداما ، ذكره الكيالي في رحلته ـ ١٨١٥ ـ « وصلنا الى نهر قبالة بدامة يسمى باللفشون ، وعنده عين ماء خارجة من الصخر تجري بقدرة الله الى ذلك النهر • فكل منا من شدة الحر قد نزل ، فاستظللنا بظل بعض كهوف ذلك الجبل ، فلم يبق منا أحد لشدة صفاء ذلك الماء الاورد ، فوجدناه في العذوبة كالشهد ، وفي البرودة كالبرد ، فابتلت العروق وزال الظمأ • وطبخت لنا القهوة من ذلك الماء » عن مخطوط رحلة الكيالي ـ وقد ذكره برشم ص ٨٤ مرة ثانية باسم « لبشون » •

وينفتح عليه صخور نصف دائرية تحيط به • نحتت على الصخر كتابات يونانية ـ سريانية ـ كوفية ، مزينة بالصليب وعدد كبير من الشواهد ، عليها كتابات كما في الرسم العلوي الاول والثاني ـ وشواهد أخرى كعواميد نقرت عليها الرسوم والاشكال كما في الرسم العلوي الثالث ـ وبالكاد تشاهد عن بعد هذه النصب المبعثرة لتأثرها بالعوامل الطبيعية، وهناك عدة شواهد عمودية تزين القبر المنقور في الصخر• وهذه الضرائح تحوي نفس التوابيت: في العمق كوة مفتوحة بباب منخفض مستطيل يغلق بحجر متحرك (الشكل الاول على اليسار) نقش عليه قرص مسيحي (الشكل الاول للاسفل) ويؤدي الباب الى رواق مربع فيه ثلاث كوى جنائزية• نموذج الشواهد والصلبان والاقراص المسيحية والقطع الكتابية المنقورة غير المحددة ، تعود الى العهود المسيحية والعربية القديمة ، ومن هذه الاخيرة غير المرئية ، لم نتمكن من العثور الا على كتابات يونانية وكوفية ـ كما في الرسم الادنى ـ ولم نجد الكتابات القديمة المنقوشة ، التي ذكرها لنا كاهان • وما يستحق الجهد محاولة اكتشاف الطريق القديم[١٠٠] جدا من لاذقية ـ شغر وبمقارنة هذا النصب مع التي اكتشفناها في جبل البارا وقنية فانها تعود الى ما قبل العهد الاسلامي [١٠١] وهكذا يمكن القول مع والبول وبرشم ان بداما من المواقع القديمة في المنطقة ، والتي تعود الى القرن الاول الميلادي • ولعلها في أصلها انشئت كمحطة وبرج مراقبة للمسافرين ، اذ عرف عن مهندسي الطرق في العهد الروماني ، اختيارهم المواقع المطلة على المناطق الجميلة ، وبداما القديمة تطل على سهل خصب جميل ، قرب الطريق

---

١٠٠ ـ عنى بالطريق القديم الطريق الروماني القادم من لاوديسيا ـ أبامي مرورا ببداما ثم سلوقوبيلوس (جسر الشغر أو تل كشفهان) والمتفرع نحو انطاكية مرورا ببلاتانوس ؟ (ديركوش) • وكانت بداما احدى المحطات الرئيسية لهذا الطريق ، في وسط تفرع الطريق الرئيسي القديم

(101) B - V - P. 266 — 65

الروماني القديم . ونلاحظ كذلك رسوم المقابر فيها مغايرة لغيرها ، فهي تمثل اشكالا على نصب في وسطها فراغ كان يوضع فيه اسم الشخص أو صورته ، وهي تعود الى الفترة الوثنية من العهد الروماني، من القرنين الاول والثاني بعد الميلاد .. ولكن بعد تنصر المنطقة تحول هذا الموقع فيها ـ الاكمة الصخرية المرتفعة ـ الى دير ، وأعتقد أنه من الاديرة الاوائل في المحافظة ، لانه منقور في الصخر أكثر منه عمرانا بالحجر وبدأت البلدة تتوسع الى الغرب من الدير. وأخيرا فان وجود أثر للكتابة العربية الكوفية ، يشير الى استخدام العرب هذا الموقع مرة ثانية ، واستمرار الحياة فيه ، الى ان دمره الزلزال الكبير الذي أصاب المنطقة عام ٨١١ هـ/١٤٠٨ م ، كما خرب كذلك حصني شغر ـ بكاس وأخيرا نودع حدود المحافظة الغربية مع البستاني ـ الذي زارها ـ ١٩٤٧ ـ فقال « ثم يضيق الممر بين الهضاب ، وتكثر المعابر فتنتقل السيارة من جهة الى جهة ، حتى تصل الى واد ظليل حافل بشجر الحور المتأود في نسيم الربيع، كان يؤلف الحد الفاصل بين دولة سورية ودولة العلويين أو دولة اللاذقية . وفوق الوادي عند قرية ابداما أو بداما تظهر أطلال قصر أو برج ضخم الحجارة قد يرقى الى العهد البيزنطي ، وكأنه من أبراج حراسة الطريق القديمة من اللاذقية الى جسر الشغر[١٠٢] .

قرية القنية

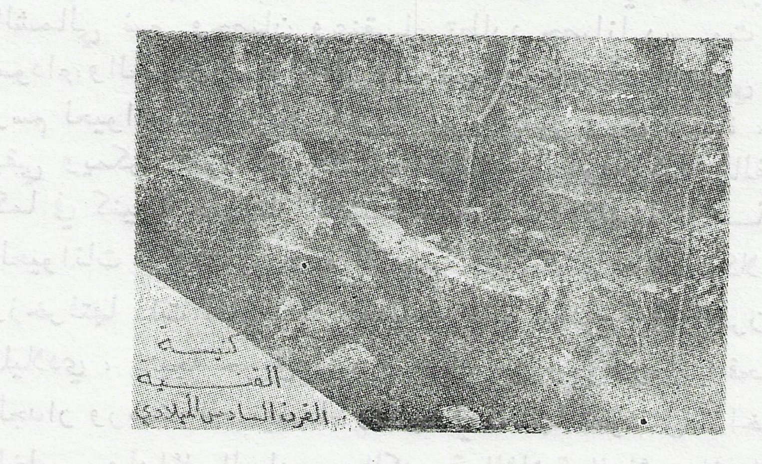
تقع الى الشمال من الجسر بـ ١٧ كم على طريق دركوش في موقع هام وجميل ، ومنها ننعطف نحو حمام الشيخ عيسى[١٠٣] ،

---

١٠٢ ـ ب ـ خ ـ ص ١١١ .

١٠٣ ـ حمام الشيخ عيسى : تقع في جنوب الوادي الذي يمر فيه نهر العاصي الى الشرق من القنية بـ ٧ كم . من المواقع السياحية الجميلة . فيها عين ماء حارة معدنية . وتجاورها عيون مياهها عذبة سكنها النصارى الجراجحة أو المردة في القرن الاول الهجري . وكانت تدعى عيون الحمام ـ راجع الهامش رقم ١ ـ بلغ عدد سكانها عام ٩٠/٤٥/ن وعام ٤١٦/٨١/ن

وتجاورها مواقع أثرية هامة من الحصون التي كان لها دورها في العصور الوسطى[١٠٤] عدد سكانها عام ٢٢/٣٢٩/ن و عام ٤٥/٨٥٠/ن وعام ٨١/٨٤١/ن تابعة لناحية مركز جسر الشغر ٠ وهي من المدن القديمة في المنطقة ، اذ كان يمر بالقرب منها والى الشرق الطريق الروماني القادم من انطاكية ـ دركوش أوانطاكية ـ القصير ـ سلوقيا آدبلوم (جسر الشغر) ٠ وفي شرق التل مغارة رومانية نحت فيها رسوم رؤوس الثيران ـ (رلييف) ـ والتي كانوا يذبحونها تقربا للآلهة ، ومثل هذه الرسوم نجدها في فاسوق في جبل الوسطاني وفي بشندلايا في جبل الاعلى لم يذكر اسمها في الحوليات القديمة ، ولكن التل الاثري الواقع شرق القرية ضمن المقبرة ، كان حتى الثلاثينات يُزار تبركا ، فمن يمرض يذهب الى التل ويدور حوله آملا الشفاء ، ويقدمون النذور ، حتى الحصان ان مرض يمشي ثلاث جولات حوله ويدعون له ثلاث مرات والحصان يشفى ٠ ولما حضر الاب ابراهام شرف المسؤول عن كنيسة الفرنسيسكان في القنية ، وحفر في التل ، وجد رأس وحنية الكنيسة في القسم الشمالي من المقبرة ٠ والمهم أنه اكتشف



٤٠ ـ قنية ـ بقايا كنيسة القرن السادس

---

١٠٤ ـ من الحصون المجاورة : بلميس ـ كفر دبين ـ أرزغان ـ كشفهان ـ شغر بكاس ـ وحصن قصير في اللواء ٠

كنيستين الاولى بيزنطية ٢١×١٣ م موجهة نحو الشرق بثلاثة أجنحة • وهذه الكنيسة في حالة يرثى لها، لم يبق فيها غير الجدران الخارجية بعرض ٦٥ سم الى ٥٠ سم • وعلى مستوى الرصف بعض القطع من الفسيفساء وبعض الحجارة المستعملة مرة ثانية في الكنيسة الثانية • ولها أربعة أبواب ، بابان شماليان ، الاول لدخول الرجال والثاني لدخول النساء والثالث غربي والرابع جنوبي • ووجود الابواب الاربع يشير الى كثرة رواد الكنيسة • زخرفها عادي بسيط • وتحوي عمودا وتاجا مزخرفا بأوراق ناعمة ونجمة صغيرة من خمسة رؤوس وصليبا ضمن قرص ، وتاجا مربعا • وكل جناح ينتهي برأس شبه مدور مع زخرفة داخلية بارزة من ١٢ سم على طول شبه الدائرة • وفيهامارتيريون – بيت الشهداء – ودياكونيكن – بيت الشمامسة – • ووجد فيها عملة بيزنطية عليها رسم السيد المسيح وكتابة ملك الملوك ، وهي التي وجدت مثلها في كفر طاب وحصن دويلي • وأما الفسيفساء فقطعها ١ سم ، ولم تحفظ قطعها كاملة • في الجانب الغربي الشمالي نسر وحصان وعنقاء تطارد حصانا رسمت بخطوط سوداء، والحصان يحاول الهروب منها وفي الجانب الشرقي الجنوبي رسم لحيوان كبير يبدو خنزيرا بريا يأكل ورق شجرة ، هذا ما بقي ويمكن القول ان الكنيسة كانت مرصوفة كلها بالفسيفساء كما في كنيسة معراتا المكتشفة مؤخرا ، ومثلها مزينة برسوم الحيوانات • وتتميز هذه الكنيسة أن حنيتها تأخذ شكلا مربعا وزخرفتها ذات أفاريز • تحطمت هذه الكنيسة في القرن العاشر الميلادي ، نتيجة حريق ، عرف ذلك من وجود رماد وفحم قرب الجدار ورصف الفسيفساء ولكنها في أصلها تعود الى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس والكنيسة الثانية العائدة الى القرون الوسطى ، بنيت فوق الاولى كعدة غرف مجتمعة لتشكل كنيسة صغيرة مربعة ٦٫٣٠×٥ م، شغلت الجزء الاخير من الصحن • ووجد فيها قطع من المرمر مضلعة ومربعة تعود الى العصر الوسيط ،

شبيهة برصف قلعة سمعان في القرن العاشر • كما وجد صليب من الحديد وست مصابيح من السيراميك ، وبعض النقود الوسطوية ـ القرن العاشر ـ الثاني عشر • كما وجد حجاب ـ تعويذة ـ سليمان عليه كتابة منها أنجدنا ياميكائيل ، وكتابة يونانية أخرى رب واحد قاهر الاشياء السيئة(١٠٥) •

١٨٤٨ ـ سمث : بعد مسير ساعة أصبح نهر الابيض عبارة عن مجرى ابيض الشكل يصب في نهر العاصي • وفي هذا المكان نلاحظ ما يسمى بالطريق الروماني المرصوف بالاحجار • بعد مسير عشرين دقيقة من بلدة القنية ، والتي هي بلدة مسيحية • كان سكانها يحكمون من قبل جماعة مسيحية أرمنية ، والذين ما زالو يتكلمون اللغة العربية • وبالجوار نشاهد قرى قديمة على شكل مشايخ عشائرية يعيشون هناك بيوت القنية جميلة بالنسبة للقرى المسلمة المجاورة ككفر دبين ، والتي كانت سابقا للارمن • بعد هذه القرية هناك أخرى مسيحية أرمنية « اليعقوبية »(١٠٦) وذكر دوسو عام ١٨٩٥ عنها « اليعقوبية قرية أرمنية وبقربها في القنية وجدنا أحجارا كثيرة وحتى شاهدنا فسيفساء ، وشرقيها هنالك مرتفع ويسمونه القلعة(١٠٧) نستخلص من هذين النصين

١ ـ قرية اليعقوبية : وهي الى الغرب من القنية بـ ١ كم • تعتبر من القرى النزهة الجميلة والتي تقصد للسياحة والاصطياف وخاصة في عيد القديسة آنا في شهر آب ولها اطلالة جميلة جدا نحو الشرق وادي القنية والعاصي والروج ، ونحو الغرب جبال الاكراد والقصير والاقرع ، وقرية الجديدة وهي قرية مسيحية من طائفة الروم الارثوذكس • عدد سكان اليعقوبية عام ٢٢/٢٩٠/ن و

---

(105) R. Fernandez : Les Iglesia bizantina et Medieval de Qnaye in Studia Hierosolimitana 1975 . I P. 295 . 295 - 306 وهو باللغة الاسبانية

(106) R - E - P. 1104

١٠٧ ـ D - T - P . 161 كما ذكر هاشم برشم عرضا قائلا ان الناس أخبروه بوجود بقايا فسيفساء قديمة ـ ص ٨٠ ـ •

٤٥/٨٧/ن و ٨١/٧٤٩/ن ٠ كـان معظم سكانهـا من الارمن القدامى[١٠٨] في المنطقة من الذين استوطنـوا في منطقـة حارم والجسر وتعربوا ٠ وهناك قرى أخرى سكنها الارمن كالقنية والغسانية ، لكن أغلبهم تعربوا الآن وينطقون العربية بطلاقة ذكر غي ـ ١٨٤٥ ـ أن عدد النصارى في (جسر) الشغر ودركوش ـ يقصد في ريفهما ـ ١٨٠٠ نسمة منهم ١١٠٠ ارثوذكس و ٧٠٠ أرمن أرثوذكس ٠ بينما قلوا الآن لهجرتهم الى حلب ٠ وفي اليعقوبية كنيسة القديسة آنا المبنيـة عام ١٣٢٠ م أي في العهـد المملوكي وكما أشار الى ذلك القلقشندي أن الارمن متواجدون في هـذه المنطقة منذ ذاك العهد ويتبعون مملكـة حلب ٠ وبالاضافـة الى

---

١٠٨ ـ كانت بلاد الارمن ـ كما ذكر القلقشندي (المتوفى عام ١٤١٨ في صبح الاعشى) ـ تابعة لمملكة حلب في العهد المملوكي منها مدينة آياس على ساحل البحر وجعلت نيابة جليلة نحو حمص ٠ واستعيدت من الارمن في الدولة الناصرية (محمد بن قلاوون) سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة هـ /١٣٣٧ م/ ـ وعمل طرسوس ـ عمل سيس وهي قاعدة بلاد الارمن ٠ ومن الاعمال الصفار في بلاد الارمن ثلاثة عشر عملا لثلاث عشرة قلعة ٠ وذكر أيضا ان الاعمال الحلبية الشمالية هي المعروفة ببلاد الارمن منها بلاد تسمى بالعواصم ومنها بلاد تسمى بالثغور ص ١٩ من طبعة وزارة الثقافة ـ وأضاف ابن الشحنة « أقول وبلاد الارمن صغيرة في مسيرة أربعة أيام ٠ وبها قلاع كثيرة أكثر من مائتي قلعة ، وهي تسمى بلاد الشوف ـ ص ١٨٧ في الدر المنتخب ـ وذكر الدكتور نقولا زيادة في بحثه عن جغرافية الشام في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي نقـلا عن قدامة عند حديثة عن الثغور ان هناك بين الروم والارمن الذين في جملة مليح الارمني مخالفات في كثير من أديانهم ٠٠٠ ورحلو دفعة واحدة عن هذا الموضع ٠٠ وسكن مكانهم الارمن وابتنوا الحصون المنيعة ، ثم صارت لهم العدد الكثيفة ص ١٥٦ ـ ١٥٧ بيروت ١٩٧٤ « تاريخ الشام من القرن السادس الى القرن السابع عشر » الجامعة الاردنية ٠

الارمن الارثوذكس هناك طائفة الكاثوليك اللاتين(١٠٩) الذين أقاموا ديرا وكنيسة خاصة بهم • ووقع بيدي صورة عن مذكرات غريغوريوس بن الفضل أول أسقف ملكي بحلب (١٥٤٠ـ١٥٨٢) حيث يذكر انه أنهى كراسة له في قرية اليعقوبية ٦ تشرين الآخر ٧٠٧١ لآدم أي سنة ١٥٦٢ م ـ عن مخطوط في الفاتيكان ـ ومكتوبة بخط واضح يقول فيها « ويومك أيضا ليس تدري ان كنت تبلغ الى تمامه فارفض يا أخي هذه الدار وارغب في دار البقاء ، واذكر انك اليوم حياوغدا ميت • اذكر انك اليوم جوهرة مضيئة وغدا فحمة مظلمة • اذكر انك اليوم مفروح بك وغدا محزون عليك » وهكذا •• يخاطبنا بلهجة صوفية زاهدة بالدنيا الفانية •

٢ ـ كفر دبين : قرية تقع الى الشرق من القنية ٦ كم وتدعى الآن الحمامة !! ذكرها ياقوت « شقيف دبين •• قلعة صغيرة قرب انطاكية ودُبين ضيعة كالربض لها » • أصاب الرحالة ان الارمن سكنوا فيها ، اذ أشار الى ذلك ابن شداد (ت ١٢٨٥ م) أن شقيف كفر دبين « قلعة حصينة على العاصي أيضا ولها جامع وربض وولاية • وأهل هذه النواحي وفلاحوها أرمن(١١٠) » شغلها الفرنجة لغاية عام ١٢٦٧ م واستردها منهم الملك الظاهر عام ٦٦٦ هـ/ ١٢٦٧ م ـ راجع كتابنا القادم حصن شغر ـ بكاس (حطين الثانية)

٣ ـ قنية : أصبح معظم أهلها الآن كاثوليك لاتين وكانوا من طائفة الارمن الغريغوريين ، فأرسلو الى القاصد الرسولي يطلبون منه مرسلا يرشدهم الى الكاثوليكية فلبى دعوتهم وأرسل

---

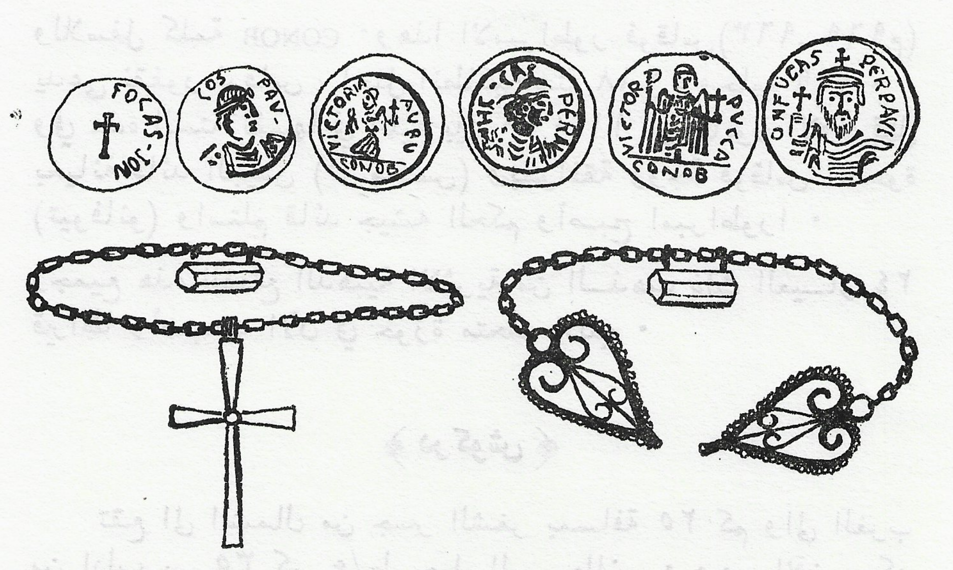
١٠٩ ـ ذكرت نشرة الطائفة الكاثوليكية بحلب ـ ١٩٨٠ ـ عددهم كما يلي ٦٥٠ في القنية ٥٠٠ في اليعقوبية ٥٣٠ في الغسانية وهناك القليل في الجديدة وجسر الشغر •

(110) Buletin D'etudes Oriental Tomes XXII-XXXIII Annes 1980 - 81 Damas 1982 P. 336

اليهم سنة ١٨٧٨ الاب فيديلي (أمين) أورسيني دي غراتشيو فاستنفد الوسع في ارشادهم ، وهدى أكثرهم الى الكاثوليكية وفتح لهم المدارس منها مدرسة الصنائع ، وأنشأ لمرضاهم مستوصفا وبنى لاخوته الرهبان ديرا على اسم القديس يوسف وقريبا من القنية قرية أخرى تدعى اليعقوبية ردها المرسلون الى حجر الكنيسة أيضا ٠٠(١١١)٠٠» ونضيف أنهم بنوا مدرسة للذكور وأخرى للاناث وعمر الدير والكنيسة عام ١٨٨٤ م ثم هدمت الكنيسة القديمة ، وبنيت أخرى حديثة عام ١٩٣٤ ٠ وفي هذا الدير متحف قيم احتوى على فؤوس وأدوات حفر وسكاكين قديمة وجرار ومصابيح وسطوية ٠ وفي الدير لوحة زيتية للقديس انطونيوس من رسم فنان اسباني من القرن الثامن عشر ، ومنبر صنع عام ١٩١٠ في القدس من قبل فنان ايطالي ،حفره على خشب الجوز ، ويعتبر تحفة فنية رائعة ، عليه رسوم تمثل بشارة الملاك جبرائيل ثم زيارة مريم العذراء الى نسيبتها اليصابات ، ثم ميلاد السيد المسيح في بيت لحم وسجود المجوس وثم انتقال العذراء الى السماء وفي الدير عدة غرف تقدر بحوالي ١٥ غرفة يسكن فيها راهبات يعملن بالتطريز والخياطة والرعاية الكنسية ٠ وتعتبر القنية من القرى الاثرية والجميلة ، والتي تقصد للسياحة والاصطياف ٠ وفي هذا العام ــ ١٩٨٧ ــ تم العثور في أحد القبور على حلي وقطع نقود ذهبية داخل جرة فخارية صغيرة وضعت مع الميت ٠ تضمنت اسوارتين في كل منهما حافظة تعويذة طول الأولى ٢٤ سم والثانية ٣٠ سم ومع الثانية صليب ٠ وأيضا أربع قطع سلسال رقبة عقدي له قفل مستطيل مضلع وصليب يوناني ، وقطعتي حلق باستدارة متطاولة ، متصلتين بسلسال ذهبي ٠وأيضا نقود : قطعتان متشابهتان تضمن الوجه الاول رسم ملك بيزنطي على رأسه صليب ، وعلى يمينه صليب ، وكلمة ONFOCAS وعلى يساره كلمة PERPAVI الاولى اسم الامبراطور

---

١١١ ــ من مقال للاب لويس شيخو في مجلة المشرق عن الرسالة الفرنسيسية المجلد ١٩ عام ١٩٢١ ص ٢٠٦ ٠ وذكر عددهم ٨٠٠ نفس في القنية ؟



٤١ ـ حلي ونقود ذهبية مكتشفة في قنية ـ القرن العاشر

نقفور فوقاس والثانية زوجته وعلى الوجه الثاني رسم ملك وجسم مرتد عباءة وفي يمينه عصا الملك وكلمة VICTOR وتعني النصر وعلى يساره كلمة PVCCA وتعني السلام وبالاسفل CONOB وتعني قسطنطينوب أي القسطنطيني. لان مركز الامبراطور في القسطنطينية. وقطعة أخرى رسم على الوجه الاول وجه ملك على رأسه غطاء، وعلى صدره رداء، وعلى يمينه كلمة لم يبق منها غير الاحرف CAS أي بأصلها كلمة ONFOCAS وعلى يساره ـ EPAV وعلى الوجه الثاني صليب نهاياته منتهية بشحطة ـ وفوقه كلمة FOCAS , JON والاولى تعني حنا والثانية فوقاس والقطعة الاخيرة رسم على وجهها الاول وجه أنثى على رأسها قبعة، وصدرها محلى برداء وكتابة PERAVI وهو اسم (الامبراطورة) زوجة فوقاس و HC — CA . وعلى الوجه الثاني رسم قديس بيده اليمنى شيء كالكرة وباليسرى صليب وهي تمثل النصر. وعلى يمينه كلمة VICTORIA = النصر. وعلى يساره كلمة AVGU وهو لقب أغسطس، ويطلق على الامبراطور.

وللاسفل كلمة CONOB ٠وهذا الامبراطور فوقاس(٩٦٣ـ٩٦٩م) يدعى نقفور فوقاس ، احتل انطاكية سنة ٩٦٨ م وحلب ٩٦٩ م ٠ وفي هذه السنة نفسها في اللية بين ١٠ و ١١ من كانون الاول قتل بخيانة قائد الجيش (تزِ مسِس) وبموافقة زوجة فوقاس المدعوة (تيوفانو) واستلم قائد جيشه الحكم وأصبح امبراطورا ٠

وجميع هذه القطع الذهبية الاثرية من الذهب ذات العيار ٢٤ قيراطا وأصبحت الآن في حوزة متحف ادلب ٠

﴿ دركوش ﴾

تقع الى الشمال من جسر الشغر بمسافة ٢٥ كم والى الغرب من ادلب بـ ٣٥ كم ع/ط جبل الوسطاني ٠ وهي الآن مركز ناحية باسمها ٠ بلغ عدد سكانها عام ٢٢/٨٩٠/ن وعام ٣٥/ ٣٠٠٠/ن وقدر عام ٨٦/ ٣٥٣٠/ن تقبع في جوف وادي العاصي، في الجهة اليمنى من النهر صاعدة الجبل الوعر في الفتحة التي تفصل بين جبلي دويلي ـ وسطاني وجبل القصير ٠ تحيط بها البساتين الغنية بالاشجار المثمرة والعيون المتدفقة ، من الجنوب الى الغرب عين السخنة ـ عين مشو ـ عين الخضر ـ عين الشيخ صالح ـ عين التكية ومياهها معدنية كمياه بقين ـ عين الدباغة ومياه شربهم منها ٠ كل هذا حباها لان تكون احدى أفضل المواقع السياحية في المحافظة ، موقعا جميلا ، وأشجارا مثمرة ، ومياه عذبة ، وتاريخا عريقا ، وآثارا غنية ، تحيط بها من كل جانب ، مما دفعني للاهتمام بدراستها وايفائها حقها !! ذكرتها الحوليات العربية في العصور الوسطى كثيرا ، لاهميتها كحصن هام في الثغور، ولكنها أقدم من ذلك ، اذ كانت ممرا اجباريا للطريق بين انطاكية وأفامية ٠ أشار اليها الجغرافي سترابون الذي وضع كتابة في الجغرافية عام ٢٠ ق٠م باسم خاريبده CHARYBDE ، وأنها واقعة في هوة (جوف) جبلية بين أنطاكية وأفاميا ، في مسافة ٤٠ ستاد

= ٨ كم حيث يجري النهـر في وادٍ جبلي[١١٢] وذكرهـا الملك أنطونين ٣٠٠ م في سفرياته بلاتانوس PLATANOS [١١٣] مع شك بعض الباحثين بأن الموقع الـذي ذكره هـو بالذات موقـع دركوش ، لان اسمها وجد في النصوص الآشورية المكتشفة في تل العشارنة ـ جنوب جسر الشغر ـ باسم كوش[١١٤] ولقد ثار الجدل بين بعض الباحثين هل هي موقع بلدة سلوقيا آدبلوم أو بيلوس أم هي موقع بلدة جسر الشغر كمـا ذكرنا سابقـا ، فالرحالـة كورانسيز ـ ١٨٠٩ ـ قال انه شاهد بقايا بلدة قديمة (توابيت صخرية وبقايا انصاب وآثار) والتي بحث عنها دانفيل واعتبرها سلوقيا آدبيلوم أو سلوقيا بيلوس عند ستيفان البيزنطي ، وبذلك يمكن ان تزول كل الشكوك السابقة حول موقع هذا البلدة[١١٥] ولكنني أرجح هي تل كشفهان كما ذكرت في بحث جسر الشغر ٠ وتكثر المدافن القديمة في دركوش ، وبجوارها على جانبي الجبل، تجد مغاور وهي مدافن مقبرية ، في معظمهـا ثلاث كوى لـدفن الاجداث ففي المدخل الشرقي الجنوبي ع/ط جبل الوسطاني ، تصادفك قبل وصولك اليها عدة مدافن رومانية محفورة في الصخر في السفح الغربي للجبل ، ومطلة على وادي العاصي ، نقش عليها رسوم نافرة لاشخاص الموتى ورموز أخرى وثنيـة ٠ والصورة المنشورة لاحد هذه المدافن ، حيث نشاهد فتحة المدفن وفوقهـا نحت نافر لشخصين ـ زوج وزوجة ـ ضمن حفرة مستطيلـة ،

---

١١٢ ـ R - E - P. 163 ولعله قصد سلطتها الادارية ـ الملاحية في وادي نهر العاصي ٠ ونجد هذا الاسم قريب من الكلمـة الساميـة « خربة » ؟أو لعلها كلمة دركوش كتبها مقلوبة B - DE - CHAY ب ـ دو ـ كه = بيت د (ر) كو = قرية دركوش ؟!

١١٣ ـ D - T - P. 153 , 155 وأعتقد هي خراب دلبيا قرب تل عمار في ناحية سلقين ، لان بلاتانوس تترجم الى دلبيا ٠

١١٤ ـ D - T - P. 163 هذا هو اسمها القديم ثم تحـول الى دير كوش وأخيرا دركوش ٠ راجع معجم الاسماء ٠

١١٥ ـ R - E - P. 1636 وراجع كذلك بحث جسر الشغر ٠

يلتفتان نحو الكوة اليسرى ، وفيها نحت نافر يمثل ابنهما ، وهذه المدافن تعود الى القرن الثاني الميلادي(١١٦) ولكن أهم مافي دركوش المدفن الواقع في الجهة الجنوبية (وقبل وصولك الى عين الدباغة على يمينك) المحفور في جدار الجبل بواجهة شمالية تطل على العاصي ، فيه ثلاث كوى لوضع الاجداث ، وفوق مدخله كتابتان باللغة اليونانية القديمة ، تقدمان لنا مفتاح تاريخها وأهميتها كموقع استراتيجي ملاحي هام ، كما تعطينا اسم نهر العاصي القديم . الاولى مؤلفة من أربعة اسطر وترجمتها « زينوذوروس والارنديون نحتوا وأقاموا هذا المدفن»(١١٧) تضمنت هذه الكتابة أن زينو ذوروس تزعم الارنديين أي أبناء نهر دركوش في صنع هذا المدفن ، وفاء وحبا من أبناء البلدة من عمال صناعة السفن والملاحين الى رئيسهم . وكلمة الارنديون » نسبة الى الارند وهو اسم نهر العاصي القديم . وقد ذكر ياقوت الحموي هذا الاسم قائلا « ان نهر العاصي اسمه قرب انطاكية الأَرَنْد » وكذلك ذكره كثير من مؤرخينا، ومنهم القلقشندي قال ان الاسم القديم لهذا النهر (الأَرَنْط(١١٨) ومازال هذا الاسم محفوظا في اللغات الاوربية Orontes حيث يطلق على النهر كله . ولكني أتفق مع ياقوت بالرأي ، واستنادا الى الكتابة في دركوش ، حيث سجل اسمه القديم فيها ، أي ان اسم هذا النهر من دركوش الى انطاكية « الأَرَنْد » ، والمسجل في هذه الكتابة في السطر الثاني OPONTIWNEXN وهي الاولى والوحيدة التي تذكر اسم نهر العاصي القديم على ما أعلم في المدن المجاورة أو في القطر وفي لبنان لقد أطلق أبناء البلدة على أنفسهم الارنديون ، أي أبناء هذا

---

١١٦ ـ ولها شبيه بقاطورا في جبل سمعان (ضريح تيتيوس فلافيوس يوليانس) والذي يعود الى أواخر القرن الثاني .

(117) IGLS - 2 - P. 361

١١٨ ـ القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤/ص ٨٠ وحول نهر العاصي واشتقاق اسمه انظر فصل الفصول الواقع الطبيعي .

النهر ، وافتخروا بانتسابهم اليه ، كيف لا وقد كان مصدر رزقهم وحياتهم • واسم زينو ذوروس له شبيه حتى الآن باسم زين وزينة • ويوجد مثله أيضا في كتابة يونانية في بنقفور في جبل باريشا باسم زينو ذوروس • ولكن وفاءهم ببناء هذا المدفن لرئيسهم، واهدائهم له هذا الاهداء[119] يشير الى فضله عليهم ، فمن يكون زعيمهم هذا ؟! الجواب في الكتابة الثانية والمنقورة فوق السابقة ضمن مربع ، رسم مثلثان على جانبيه ، مؤلفة من عشرة اسطر تضمنت « في سنة ٤٠٠ من شهر بانموس أوتيخس رئيس صناع السفن • هنا حيث يرقد كما رقدت دومتلاّ ، أمي الحبيبة جدا • ابتهجي أيتها الام • ما من أحد خالد » تضمنت هذه الكتابة اسماء بارزة، وتاريخا هاما ، وشعرا رقيقا فأوتيخس اسم يوناني له شبيه باسم أوطيخا (٣٨٨ـ٤٥٤ م) وهو راهب يوناني عاش في القسطنطينية وقال بوحدة الطبيعة في المسيح (مونوفيزية) وأما دومتلا فهو اسم روماني ، اعتبرها ابنها أوتيخس أماً عظيمة فأراد تخليد اسمها معه ، فوافق على رقودها بجانبه في حفرة خاصة بها داخل المدفن • وهي تؤكد بلاشك ان عظمة هذا الملاح ، والمجد والنفوذ الذي تحقق له كان بفضل أمه ، وسبق قول نابليون « وراء كل عظيم امرأة » • وأما الكتابات التي تذكر الام في المحافظة فقليلة جدا، باستثناء السيدة مريم أم يسوع[120] كما ذكرنا في بحث رويحا، اذ أغلب الكتابات تشير الى الاب والزوجة والاولاد كما في فركيا في جبل الزاوية أو السيد وعبده كما في فركيا وملس • أرخت هذه الكتابة بالتاريخ الانطاكي في شهر بانموس سنة ٤٠٠ وتوافق = تموز ٣٥٢ م وأما أوتخيس فهو أسم رئيس (معلم) عمال صناعة السفن في دركوش ، والذي حصل على (ماركة) خاصة به ،

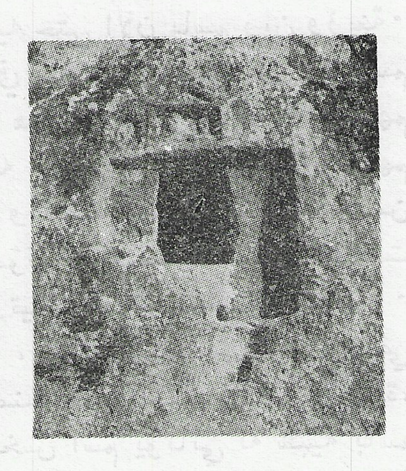
---

١١٩ ـ وهم ثيوس (اله) بترو (الآباء) ذي (زفس) فنتيلو بروستو أورندي

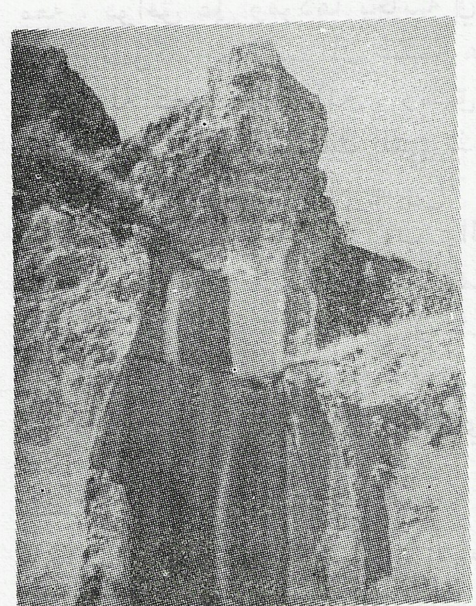
١٢٠ ـ سيرد اسم مريم أم السيد المسيح كثيرا خلال ابحاثنا • وهناك كتابة تذكر الام في مدفن سوساندروس في بشند لايا في جبل الاعلى كما سيرد في الجزء الثالث •

ΖΗΝΟΔΩΡΟϹΚΑΙ
ΟΡΟΝΤΙΩΝΤΕΧΝ
ΙΤΕΚΑΤΕϹΚΕVΑ
ϹΑΝΤΟΗΡΩΙΟΝ

ΕΤΟVϹΤΕΤΡΑΚΟϹΙΟ
ϹΤΟVΜΗΝΟϹΠΑΝ
ΗΜΟVΖΚΕΥΤΙΧΙϹ
ΜΑΡΑΩΝΟϹΝΑVΠΗ
ΓΟϹΕΝΘΑΕΖΕΚΟΜΙϹ
ΑΔΘΕΤΙΜΑΝΤΗ
ΝΓΛΥΚΥΤΑΤΗΝΜΟΥ
ΜΗΤΕΡΑ ΕΥΘΥΜΙ
ΜΗΤΗΡ ΟVΔΙϹΑΘΑ
ΝΑΤΟϹ



٤٢ ـ مدفن قرب دركوش ـ القرن الثاني
٤٣ ـ دركوش ـ كتابة مدفن « أوتيخس » رئيس الملاحين ـ تموز ٣٥٢ م





٤٤ ـ دركوش ـ تمثال أوتيخس المنحوت في الصخر
٤٥ ـ الصخرة المنحوت عليها تمثال أوتيخس وحفرة مدفنه

وهي منظمة عسكرية رومانية [١٢١] ومن المحتمل كان لها اتصال مع الهندسة البحرية في الامبراطورية الرومانية ، وبالاحرى بالعمليات المتصلة مع عمال بناء السفن بالذات ، من خلال الحديث عن قرار اجرة العمال من قبل رئيسهم في الملاحة ، باجرة يومية مقدارها ستون قطعة نقدية ٠ وان ذكر اسم رئيس ورشة العمل في دركوش ، يلفت النظر الى بناء السفن على العاصي ٠ وأعتقد أن الاخشاب كانت تحضر من جبلي الوسطاني والدويلي ع/ط طورين الى ميناء دركوش ، والذي كان يقع الى الغرب منها ، في موقع يدعى الدويسات ، وقد اشتق هذا الاسم ، من واقع المكان العملي (أي التوقف والمحطة) ٠ وحين زرته وجدت النهر منحنيا بشكل عريض ، وفي هذا (الخليج الضيق) توضعت أحجار رومانية ضخمة مستطيلة ومربعة ، فوق بعضها على مسـافة ٣٠٠ م من الجنوب الى الشمال على مجرى العاصي ، وهي بلا شك بقايا الميناء القديم لدركوش٠ ونظرة ثاقبة الى الجبل ، من الاعلى الى الاسفل نجد مقالع صخرية كبيرة تحيط بدركوش ، على جانبها الجنوبي والشمالي ، ويتساءل أحدنا أين أحجار هذا المقلع ؟! وهي أحجار ضخمة (بلوكات) ، شوهدت بعض بقاياها من قبل بعض الرحالة في القرن الماضي ؟! فلو كانت مبنية من أجل دركوش لشوهدت فيهـا !

ذكر الجغرافي الالماني ريتر ـ ١٨٥٥ ـ « ان الاحجار الضخمة المربعة الشكل نقلت من دركوش الى انطاكية لبناء سورها القديم، وتم شحنها عن طريق النقل النهري عبر العاصي ، نظرا لتشابه الاحجار في المكانين، وسهولة النقل من هذا المكان الى انطاكية [١٢٢]

---

(121) IGLS - 2 P. 362

١٢٢ ـ R - E - P. 1636 ان أهميـة دركوش القديمة أنهـا كانت احـدى المحطات الهامة والاخيرة ـ النهرية والبرية ـ قبل انطاكية ٠ حيث كانت مركزا للمراكب النهرية كما هو في الكتابة المنشورة ٠ وكانت تبعد يوما عن انطاكية « وهي بدون شك ذات ارتباط اقتصادي مباشر بها ٠ اذ كانت مستودعات التصدير تتكدس في دركوش وخاصة السلع الغذائية كما كانت الوسيط التجاري مع المناطق المجاورة » انظر VASN - 1 - P. 95 - 96

واني أتفق مع ريتر في الرأي ، وأضيف أمرا آخر، هو كتابة المدفن والتي لم تكن مكتشفة بعد ، وهي تؤكد الاهمية الملاحية لدركوش في القرن الرابع الميلادي ، وأنها كانت العمق الداخلي ـ التجاري والعسكري ـ لانطاكية عاصمة سوريا الاولى ، ومركز الشحن الرئيسي للبضائع والمنتجات المحلية • كما أنها كانت ميناء لجبال الوسطاني ودويلي والقصير ، وخاصة عاصمة الجبل طورين المطلة عليها •

منحوتة الملاح المحظوظ في دركوش : أعجوبة المحافظة ظهرت في دركوش ، في صورة رئيس الملاحين وعمال صناعة السفن في دركوش (أوتيخس) المنحوت على جدار الصخرة العلوية فوق المدفن بارتفاع عشرين مترا • يظهر وجهه في شكل رجل وقور ، مرتديا قبعة خاصة بزي سادة العمل ، وذقن طويلة تشير للهيبة والقوة ، والعجيب انه ينظر الى البلدة ، نظرة فيها كل الحب والتقدير ، وكأنه أشار بكتابته فوق مدفنه (الملاح المحظوظ) الى أن دركوش منحته الحظ بأن يثبت وجوده كسيد للملاحين في المنطقة بفضلها ، فوجه نظره اليها لا يحيد عنها ، محدقا في نهر العاصي كأنه يحاول الارتماء بين مياهه المتحركة والنابضة بالحياة كأنه لوحة الجوكندا الثانية المنحوته على الطبيعة(١٢٣) وأما في العهد العربي

---

١٢٣ ـ ان العظمة الفنية في هذا العمل تتجلى في النواحي التالية ١ ـ من حيث موقعه الفني المرتفع الذي يسمح للناظر رؤيته من كل الجوانب الامامية ٢ ـ في أي زاوية تقف تلاحظ أن هذا العمل الجبار ينظر اليك (وهذا ما جعل الناس العاديين يخشونه ويطلقون عليه اسم (الشبح) ٣ ـ اختيار المكان المناسب لهذا العمل ، من حيث حركة الشمس ، وارتفاعه الشاهق ، ونوع الحجر المنحوت الذي يعكس الاشعاع ليلا ، أعطى لهذا العمل قيمة فنية أخرى ، لا تتوفر في معظم المنحوتات ، اذ يظهر واضحا عند الغروب وحتى ليلا • واذا قورن هذا العمل الابداعي المتميز بأعمال فنية نحتية لكان سيدها من حيث صعوبة نحته وضخامته وارتفاعه الذي يزيد عن العشرين مترا • ونستطيع القول انه عمل فني ضخم وعملاق ، ويعجز فنانو هذا العصر عن عمل رديف آخر •

الاسلامي فقد فتحت كبقية البلدان المجاورة ، وأصبحت احدى كور أنطاكية • وظلت ذات أهمية تجارية وادارية لها حتى أواخر القرن الماضي وقبل سلخ لواء اسكندرون • ذكرها ياقوت ـ ٦٢٦ هـ « دركوش : حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم » وأيضا « شقيف دركوش : بفتح الدال وسكون الراء والكاف ثم الواو وشين معجمة ، قلعة من نواحي حلب قبلي حارم • » وذكرها كذلك البغدادي بنفس الوصف • وأما ابن شداد ـ ٦٨٤ هـ فقال «قلعة دَرْكوش : كانت قديما شقيفا فلما ابتنى الفرنج حارم بنوه حصنا • وله ولاية وجامع وربض وهو على شط العاصي في كهف[١٢٤] بينما ذكرها الرحالة شيخ الربوة ـ ٧٢٧ هـ ـ أنها من الثغور الساحلية الجبلية[١٢٥] • يؤكد هذا أنها كانت أحد الثغور الهامة في الجبال المجاورة لانطاكية ، وأنها أصبحت حصنا في زمن الحروب الصليبية ، حيث تناوبها العرب والفرنجة أكثر من مرة، ولكن هذا الحصن لم يكن مبنيا بناء كاملا في جهاته الاربع ، بل كان متصلا بلحف الجبل في كهف حفر فيه[١٢٦] • ولكن آين يقع

---

١٢٤ ـ ابن شداد ـ ص ٣٣٦ في ـ
Buletin D'etudes Oriental Tomes XXXII - XXXIII Annes 1980 — 81 Damas 1982
-

١٢٥ ـ شيخ الربوة : نخبة الدهر ص ٢٠٦ •

١٢٦ ـ الشقيف لغة : الصخر العظيم المنحدر من الجبل (عامية سريانية) • وهناك تشابه في المضمون بين الحصن والقلعة والشقيف ، كمراكز حماية ودفاع عن المكان ، ولكنها تختلف في الشكل ، فالحصن أصغر من القلعة مساحة كحصن ابي سفيان في البارا وحصن شغر ـ بكاس ، والشقيف موقع محصن ومحمي بالجبل أو الصخر كالكهف • وكما ذكر ياقوت في تعريفه شقيف أرنون ان الشقيف كالكهف ، وأرنون قلعة حصينة في كهف من الجبل قرب بانياس • وكذلك عرف ابن العديم الشقيف كالكهف • وفي محافظة ادلب كشقيف دركوش وبلميس ، نجد آثارهما واضحة في حفرة كبيرة ـ كالكهف ـ في سفح الجبل • وأما القلعة فلابد أن تكون مسورة من جميع جهاتها ومحاطة بخندق كقلعة حارم • وللدقة أكثر يمكن القول ان الشقيف له حماية أو بعضها من الطبيعة ، بينما الحصن أو القلعة فحمايتهما اصطناعية • كما قد تتشابه التعاريف عند المؤرخين العرب فيطلقون تارة على شقيف دركوش حصنا (ياقوت) وقلعة (ـ ابن شداد ـ القلقشندي) كما اختلط الامر بالنسبة لوصفهم حصني شغر ـ بكاس بالقلعة وحارم بالحصن •

شقيف دركوش ؟ من النصوص السابقة تتوضح لنا المسألة أكثر انه في الموقع الذي تقع فيه مغارة الحكيم في سفح الجبل الشمالي ، وراء الجامع • وكانت بداية سور هذا الحصن بل الشقيف من عند الجسر القديم وحتى الجبل ، حيث نشاهد آثار الشقيف واضحة ، فالجبل مقعر بشكل واضح ، وفيه عدة مغاور لها باب خاص في هذا الشقيف يدعى باب الهواء ، وهو سرداب يؤدي الى الجهة الغربية(١٢٧) وقد كان هذا الشقيف سورا مانعا لكل معتد ، وحمايته مؤمنة ، فالجبل يحميه من الخلف ، والنهر من الامام ، وسور غربي وآخر شرقي ، حتى أصبح كالقلعة العاصية « استولى هولاكو على جميع بلاد الشام ما عداها فانه لم يصل اليها ٠٠ » وكان قد استولى على حارم عام ١٢٦٠ م قبل حصاره شقيف دركوش من الجهة الغربية(١٢٩) • وهكذا يمكن القول ان دركوش في العصور الوسطى كانت شقيفا عبر عنده صلاح الدين الى شرقي العاصي ، بعد ان فتح شغر ـ بكاس عام ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م(١٣٠) • وفيما بعد أعطى الملك الناصر شقيف دركوش الى غرس الدين قلج° • فلما توفي الاخير عصى أولاده بالقلاع التي كانت بيده ،

---

١٢٧ ـ ابدى بعض الباحثين حيرتهم في تحديد موقع الشقيف ، منوهين الى أن آثاره لم تعد موجودة ، لعدم اطلاعهم على النصوص العربية بشكل واضح ، وخاصة نص ابن شداد ـ ٦٨٤ هـ ـ الذي نشر مؤخرا باللغة الفرنسية انظر

Mari (A) , Terrasse : Description Dela Syrie Du Nord - Damas 1984-P. 45

ووصفه يشبه وصف حصن شغر ـ بكاس ، والذي له ولاية وجامع وربض • بينما قال هنا « وهو على شط العاصي في كهف ، وهي الناحية التي حددتها من الجسر القديم الى مغارة الحكيم ، فاشتملت مضمون وصفه الولاية والجامع والربض وشط العاصي والكهف • وأما اسم مغارة الحكيم فلعله كان في أصله مكانا لاحد النساك الحكماء ؟!

١٢٨ ـ القلقشندي : صبح الاعشى ١٢٨/٤ •

١٢٩ ـ كان لدركوش بابان : غربي باتجاه حارم ، وشرقي باتجاه الغفر ، بالاضافة الى الباب الجنوبي بجانب الجسر القديم ، حيث كان « هناك مركز مراقبة جمركية » عن كورانسيز ـ ١٨٠٩ انظر R - E - P. 1635

١٣٠ ـ العماد الاصبهاني : الفتح القسي ص ٢٥٥ و

C'ahen : La Syrie Du Nord - Paris 1940 — P. 429

ومنها شقيف دركوش الذي كان واليا عليه، ابنه سيف الدين في زمن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، ويطلب الاخير منه تسليمه، فيمتنع عن ذلك، مما دفع الملك الظاهر بالحضور الى شقيف دركوش، ونصب المجانيق عليه ومضايقته، لكن سيف الدين قلج طلب الامان فامنه، وسلم اليه الحصن على ماتقرر بينهما (١٣١) وتم ذلك سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م وفي سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م يخرج السلطان الملك العزيز في احدى متنزهاته لرمي البندق الى حارم ومنها يتوجه الى دركوش ومنها الى افامية (١٣٢) وفي سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١ م يستولي التتار على حلب، فيغتنم الفرصة بيموند صاحب طرابلس، ويستولي على ديركوش وبلاده، وهو من أمنع الحصون المجاورة، ويستولي على شقيف كفر دبين وشقيف كفر بلميس (١٣٣) وأطلق الفرنجة عليها اسم Ceva Dargous سيفا دركوس، لان اسمها اللاتيني دركوش (١٣٤) وسيفا ما هي الا تحريف لكلمة شقيف العربية . ويعيد الفرنجة بناءها من جديد الى حصن بعد أن كان شقيفا (١٣٥) ويظل بأيديهم حتى عام ١٢٦٧ م (١٣٦) فبعد ان فتح الملك الظاهر بيبرس أنطاكية، انقطعت حيلة اهله، وأهل الحصون المجاورة، فطلبوا الامان، على ان يسلموا ويؤسروا . فسير الامير بدر الدين بيليك الاشرفي . وتسلم الظاهر ديركوش

---

١٣١ ـ ابن واصل : مفرج الكروب ٣/ ٨١ وابن العديم ٣/ ١٤٠ قال « وامتنعوا من تسليمها الى الملك الظاهر وأخذ عليها النقوب واستنزلهم منها، وصفح عن حرمهم .. وهكذا ... »

١٣٢ ـ ابن العديم ٣/ ٢١٤ والبندق : كلمة فارسية . وهي كتلة رصاصية كروية تستخدم في الرمي .

(133) Cahen . SN - P. 706

وابن عبد الظاهر ص ٣٠٠ و ٣٢٤ وكتب سيرة الملك الظاهر واصفا « ان هذه الحصون كانت شجا في حلقه وغصة في صدره ـ يعني الملك الظاهر عندما كانت بيد الفرنجة حتى استردها منهم فيما بعد .

(134) D - T - P. 163 , Cahen . SN - P. 161

١٣٥ ـ ابن شداد ص ١٧ وابن الشحنة ص ١٦٧ .

(136) Rey - Les colonie Franques De Syrie - Paris 1883 - P. 337

ليلة الجمعة حادي عشر شهر رمضان ، وتسلم بقية هذه الحصون وأسر من فيها،واستردها المسلمون(١٣٧)٠وفي عام ٦٧٩هـ/١٢٨٠م تم الصلح بين سنقر الاشقر والسلطان قلاوون ، على ان يكون له الشغر وبكاس ودركوش ، وان يقيم عليهم ستمائة فارس(١٣٨) ودخل سنقر تحت الطاعة وعفا عنه السلطان ٠ هذا بعض من تاريخ شقيف ـ حصن دركوش ، والذي زالت معالمه الان ، نتيجة الزلازل التي وقعت في المنطقة ٠ وفي العهد المملوكي يزداد ، نفوذ التركمان في المنطقة ، وكان أميرهم في ناحية العمق فارس بن صاحب الباز التركماني ، قد أستفحل أمره عام ٨٠٦ هـ ، فاستولى على انطاكية والقصير وبلاده وديركوش ، فيخرج اليه الامير دمرداش بعساكر من حلب ، ويلتقي الفريقان في جب العميان موضع بناحية العمق بين القصير وانطاكية ، فكسر دمرداش وقتل من عسكره جماعة وبعض الامراء المقدمين ٠ ويعود دمرداش الى حلب ليجمع العساكر ثانية ، ويستنجد بامراء البلاد الشمالية على ابن صاحب الباز ، ولايتمكن منه مرة أخرى ، فيزداد خطر ابن الباز ، واستولى على البلاد الغربية من حلب بأسرها وصار له من باب الملك صهيون وأطراف بلد سرمين وهي أنطاكية والقصير والشغر وديركوش وتيزين وحارم وبغراس والحلقة وسائر أعمالها ٠ ولكن جكم الذي تولى نيابة حلب تمكن منه فيما بعد سنة ٨٠٨ هـ(١٣٩) ٠

---

١٣٧ ـ ويوافق ذلك سنة ٦٦٦ هـ/١٢٦٧ م ٠ ابن عبدالظاهر: الروض الزاهر ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥ و Cahen - SN - P. 717 ٠ وقد تم فتح هذه الحصون (دركوش ـ بلميس ـ كفرديين) في عهد الملك الظاهر بيبرس الذي توفي عام ٦٧٦ هـ/١٢٧٧ م انظر الدويهي ـ تاريخ الازمنة ص ١٤٠ والاعلام والتبيين للجزيري ص ١٠٤ ٠ ذكر بعضهم دركوش وآخرون ديركوش !

١٣٨ ـ الطباخ : سير اعلام ٥٠٧/٢ ـ ٥٠٩ والغزي : نهر الذهب ٢١٨/٣ ٠

١٣٩ ـ الدويهي ص ١٤٣ ٠ ١٤٠ ـ ؟

ومن الناحية الادارية فقد كانت في العهد الايوبي تابعة لنائب سلطان حلب في حارم ، ويدعى حاكمها بالوالي(١٤١) وفي العهد المملوكي أصبحت تدعى ولاية دركوش من أعمال حلب ، وكانت الولاية الحادية عشرة فيها وواليها جندي(١٤٢) • وأما في العهد العثماني فقد أشارت الوثائق اليها كثيرا(١٤٣) تابعة لانطاكية في النصف الاول من القرن السادس عشر ، ثم أصبحت قضاء في النصف الثاني ، كما ذكرنا في مطلع بحث منطقة الجسر • ذكر كورانسيز ــ ١٨٠٩ ــ ان هناك بعض الآغويات أو الحكومات الصغيرة في ولاية حلب مرتبطة مباشرة بالباب العالي في استنبول واحداها دركوش(١٤٤) ويدعى حاكمها (آغا) • ودعيت بقصبة دركوش كما ذكر الكيالي ــ ١٨١٥ ــ تعرضت هذه البلدة الى الكثير من الكوارث نتيجة الحروب والزلازل التي تناوبت عليها وخاصة الزلزالين الاخيرين • الاول عام ١٠٢٩ هـ/١٦١٩ م « سقط من الجبل الذي في ظله قرية دركوش على حارة منها فانهدمت عدة بيوت ، منها بيت قهوة فهلك تحتها نحو سبعين نفسا وكأنه لزلزلة كانت »(١٤٥) • والثاني عام ١٢٣٧ هـ/١٨٢٢ م • والذي وصفه لنا ابن الشيخ محمد المطلبي بقوله :

---

١٤١ ــ ابن شداد ص ٣٨٦ في BDO. Tome 32 - 33 Annes 1980 - 81

١٤٢ ــ القلقشندي ٤/١٢٨ و ٢٣٠

١٤٣ ــ للمزيد عن واقعها السياسي والاداري والاقتصادي انظر كتاب محافظة ادلب في العهد العثماني » قيد الاعداد •

(144) C - I - P. 38

(145) Bulletin D'Etudes Orientales Tomes 22 - 23 Damas 1980 - 81 P 256 - 264

مقال بعنوان نصوص غير منشورة عن الزلازل لمحمد مطيع الحافظ ، وسيرد الحديث عن الزلازل التي وقعت في المحافظة في الفصل الاخير فصل الفصول وفي دركوش الآن قهوتان فقط •

١٤٦ ــ الطباخ : سيرا علام ٣/٤٠٥ •

★ بلاد دركوش قد غارت بمن فيها ★

دركوش دركوش لم يبق بهـا دار

ولا رجـال ولا انثى ولا جـار

وكلهم في بطون الارض قد صاروا

جبـالهم فوقهـم من هـزة مـاروا

تبكي الوحوش عليهم ثم عاصيهـا

هذه الزلازل التي تعرضت لها المنطقة، قد دمرت الكثير من المواقع الاثرية ككفر تعقاب التي ظلت عامرة حتى العصور الوسطى، ودركوش أيضا دمر الكثير من معالمها القديمة ولم يبق فيها الآن غير المعالم الاثرية التالية :

١ ـ المدافن القديمة والتمثال النصفي ، وسبق ذكرها في مطلع البحث ·

٢ ـ الجامع الكبير : وهو الذي أشار اليه ابن شداد ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥ م · أي انه يعود الى العهد الايوبي · وأصل هذا الجامع كنيسة فحين زرته ، وجدت جداره الجنوبي مجددا ثلاث مرات قسمه الاولي والاصلي مبني بأحجار ضخمة ، تعـود الى العهـد البيزنطي ، وفي جداره الشمالي عمود اسطواني الشكـل قطره ٥٢ سم ، أي انه كان كنيسة من النموذج البازليكي وهناك نجفة فوق باب الحرم نقر عليها كتابة غير منقطة «أمر بابطال ما حدد على نساء المسلمين وبناتهم في مدينة دركوش والقصير وأعمالهما المعز العالي الكاملي قانصو التحيات بحلب المحروسة ، على يـد الجناب المرسي ناصر الدين أحد الامراء بحلب ، ولعنة الله على من يجددها بعد ذلك بتاريخ شهر جماد الاول من شهر سبع وسبعين وسبعمائة » وللاعلى منها لوحة حجرية أخرى نقر عليها «قد رممه نحو نصف ترميمه المرحوم الحاج اسماعيل آغا من زمرة الديوان كان من سكان القصبة سنة الف وماية وست وثمانون هـ » تفيدنا هذه اللوحة ان دركوش كانت في هذا العام قصبة، ورمم هذا الجامع

نصف ترميمه ، تمت (بعد الزلزال الذي وقع عام ١٠٢٩ هـ) من قبل اسماعيل آغا ، من أصحاب السلطة ومن سكان القصبة ، كما أشار الى ذلك الامر السلطاني الصادر عام ١١٣٧هـ/١٧٢٤ م من قبل السلطان العثماني في اسطنبول ، والموجه الى باشا حلب وأمير أمرائها والى جميع القضاة في حلب ودركوش ومضمونه « عند وصول أمرنا العالي الشأن ليكن معلوما لديكم ان الحاج اسماعيل قد عرض على سدتنا العالية ان في قصبة دركوش الواقعة على نهر العاصي منذ ٤٠٠ ــ ٥٠٠ سنة أراضٍ زراعية غير مشجرة وهي منطقة الرمان لم تجر تجاهها أية منازعة على التصرف بنصف هذه الاراضي • ونظرا لغزارة الامطار في هذه السنة ، فقد حالت دون تعمير وترميم هذه الارض • كما وجد بعض الناس المفسدين، الذين يريدون عرقلة الاعمار والترميم ، وترك هذه المنطقة خرابا ، أصدرنا أمرنا السلطاني باعمار الاراضي كما كانت سابقا • وعدم الممانعة في ذلك ، حسب علامتنا الشريفة الصادرة في أوائل رمضان ١١٣٧ هـ ــ القسطنطينية وهناك وثيقة أخرى أشارت الى ان نقيب أشراف المملكة العثمانية عين السيد اسماعيل أفندي قائمقاما عام ١١٥٩ هـ على أشراف أقضية دركوش وشغور وعزاز ومعرة مصرين ومعرة النعمان وسرمين • (القسطنطينية ذي القعدة ١١٥٩ هـ وكما يبدو فان اسماعيل آغا مجدد الجامع ، كان من أعيان دركوش، والساعين الى اعمارها واستصلاح أراضيها فحظى بالمكانة الواسعة ليس في بلده بل في مدن أخرى • ونفضل اطلاق اسمه على الزقاق المجاور وتسمية الجامع باسمه « جامع اسماعيل آغا » عرفانا بفضله على بلدته • وأما مئذنة الجامع فعثمانية الشكل، وأحدث عهدا في أسفلها لوحة نقر عليها ١ ــ بشرى بمنارة قد شيدت ٢ ــ للخير يذكر فيها الله أكبر •• والباقي طمس بالطين • ولعلها بنيت بعد الزلزال الاخير الذي وقع عام ١٢٣٧ هـ/١٨٢٢ م • وفي دركوش أيضا جامعان آخران ومقام وضريح العلواني •

٣ ـ الحمـام : يقع الى الجنوب من الجامع ، قرب الجسر القديم وخان الكوبرلي ، وهو حمام أثري يكاد بابه يغلق من رمي الاتربة فوقه · زخرفة مدخله ، من الزخارف الجميلة والعائدة الى العهد المملوكي ، مشكلة من ثلاثة أفاريز ، قريبة من زخرفة الباب ، والمؤلفة من دائرتين يمنى ويسرى ، واليسرى بداخلها قرص له شبيه في المواقع الاثرية البيزنطية ؟ وبين الدائرتين نقش شكل مربع ، نقر بداخله كتابة كوفية تربيعية مضمونها « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ما شاء الله » ونقش هذه النجفة ، يغاير نقش اللوحة الاخرى فوقها ، والتي ذكر عليها تاريخ الحمام ، وأعتقد أنها دخيلة ، أحضرت من الجامع المجاور لها ، فمضمونها الديني ، موجود في حرم جوامع كثيرة · وأما اللوحة الاخرى فمستطيلة الشكل نقر عليها ·



٤٦ ـ دركوش ـ واجهة الحمام ٩٦٦ هـ

١ ـ جدد هذا الحمام السعيد قدو (م) الامير جان بولاد ٠
٢ ـ دام عزة وزيد اقباله وظهر أمره سنة ست وستين وتسعمائة هـ) فمن هو جان بولاد هذا ؟ هو علي باشا بن احمد بن جانبولاد بن قاسم الكردي القصيري المتوفى عام ١٠٢٠ هـ ، الذي أقام وليمة عظيمة في قرية الزنبقية المجاورة لدركوش ٠ وتشير الوثائق الى الاملاك الشاسعة لآل جانبولاد في المحافظة ، ومنها في ديركوش حيث كان هناك معصرة ملكا لهذه العائلة ، وكذلك لهم بعض الاملاك في قضاء حارم وأريحا وفي قضاء معرة مصرين ٠ واحدى هذه الوثاق /٩٩٠ هـ/ ذكرت دينا مستحقا على أحد أهالي اللجة من قضاء معرة مصرين الى جانبولاد وقيمته ثلاثمائة واثنان وعشرون دينارا[١٤٧] ٠

٤ ـ خان الكوبرلي : يقع قرب الجسر القديم بجوار الحمام بناه الوزير الاعظم محمد باشا الكوبرلي ، كما بنى هو وابنه أحمد باشا خان جسر الشغر ، ولكنه ليس بعظمة ومساحة الخان الثاني ٠ وقد أوقفت هذه العائلة خان دركوش وخان الجسر ، كما تشير الى ذلك الوثائق العائدة الى ذلك العهد ، وبما عرف عن آل الكوبرلي[١٤٨] اهتمامهم بحماية القوافل ورعاية الحجيج ، من اسطنبول الى مكة ، وخاصة في محافظة ادلب ٠ فهناك أمر سلطاني صادر عام ١١٣٧ هـ/١٧٢٤ م من القسطنطينية ، وموجه الى أمير الامراء بحلب والى قاضيها وقاضي دركوش من مضمونه : ان الوقف العائد للوزير الاعظم محمد باشا كوبرلي في منطقة جسر الشغور وكذلك الوقف في قضاء دركوش بلغ خراج رسومه المترتبة على الاشجار ألفي أقجة مسجلة في قرية دركوش ٠ ان هذا الفرمان

---

١٤٧ ـ عن هذه الاسرة انظر بحث الزنبقية وكذلك « محافظة ادلب في العهد العهد العثماني» قيد الاعداد ٠

١٤٨ ـ راجع بحث جسر الشغر ، وكذلك الجزء الاول عن وقف آل الكوبرلي في ادلب ، وأيضا كتاب « ادلب البلدة المنسية ! » فيه شرح وافٍ عن هذه العائلة وأوقافها ٠

أو المرسوم السلطاني ، يؤكد حقيقة الوقف ، وان موارده كانت لصالح الخان وللحرمين الشريفين ، ولآل الكوبرلي حسب الريع المخصص لكل منهم . ويعود تاريخ هذا الخان الى العقد السادس من القرن السابع عشر . والان أن لنا مرافقة الرحالة في دركوش بعد هذا العرض . أقدم نص يعود الى أواخر العهد المملوكي ، مع رحلة الملك الاشرف قايتباي ، الذي جاء من مصر في رحلة سرية ، مع بعض معاونيه ، لتفقد الجسور والمواقع العسكرية في الشمال السوري ، لعلمه باستعداد العثمانيين لفتح سورية .

٨٨٢ هـ / ١٤٧٧ م ـ قايتباي : ثم ارتحل آخر الليل ونزل بالدركوش ضحوة يوم الاربعاء سَلْخ شهر جمادي الثاني ، وبه جسر خراب وقناطر ، رسم مولانا المقام الشريف ـ نصره الله تعالى ـ بعمارته . وهي بلد لطيفة عذبة قريبة من قصير الاكراد ، بها أشجار وأثمار ، وأنهار ، وناعورة ، وطاحون على الماء ، وبها سوق يقام في يوم السبت . وأحضر لنا منه رمان ، وزن كل واحدة مايزيد على رطلين مصريين ، وباذنجان ، كل واحدة منه وزنها يزيد عن رطلين مصريين ، ويبالغ بعضهم ويقول بأن فيه ما يقرب من خمسة أرطال . ولكنني ما رأيت ذلك(١٤٩) .

---

١٤٩ ـ ابن الجيعان : القول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف ـ طرابلس ١٩٨٤ ص ٦٠ . كما كتب على عضادة الجامع الكبير بحلب « الحمد لله لما كان بتاريخ شهر رجب سنة ٨٨٣ رسم الامر الشريف العالي المولوي الملكي الاشرفي قايتباي خلدا لله ملكه وأدام اقتداره بمحمد وآله بابطال ما على الدباغين بديركوش من المكس والمظلمة » وفي دركوش (عين الدباغة) ولعلها العين التي جاورها عمال الدباغة ، والذين كان لهم وزنهم ، ولصناعتهم أهميتها ، فقدموا شكواهم الى الملك الاشراف ، لاعفائهم من الرسوم ورفع المظالم عنهم حين زيارته عام ٨٨٢ هـ ، فلبى رجاءهم ، ورسم هذا الامر في الجامع الكبير بحلب . وقد وجد داخل العين سبع غرف ومصاطب وبعض الوسائل المستخدمة في صناعة الدباغة . ومازال في دركوش بعض الدكاكين لصناعة أسرجة الخيول ، والتي كانت تستخدم الجلود في ذلك . كما ذكر الرحالة في القرن التاسع عشر أن نساء دركوش يصنعن شباك الاسماك .

نستخلص من هذا النص أن قايتباي أمر عام ٨٨٢ هـ بترميم جسر دركوش الخرب، الذي ظل قائما حتى شهر شباط عام ١٩٥٣ حيث جرفت وسطه مياه الطوفان في ذاك العام ، وليقام فيما بعد جسر حديث الى الغرب منه عام ١٩٦٣ • ولو نظرنا الى الجسر لوجدنا فيه بعض الاحجار الرومانية الضخمة ، وأخرى لاتتناسب معها ، مما يشير الى أنه رمم أكثر من مرة نتيجة الطوفان والزلازل وقبل قايتباي عمره حوالي سنة ٨٤٥ هـ سعد الله بن علي بن عثمان الملطي، من أعيان التجار بحلب ، صرف عليه خمسة آلاف دينار سلطاني « وكان قد شرع فيه فوضع للجسر رجلا واحدة ، ثم بدا لمعماره أن يجعل الجسر في غير ذلك المكان فوق أو تحت، فلم يخالفه وجدد على تلك الرجل مسجدا لله تعالى »[١٥٠] • وهذا الجسر مؤلف من ثلاثة قناطر ، والوسطى أكثر ارتفاعا لمرور المراكب ، وطوله خمسون مترا • وأهم زراعاتها الرمان والزيتون والحمضيات والخوخ والتفاح القصيري والمشمش • ذكر القلقشندي (١٣٣٥ـ ١٤١٨ م) أن دركوش أكثر زرع أرضها العنب أخبرني

بعض أهل تلك البلاد أنحبة العنب بها ربما بلغت في الوزن عشرة دراهم[١٥١] ولكن شهرتها ظلت حتى الآن معروفة بالرمان الدركوشي وهو صنفان الاول اللفان حبته كبيرة غنية بالماء ، والثاني العصفوري ـ ولا يوجد الا فيها ـ حبته ناعمة وهشة وطعمه لذيذ ، ولكنه أقل ماء من اللفان • وأما سوقها فأصبح يقام يوم الجمعة • وكان فيها في الثلاثينات خمس نواعير • ولم يبق فيها الآن أية ناعورة أو طاحونة ماء •

١٨١٥ ـ الكيالي : وسرنا في أراضي الروج التي هي ذات

---

١٥٠ ـ ابن الحنبلي : در الحبب في تاريخ أعيان حلب دمشق ٧٣ ج ١ ص ٦٦١ ـ ولعله الجامع الحالي قرب الجسر •

١٥١ ـ القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٢٨ •

فجاج ومروج وقد نفخ علينا الحر كيره ، وأكثر علينا البعوض تزميره ، حتى وصلنا الى الغفر(١٥٢) نزلنا هناك وأكلنا من الزاد ما تيسر • فبعد شرب القهوة والارتياح وحصول النشاط والانشراح ، أمر الاستاذ الافخم بالمسير الى ديركوش والنزول عند المفتي صاحب الوجه البشوش ••• فخرج مع جماعته لملتقانا وبوجهه المنير وصدره الرحيب تلقانا ، وصنع لنا ضيافتي الغداء والعشاء ••• مع تقديم أجناس الفواكه وكونه أعظم نديم وأحسن مفاكه •• فبعد ان أستقر بنا المجلس خرجت وحدي ، وكانت زيارة حضرة الشيخ بدر الدين قصدي ، فسألت رجلا يرشدني لمكانه الشريف فمشى أمامي وأوصلني لذلك المقام اللطيف ، فحين أقبلت على مزاره ولاحت لي بوارق أنواره دهشت من ذلك الجلال، وكاد أن يقضي بتقطيع الاوصال ، فدخلت بالذل والخضوع ، ووقفت لديه بالاستكانة والخشوع • ثم بعد ذلك شاهدت أنسا فسررت خاطرا ، وطبت نفسا ، فقرأت ما تيسر من القرآن لجنابه••» ثم يذكر كيف جاء أبناء البلدة بما فيهم النساء للتبرك به ثم زيارته لمقام الشيخ بدر الدين واطلاعه على ما في هذا المقام من زخارف الهنود (١٥٣) وما زال هذا المقام موجودا

---

١٥٢ ـ الغفر : موقع هام بين الروج والسلسلة الغربية ـ جبل الوسطاني ـ كان بأصله مركز مراقبة جمركي بين الروج ودركوش والجسر وهو الان موقع لقرية حديثة • اشتق اسمه من هذا المركز ، حيث كانت تسمى الجماعة التي تعمل فيه باسم «الغفرية» مهمتهم اجبار التجار على دفع مبالغ نقدية لهم تعرف باسم «الغفارة» الخياري ١٦٨/٢ ذكره موندريل ١٦٩٧ م «من بحيرة الروج وصلنا الى تنرية المكان الذي دفعنا فيه اول كفارتنا وهذه الكفارات يجب على المسافرين دفعها بالتأكيد ، في كل مرة يعبرون بها الطريق» ص ٣٨٦ وتقع التنارية غرب الغفر • وذكره كذلك كورانسيز ـ ١٨٠٩ ـ «الروج سهل عريض مسافته ثلاث ساعات يفصل السلسلتين عن بعضهما • وهناك على بداية الطريق بيت للغفر Ghaffar • انظر R - E - 1637 وأيضا بحث جسر الشغر • وما زال كبار السن يروون ذكرياتهم عن مركز المراقبة •

١٥٣ ـ الكيالي ـ محمد : الحلة السنية للرحلة الشامية ـ مخطوط خاص •



٤٧ ـ دركوش منظر عــام

في البلدة ويدعى ضريح السلطان بدر الدين الهندي ، وموجوداته تثبت ان تاريخه يعود الى القرن السابع الهجري ؟

وأخيرا نودع دركوش بعد أن أمضينا وقتا ممتعا ومثيرا عبر تاريخها الحافل بالاحداث آملين العودة اليها مرة أخرى !

قرية الزنبقيـة

تقع الى الغر بالشمالي من دركوش بـ ٦ كم ٠ كانت من القرى الواقعةعلىخط سير القوافل القادمة من أنطاكية الى اللاذقية أو القدس ومكة ٠ حباها هذا الموقع الهام ، وبساتينها الغناء ، الى أن تكون مطمعا للحكام ، حتى أن محمد باشا ولي نيابة حلب ، سنة احدى وثلاثين ـ وكما روى الغزي ـ « ولما مررنا على أطراف حلب في جمادى سنة اثنتين وثلاثين وألف ، بلغنا ونحن في الزنبقية ظلمه ، وحكوا لنا عنه انه ظلم أهل قراها ، وأخذ منهم أموالا كثيرة من كل قرية من غير سبب ، وأن له ظلما زائدا[١٥٤] ٠ وفيمايلي أهم ماسجله الرحالة عنها : ١٦٤٨ م/١٠٥٨ هـ جلبي « زنباق بلدة فيها ٣٠٠ سكن معمور ، وهي في ناحية أنطاكية ٠ وفيها أشجار التين والتوت ٠ أقام فيها جان بولاد زادة علي باشا وليمة لمرتضى باشا ، لم يقم بمثلها أحد من قبل ، اذ حضرها مرتضى باشا وعلي باشا والعسكر وعدد كبير من الرعايا ، تناولوا الطعام الفاخر ، حتى ان الشيء الكثير بقي منه ٠ وأهدى علي باشا بهذه المناسبة ثلاثة خيول لمرتضى باشا وهو بالتالي أهداه فراء سمور وخنجر مطعم بالمجوهرات[١٥٥] ١٦٩٩ م / ١٠٨٠ هـ الخياري : (قادما من جسر الشغر بعد أن أقام في خانها) قال « فسرنا غير بعيد فمررنا بنهر ماء (وهو نهر الابيض) قطعناه ولم نزل بعد نصعد تلالا ونهبط وهادا في طريق زعموا أن بينه وبين المنزل المقصود نزوله المسمى بالزنبقي خمس ساعات ، وهي وان كانت كذلك الا أنها لصعوبة مسلك الطريق زادت على ما طال منه ،فسرنا الى ان طلع الفجر فأديناه بالطريق ٠ وسرنا بعده في رياض مخضرة يمينا ويسارا ، فوصلنا المنزل المذكور ،

---

١٥٤ ـ الغزي نجم الدين:لطف السمر دمشق ١٩٨١ـ جا ص ٢٠٢ وهو غيركامل الغزي الذي نذكره مرارا ٠

١٥٥ ـ ج٠س ٥٦/١ ٠

فاذا هو واد فسيح مخضر الجهات به خان ينزله المسافرون عامر البناء ، متسع الجهات والانحاء ، وبه يباع ما لذ من الفواكه كالحبحب ـ يقصد الرمان ـ والعنب والتين وغير ذلك[١٥٦] نخلص من النصين السابقين الى أن خان القرية من الخانات الهامة ، لانه كان بمثابة محطة للقوافل القادمة من أنطاكية ، أو العائدة اليها. ذكره الرحالة بيانكي ـ ١٨٢٥ ـ بقوله « رنبقي حدد اسمها من واقعها ، تبعد عن أنطاكية سبع ساعات . في هذا المكان خان يحضر اليه من القرى المجاورة ، أناس يبيعون منتجاتهم الى الحجاج . ويجري نهر العاصي بالقرب منها الى اليمين . وفيها أشجار الزيتون والتين الرائع[١٥٧]» كما ذكرها الكثير من الرحالة مشيرين الى موقعها الجميل وخانها الذي بدأ يضعف دوره بعد أهتمام السلطات بخان الجسر ، وقد تحول هذا الخان الجميل الى خراب في مطلع هذا القرن ، كما أشار الى ذلك زكريا ـ ١٩٣٢ ـ «ان فيها أطلال خان خراب من العهد الذي كانت تمر به القوافل بين انطاكية وجسر الشغر » كما ان الباحث الفرنسي سوفاجيه ذكر في بحثه ـ عام ١٩٣٠ ـ عن طرق قوافل الحج من اسطنبول « ان خان الزنبقي من الخانات الداثرة ، وأضاف ان أحجاره اقتلعت حديثا من قبل الفلاحين المجاورين له، وبدأوا يستخدمونها في البناء .[١٥٨] » .وقد كان لهذا الخان أهميته الخاصة ، اذ لايوجد بعد أنطاكية خان آخر غيره . ولما ازدادت قوافل التجارة والحج ، ولم يعد هذا الخان يكفي حاجة القوافل ، قرر بناء خان أكبر في موقع جسر الشغر الان ، والذي يعد من أكبر الخانات كما ذكرت . ولا يمكن تحديد باني خان الزنبقي كما ذكره الخياري ، وان كنت أرجح أنه بني في منتصف القرن السابع عشر اذ انه عندما مر منها جلبي عام ـ ١٦٤٨ ـ لم يشر الى وجود الخان ،

---

١٥٦ ـ الخياري : تحفة الادباء ـ بغداد ١٩٦٩ جا ص ١٨٨ .

(157) D . T - P. 164

(158) Sauvajet . J. Rev Art Islamica , vol 4 - 1930 - P. 108

لكن عندما مر منها الخياري بعد نصف قرن أشار اليه ووصفه لنا. ولم يكن هذا الخان معفيا من الرسوم كمثيله في جسر الشغر ، الذي كان وقفا ، فقد بلغت الرسوم المقررة عليه /٣٤٥/ قرشا بالاضافة الى ٣١ أقجة عام ١١٨٢ هـ . أما عن التسمية فهناك اختلاف عليها . فجلبي كتبها زنباق ، أما الخياري فسماها الزنبقي ، في حين ذكرتها الوثائق العثمانية باسم زنبقية وكذلك المؤرخ الغزي وهو الاصح . وقد سميت بذلك لكثرة الزنبق فيها ، وهو نبات من أجمل الازهار تفوح منه رائحة زكية ، ويرمزلونه الابيض الى الطهارة وأما علي باشا الجانبولاد الذي أقام وليمة عظيمة لمرتضى باشا ، فهو الامير علي بن أحمد بن جانبولاد بن قاسم الكردي القصيري « جده جانبولاذ هذا كان يعرف بابن عربوا ، وكان أمير لواء الاكراد بحلب ، ولي حكومة المعرة وكلس وعزاز .. أما الامير علي فقد خرج عن طاعة السلطنة ، وجمع جمعا عظيما من السكبانية(١٥٩) واستمر في حلب يظهر الشقاق .. لكن الامير يوسف بن سيفا الذي كان أميرا على عساكر الشام تعهد بازالة علي عن حلب .. وفي مدينة حماه تجمعت العساكر ، وجاء ابن جانبولاذ الى حماه وتلاقيا وتصادفا فانكسر ابن سيفا. وراسل ابن جانبولاذ الامير فخر الدين بن معن ، أمير الشوف وبلاد صيدا وأظهر له أنه قريبه ، مع بعد النسبة ، فحضر اليه ، واجتمعا عند منبع العاصي .. واتسع سلطان ابن جانبولاذ فيما بعد ، فكانت حماه وما وراءها من الجانب الشمالي الى أضنة في تعلق ابن جانبولاذ . وانقطعت احكام السلطنة عن البلاد المذكورة نحو سنتين . ولما تولى الوزارة العظمى مراد باشا عينه السلطان لدفع ابن جانبولاذ وبقية الخوارج ، واستعد ابن جانبولاذ الى ذلك ، فاجتمع لديه أربعون ألفا ، خرج بهم من حلب الى ان التقى الفريقان ، ودار القتال . وفي اليوم الثالث انكسرت عساكر ابن

---

١٥٩ ـ السكبان . هم الجنود الذين اتبعوا أمراء بلاد الشام المحليين كعلي باشا جانبولاد والامير فخر الدين . ويسمون بالسكبانية وهو لفظ فارسي مأخوذ من سك وتعني الكلب ، وبان تعني الحامي ، أي حامي الكلب ، وهم من يمشون أمام الامير أو الكبير ، حين يسير الى الصيد .

جانبولاذ كسرة شنيعة ، وقتل منهم خلق كثير ، وهرب ابن جانبولاذ الى حلب ثم الى مَلَطْية (في تركيا) وبقي ابن الوزير يتبع أعوان ابن جانبولاذ حتى أبادهم ٠٠ وأخيرا ٠٠ قرر ابن جانبولاذ الرجوع عن سلوكه ، ودخل دار السلطنة ٠ وسأله السلطان عن سبب عصيانه ، فقال له : ما أنا لعاصي ، وانما اجتمعت على فرق الاشقياء ، وما خلصت منهم الا بأن القيتهم في فم جنودك ، وفررت اليك فرار المذنبين ، فان عفوت فأنت لذلك أهل ، وان أخذت فحكمك الاقوى ، فعفا عنه ، وأعطاه حكومة طمشوار في داخل بلاد الروم[١٦٠] ولكن السلطان عاد فيما بعد وأمر بقتله عام ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م ٠ وقد روى المؤرخون أن معركة جانبولاد مع مراد باشا قد جرت في سهل الروج غربي المعرة ، حيث كسر وقتل من جماعته أحد وعشرين ألفا ، وتسلم مراد باشا قلعتها بالامان ، وبالغ في قطع شأفة الاشقياء والسكبانية ٠ وأود أن أوضح هنا ان اسم جانبولاذ جاء من جان بولاد ، والتي تعني النفس الفولاذية ، ثم حور الى جانبلاط ٠ وتعتبر من الاسر المحلية الاقطاعية ، التي لعبت دورا سياسيا هاما في المنطقة ، وكانت عونا للدولة العثمانية ، لكنها ما لبثت أن تمردت عليها ٠ وشمل نفوذها المناطق الواقعة من حماه الى أضنة في تركيا ، بما فيها معظم أراضي المحافظة ، وذلك في مطلع القرن السابع عشر[١٦١] ٠ ذكر

---

١٦٠ ــ المحبي ــ خلاصة الاثر ج ١ ص ٢٥٤ والغزي في لطف السمر ج ٢ ص ٦٨٠ و ٢٠٢ وغيرها و د٠ رافق في بلاد الشام ومصر ص ٢٠١ وتقع طمشوارا الان في رومانيا الى الجنوب الغربي وتبعد عن بلغراد مسافة ساعة ٠

١٦١ ــ وقد ذكر الزركلي في الاعلام نقلا عن الشدياق ، في معرض كلامه عن سلالة جانبولاد الاول « هؤلاء المشايخ ينتسبون الى جانبولاد الكردي الأيوبي ، من الاكراد الأيوبيين ، وهو المعروف بابن عربي الذي تولى معرة النعمان وغيرها ٠ ولفظ جان بولاد أصل لفظ جنبلاط الذي تستعمله العامة في لبنان ٠ وقد استقلت الاسرة بحكم كلس قرب حلب في بداية القرن ١٧ ثم هاجرت الى لبنان عام ١٦٣٠ بدعوة من الامير فخر الدين الثاني المعني ٠

جلبي أن فيها ثلاثمائة بيت في منتصف القرن السابع عشر أي حوالي ألفي نسمة ، في حين تراجع هذا الرقم عام ٤٥ الى/ ١١٧/ن وعام ٨١/ ٢٨٧/ن[١٦٢] .

معراتا[١٦٣]

تقع الى الشمال من دركوش بـ ٥ كم وجنوب سلقين بـ ٦ كم و ٢ كم شرق عزمارين وهي مزرعة تابعة لقرية (مغيدلة) والتابعة لناحية دركوش عدد سكانها عام ٨١/ ٧٨/ن فيها بعض الآثار المنتشرة على مساحة ١٠٠×١٥٠ م لمبان وأبواب مغمورة في التراب من أهم آثارها المكتشفة عام ١٩٧٧ فسيفساء كنيستها . وتعتبر الكنيسة احدى الكنائس السورية المبنية في القرن السادس الميلادي[١٦٤] وهي من النموذج البازليكي ، مؤلفة من رواق مركزي باتجاه الشرق في نهايته منبر مرتفع قليلا ، ومن رواقين جانبيين ينتهي كل منهما بقاعة مستطيلة الشكل تبلغ مساحة الكنيسة ٥٠ر١٧×٥٠ر١٢ م مؤلفة من خمسة أقواس ثبت منتصفها بأعمدة قاعدتها ٧٠ سم . والشطر الشرقي للكنيسة : قدس الاقداس مؤلف من ثلاثة أقسام الهيكل أو المذبح على شكل حنية بداخلها المنبر وعلى اليمين غرفة مستطيلة وهي المارتيريون أو بيت الشهداء ، لها باب باتجاه الرواق الجنوبي ، وعلى اليسار غرفة أخرى شكلها مستطيل لها بابان : الاول نحو الرواق الشمالي والثاني نحو الهيكل وتدعى هذه الغرفة الدياكونيكن أي غرفة الشمامسة . وفي غرفة المرتيريون كانت توضع ذخائر الشهداء

---

١٦٢ ـ كان قرب الزنبقية جسر اسمه «جسر الحسانية» وضرب به المثل فقيل (نجمة الغرار توهت القوافل من خان طومان للحسينية) .

١٦٣ ـ هناك أكثر من موقع يدعى معراتا ١ ـ في جبل باريشا غرب كوكنايا باسم معراة الشلف ٢ ـ شرق معرة النعمان ٣ ـ غرب قلب لوزة وهي الآن باسم معصرته ٤ ـ جنوب ادلب ٥ ـ معراتا دركوش .

١٦٤ ـ اعتمدت في دراسة الكنيسة على المرجع التالي باللغة الايطالية .

(164) Castellana (P) Una Chiesa Siriana A Ma'rata - Caire 1981

والقديسين . وأما غرفة الدياكونيكن فكان يوضع فيها الاواني الكنسية ، ويلبس فيها رجال الدين البستهم الرسمية، ويستعدون فيها لاقامة القداس والشعائر الدينية . وكتابة الكنيسة مشوهة ولا تظهر تاريخها . ولكن نموذجها وصور الصليب فيها تشيرالى أنها من القرن السادس . وتشبه كنيسة عالية الواقعة الى الجنوب الشرقي من معراتا بـ ٣٠ كم ، حيث تم بناء هاتين الكنيستين بنفس الطريقة والمواد والنموذج والفسيفساء بالاضافة الى كنيسة القنية المذكورة سابقا ، والتي شيدت بنفس الطريقة . وكهيكل كنيستي معراتا وعالية . وقد تم نقل الفسيفساء الى متحف معرة النعمان فيها نص باللغة اليونانية مضمونها (زاخيا ـ فلافيا ـ نوفسيموس ـ لهم مكان هنا ـ سانديكوس)ويظهر في الصورة المنشورة كلمة سانديكوس وهي اسم شهر نيسان . وكلمة أرض . وتعود الى أواخر القرن السادس(١٦٥) وأما الصور المنشورة للفسيفساء ، فقد فرشت أرض الكنيسة . استخدم فيها هندسة العنصر الزخرفي . في الوسط مربع محاط بشريط . وفي وسط المربع كتابة يونانية . الشريط الخارجي للمربع مقسوم الى قسمين أحدهما داخلي أبيض ، محاط بخيطين أسودين ، وضع في خارجه شريط لونه غامق بالبني والاسود . ويميز هذا المربع عن بقية الفسيفساء الارضية ، في الاطار الخارجي لها ، حيث يوجد مجموعة رسوم لانسان وحيوان ، تزدان بخطوط لينة نباتية في المنطقة بين الحنية والصحن ، تختلف الاشكال الهندسية ، ضمن الكنيسة ، ولكن العناصر الاساسية ، تبقى واحدة . والشريط الخارجي يبدو نباتيا فقط. وأما في الحنية فيستمر من الاطراف الاطار النباتي المرصوف بشريط أسود وبني وأبيض عن مجموعة

---

١٦٥ ـ تظهر أشكال رسومها ، ورصف كتابتها الى ضعف خبرة الفنان الذي رصفها ، بالاضافة الى تقدير الاحجام والتناسب في حجم حروفها . ويعود السبب الى بدء الضعف الاقتصادي في المنطقة ، والمشاحنات السياسية التي سبقت الفتح العربي ـ راجع فصل الفصول : الواقع السياسي .

رسوم الحيوانات والنباتات ولتأخذ شكل انحناء الحنية : شجرة صنوبر ، ولبوة فوقها صليب ، ثعلب ، طائر ٠ وأما اللوحة المنشورة منها ، نجد فيها في الوسط شكل أمرأة ، محدد بخطوط سوداء من الخارج ٠ وضعت على رأسها ما يشبه القبعة، وقد جدلت



٤٨ ـ معراتا ـ فسيفساء الكنيسة ـ القرن السادس

شعرها بضفيرتين ، وجفون عينيها مكحلتان ٠ وفي طرفي اللوحة شكلا لرجلين : على اليمين نشاهد رجلا ماسكا القدم اليسرى لحيوان الايل (ابن الغزال) وتحته شكل طائر ٠ وأما لباسه فنجده بطراز جميل ، فعلى كتفيه قرص بداخله نقطة سوداء وكذلك في الاسفل ٠ وفي واجهة لباسه رسم طولاني من الاسود والابيض والبني ٠ ويظهر أمامنا شكل الاحذية التي كانت مستخدمة في هذا العهد ، وهي من النوع المعقود ٠ ويمثل هذا الشكل أحد المزارعين ٠ وأما الشكل الايسر فلرجل يمسك بيده اليمنى دائرة مزخرفة شبيهة بالطبق ، وضع فوق كتفه رداء طويلا

ممتدا فوق ذراعه اليسرى، ويمثل هذا الشكل أحد أعيان معراتا. وفي أعلى يسار اللوحة كتابة يونانية فيها كلمة سانديكوس = شهر نيسان وكلمة أخرى = أرض . وتملأأرضية اللوحة مجموعة لعدة أنواع من النباتات : الرمان ـ الاجاص ـ التفاح ـ المشمش . ومازالت هذه الانواع تزرع في المنطقة باستثناء الاجاص . وفي الاسفل شريط زخرفي نباتي تبرز معالمه من خلال الارضيةالسوداء ومن ثم يحاط هذا الشريط بشريطين أبيضين محددين بالاسود أيضا . وأما اللوحة الثانية المنشور قسم منها فمن الخارج نجد الشريط الذي يؤطر اللوحة الى ثلاثة أقسام . فمن الخارج على



٤٩ ـ رسم تفصيلي آخر للفسيفساء

شكل مثلثات باللونين الابيض والبني . والشريط الاوسط أعرض من الشريطين المؤطرين ، وهو على أرضية سوداء ،وشريط متناظر فيه تدرج لوني يعطي شكل البعد الثالث . وفي الداخل رمادي اللون وفي وسط خط بني كاشف . في اللوحة ثلاثة أشجار . من اليمين

شجرة رمان ـ نخيل ـ أجاص • تقسمها أربعة أقسام• من اليمين في الاعلى حيوان في رقبته جرس يمثل (الوعل) وتحته حيوان يمثل شكل الخروف ، محدد بخطوط سوداء • في قلب شجرة الرمان طائران يمثلان الحمام • وفي القسم الثاني فرس ترضع مهرها وهي مسروجة ، ورقبتها وجانبيها مزدانة • ويملأ فراغ بقية هذا القسم شكل نباتي يتجه من الاعلى الى الاسفل • والقسم الثالث فيه رجل يمسك بيده رسن حصان غير مسروج • ويملأ فراغ اللوحة ثعبان وطائر متقابلان وجها لوجه • في القسم الرابع حيوان ضخم كثور يقفز على ظهره حيوان آخر • وهذا الحيوان الصغير يتميز عن غيره أنه مسطح لاخطوط أخرى في داخله، محاط بخط اسود فقط • ويملأ فراغ اللوحة بالاسفل شكل نباتي أيضا ولكي يتم ابراز معالم الاشجار ، ملئت الفراغات الثمر والورق بالاسود • وهناك لوحة أرضية أخرى ، مؤطرة بشريط على شكل جديلة • وفي الداخل صور لحيوانات ونباتات ، لبوة تفترس ماعزا ، والدم يسيل من جسدها ، وطائر اللقلق وحصان، وشجرة الاجاص ربط بطرفها خروفان ، وحمل يرضع من ثدي أمه وبجانبه حمل آخر صغير متجه الى الشجرة ، والتي يكون ثمرها كبيرا ليس له شبيه ، وماعزان في طرفيها • وثم نشاهد ثورا ينقض عليه أسد• ولوحة أخيرة بجانبها تمثل مجموعة من الدوائر المتوضع في داخلها رسوم لحيوانا أو طيور • من اليمين طاووس ـ طائر اللقلق ـ خروف ـ وطير • وهناك لوحة أخرى تمثل الاسد وهو مخطط باللون الاسود ، على أرضية بيضاء • محاط بشريط محدد من طرفيه باللون الاسود ، ويتدرج من الداخل الى الخارج ، من البني الى الابيض• وذيله ملفوف على قائمته اليمنى الداخلية• والغريب في الامر ان شكل لباس الرجل الايمن في اللوحة الاولى ، فيه رسم طرازه كرسم جلد القدم اليمنى لهذا الاسد ، ويمكن القول ان لباس هذا المزارع مطعم بجلد الاسد • وكذلك يوجد صورة سمكة ولوحة شكلها زخرفي هندسي أيضا ، على شكل معين معقود الاطراف • وفي شكل عقدة ، يتشكل المستطيل الذي يحيط

به • أرضيته بنية اللون • وأما الشريطان اللذان يشكلان المعين والاطار والعقد ، فمحاطان بشريط أبيض ، ضمن خطين أسودين والتدرج اللوني في داخل الشريطين ، أحدهما طولاني والثاني مائل وفي الوسط نقطة سوداء ، ومن حولها شكل زخرفي يملأ وسط المعين • وهناك لوحة كاملة لرجل يحمل حيوانا اليفا وهو (الحمل) أرضيتها رمادية اللون محاطة بأشرطة من الداخل الى الخارج : بني كاشف، أبيض، ثم على أرضية سوداء بعض الاشكال الهندسية وأخيرا ماذا تمثل هذه اللوحات ؟! الاولى والتي يبدو فيها شكل رجلين وامرأة في الوسط وحيوانات أليفة وأشجار مثمرة وكتابة كلمتي نيسان وأرض والتي تمثل خيرات الارض وعيد الربيع والرجل الايمن مزارع مهتم بالنبات والحيوان ، قادما بخيراته الى معراتا والثاني من أعيان القرية ووجهائها ، يحمل طبقا يقدمه الى المرأة والتي تحدق به وهويحدق بها • ويده اليسرى ممتدة أمامه وهي مفتوحة ، كأنها طالبة العطاء ، مخاطبة المرأة باعداد الطعام فوق هذا الطبق • ويبدو شكل المرأة بسيطا ، فلا بد وأنها تمثل شكلا لفلاحة بسيطة • وأما اللوحة الثانية فتمثل خصب الارض والثروة الحيوانية والتجارة • والغريب في هذه اللوحة وجود شجرة النخيل ، فهل كانت موجودة في القرن السادس في هذه المنطقة ؟! أم أنها تمثل العلاقات التجارية مع أبناء الجزيرة العربية ، طالما يوجد رسم حصان مسروج بجانبها ؟! وصورة الاسد هنا تشبه صورة أسد فسيفساء مارتيريون كنيسة جرادة الواقعة شمال المعرة ، والعائدة الى القرن الخامس الميلادي ، ولكن الاخيرة أفضل من الاولى رصفا وفنية ، والاسد فيها هائج مفترس !! ووجود صورة السمكة تشير الى الثروة السمكية في نهر العاصي وأما صورة الرجل الذي يحمل حيوانا اليفا وهو (الحمل) فتمثل السيد المسيح ، لانه سبق وجود نقش في كل من جرادة ودير سنبل يمثل السيد المسيح في صورة الحمل[١٦٦] وهذه الفسيفساء التي رصفت أرض الكنيسة بكاملها ، رسمتهايد فنان ضعيف الخبرة

١٦٦ ـ سترد التفاصيل في كتابنا « الحضارة في جبل الزاوية » قيد الاعداد •

في رسم الاشكال الانسانية ، وتناسب الحجوم ، وكتابة الحروف وهي لا تضاهي فنيا لوحات الفسيفساء ، في فركيا وسرجلا وجرادة في جبل الزاوية ٠



٥٠ ـ صورة أسد في فسيفساء معراتا

ترقبوا :

كتاب « ادلب البلدة المنسية ! »

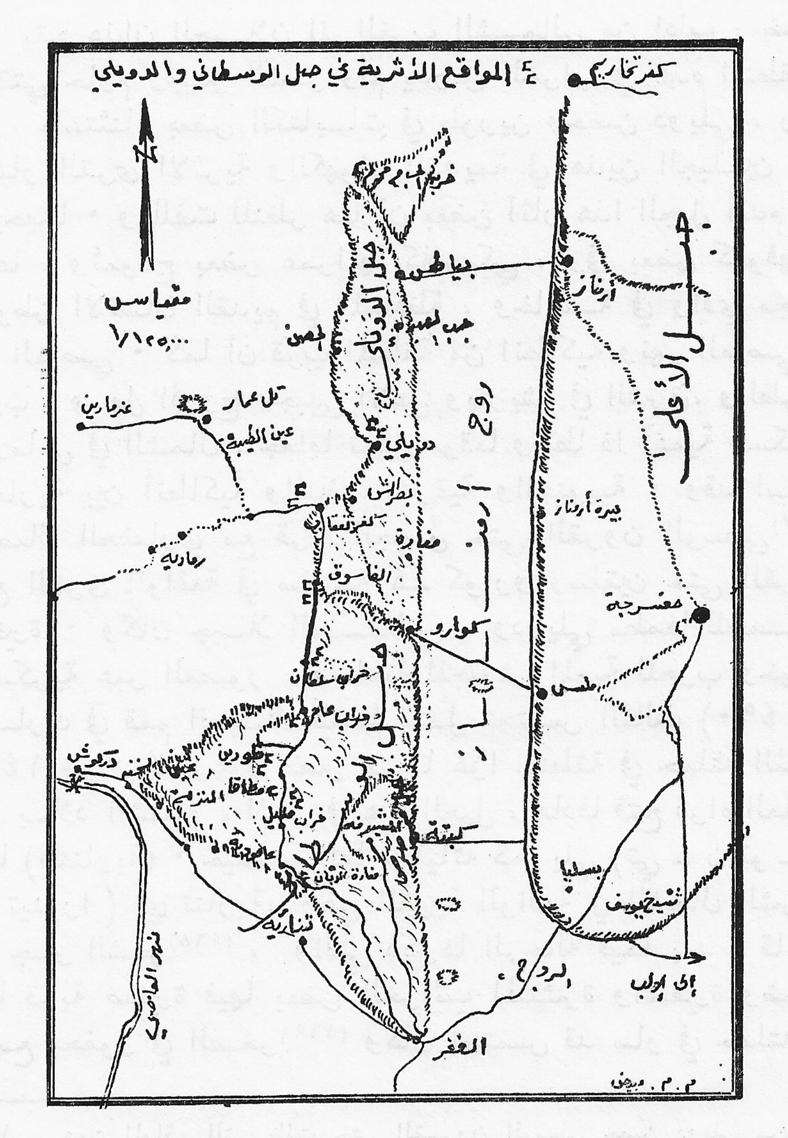
ثلاثة كتب في كتاب واحد

أ ـ ادلب الكبرى والصغرى

ب ـ البلدان والقرى والمزارع المجاورة (مسطومة ـ دينيت ـ بكفالون ـ برج هاب ـ بنش ـ فوعة ـ معرةمصرين ـ حراجة

جـ ـ سرمين أم المدن ٠

أول كتاب يؤرخ ادلب والمنطقة المجاورة موثق بمائة صورة ووثيقة



٥١ ـ خريطة المواقع الاثرية في جبلي الوسطاني ودويلي

﴿ آثار جبلي الوسطاني ودويلي ﴾

يقع هذان الجبلان الى الغرب الشمالي من ادلب ، ضمن منطقتي حارم وجسر الشغر ولم يدرس الخراب في هذه المنطقة بعد ، باستثناء بعض الكتابات في طورين وحصن دويلي ، رغم انتشار القرى الاثرية والكهوف القديمة في هذين الجبلين وفي سفوحهما · والملفت للنظر هنا أن بعض آثار هذا الجبل أقدم من غيرها ، ونموذج بعض عمرانها كلاسيكي ، وفي بعض كهوفها ، استوطن الانسان القديم في المحافظة ، وخاصة في وادي مجرى نهر العاصي · كما أن قرب المنطقة من انطاكية ونهر العاصي في الغرب ، وسهل الروج وجبلي الاعلى وباريشا في الشرق، والطريق الروماني في الشمال ، جعلها تحتل موقعا وسطا ذا أهمية عسكرية وتجارية بين أنطاكية والبلاد الشرقية والجنوبية · وقد استمر الاتصال الحضاري مع قرى الجبل حتى القرون الوسطى(١٦٧) ومع القرى الواقعة في سفوحه كـ كوارو وسلقين حتى القرون الاخيرة · وكان جبلا الوسطاني ودويلي مطمعا للحملات العسكرية عبر العصور ، وخاصة للجيوش المحبة للحرب وخوض المعارك في قمم الجبال كما فعل تحتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق · م) فرعون مصر عندما غزا المنطقة في حملته الثامنة على بلاد الشام ، اذ مر في هذا الجبل ، هادفا فتح قراه العامرة منها (التنارية) · حيث ذكرتها حولياته كما يلي (تي ـ ن نو ـ را = تينورا) أي تنارية، وهي القرية الواقعة في الشمال الشرقي من جسر الشغر(١٦٨) ، والتي ذكرها الرحالة فيما بعد ، قائلين انها قرية صغيرة فيها بعض الخرائب المنتشرة والفقيرة وضريح واسع محفور في الصخر(١٦٩) وكان تحتمس قد سار في حملته مع

---

١٦٧ ـ ومن المواقع التي ظلت حتى القرون الوسطى حصن دويلي ـ حصن طورين ـ بلدة كفر تعقاب

١٦٨ ـ مجلة الحوليات الاثرية المجلد ٢٦ عام ١٩٧٦ مقال عن حملة تحتمس الثالث ·

(169) SYRIA - 11 - 1930 - Froment C. T. A. Harim . P. 280

مجرى نهر العاصي بعد ان فتح المناطق المجاورة قادما من أورم الجوز ، ومتجـها عبر سهل الروج الى قمم هذين الجبلين ، ومن ثم اتجه نحو السفوح الشرقية الى سهل الروج ثانية ليفتح موقعا يدعى في سجلات الفراعنة (ش ـ م ـ أ ـ ر ـ و ـ = شماراوا أو سماراوا) وهو تل شمارون الان بجوار الطريق العام نحو ادلب وقد وجدت فيه بعض التيجان البازلتية غير المحددة بعد • وهو الآن من التلال الاثرية الهامة في المحافظة • وكانت القرية تدعى بشمارون • وكذلك عبر هذا الجبل الآشوريون ، حيث كان هدفا لهم مدة خمسين سنة ، حوالي منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وكانت معركة قرقر(١٧٠) المشهورة الاولى عام ٨٥٤ ق•م بقيادة الملك الآشوري شلمنصر الثاني ، والمعركة الثانية عام ٧٢٠ ق•م بقيادة الملك صارغون الثاني ، حيث انتصر في المرتين على ملوك سورية المتحالفين • وكان شلمنصر الثاني قد احتل سابقا سرمين واتجه الى سهل الروج ، وتلعات الجبل كي يفاجىء ملوك سورية من الخلف • وكذلك فعل الرومان حين أرسلوا بعض كتائبهم العسكرية ، لتأخذ مواقعها فيه (كما في طورين) •وأقاموا المعابد الخاصة بهم في حصن دويلي وطورين ، وجعلوا الاخيرة صاحبة الرأي والهيمنة الدينية في المنطقة • وكانت المعابد الوثنية في الجبلين تابعة في ادارة شؤونها الى المركز الرئيسي في طورين • وفي العهد البيزنطي أقيمت البيع النصرانية والدارات الفخمة في أجمل المواقع وأحسنها هواء واطلالة • ومن أهم آثار الجبل : من الشمال خربة الحاج محمد وفيها آثار نصرانية ، وقد تكون كنيسة ؟ وحصن دويلي أو قلعة الحصن ، ثم قرية دويلي والتي فيها خراب بسيط وبقربها موقع يدعى قصر البنـات ؟ وكفر

---

١٧٠ ـ قرقر تقع جنوب جسر الشغر باسم تل قرقور في محافظة حماه الآن • تعمل فيه بعثة أثرية من الجامعات الامريكية • كان التل يهيمن على الجزء الشمالي من الغاب ، ومركز التقاء كل الطرق التجارية والعسكرية • اكتشفت فيه مخلفات من العصر البرونزي الوسيط والحديدي والهلنستي والاسلامي •

تعقاب الى الجنوب الغربي من دويلي بـ ٣ كم وبطراش شرقي كفر تعقاب وجنوب دويلي بـ ١ كم ، وهي خراب أصغر منه، فيه بعض الكتابات ؟ والبيوت الضخمة المتهدمة وبداخله مغارة تدعى بطراش وتكثر في هذا الخراب النواويس كما في طورين ٠ والى الشمال من قرية دويلي مغارة ضخمة تدعى مغارة أم بابين ؟ ونحو الجنوب في جبل المرصرص تقع مغارة الدبان التي تشاهد من خراب خليل الى الشرق منه بـ ٢ كم ، وهي مجموعة من المغارات القديمة ٠ وفي قمته تقع المشيرفة وبقربها مدافن نحت فيها رسوم رؤوس الثيران كما في فاسوق ٠ ثم نيحا التابعة مع المشيرفة لارمناز بينما خراب خليل لدركوش ٠ والى الجنوب من بطراش تقع خربة البرج ٠ وفي جنوب فاسوق قليعة ٠ وفي غرب الجبل تقع طورين ، وهي أكبر تجمع أثري في المنطقة ، يليه بالدرجة الثانية كفر تعقاب ٠ والى الجنوب من طورين تقع مطاقة (أم طاقة الآن)، وفيها صرح أثري معزول وأيضا خربة خليل وعمودية المأخوذ اسمها من عمودين جاثيين على الارض ويدعى الوادي الذي يقع فيه خراب خليل وعامر وسلطان وطورين بوادي الزيتون ٠ والى الشمال الشرقي من طورين يقع خراب سلطان ثم فاسوق ، وفي شرقيها خراب عامر ٠ وتحيط سفوح الجبلين بعض الخرائب الهامة والمدافن كـ كوارو في الشرق وتل عمار وعزمارين وبانصرة ومعراتا (أو معصرته) ومغارة الخوري وبيت سمعان (سابقا دير سمعان) في الشمال ٠ وفي السفح الشمالي من جبل دويلي تقع سلقين أكبر بلدة قديمة وتجمع سكني ، وفي الغرب دركوش (وهي غنية عن التعريف) ووادي العاصي وعين الزرقا وحمام الشيخ عيسى (والتي كانت تدعى في القرن السابع الميلادي عيون الحمام والمستوطنة من قبل الجراجمة أو المردة سابقا) من أجمل متنزهات المنطقة ٠ وفي الجنوب الشرقي التلال الاثرية الهامة في

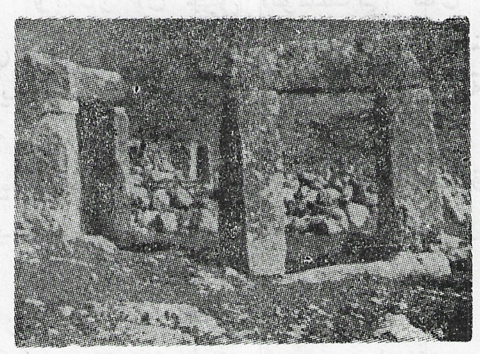
---

١٧١ ـ هو القسم الشرقي الجنوبي من جبل الوسطاني والمتصل بجبل دويلي ، تفصل بينهما السرج ٠

سهل الروج · ويبدو ان جبل الوسطاني كان قليل السكان في العهد العثماني،اذ لاتشير الوثائق التي بين ايدينا الا الى القليل من قراه · ويمكن القول انه بدأ يستوطن ثانية في مطلع هـذا القرن وخاصة بعد شق الطرق الى قراه الاثرية الهامة مؤخرا ، مثل خراب خليل وطورين وخراب سلطان وفاسوق والتي سنوالي الحديث عنها بما يتوفر لنا من وسائل البحث · وفي جبل الدويلي نلقي الاضواء لاول مرة على كفرتعقاب وحصن دويلي بالاضافة الى مدافن كوارو في سفح الجبل مع مدافن ملس القريبة منها · وكذلك مدينة سلقـين التي استحقت منا الاهتمام والدراسة ، لانها تقدم لنا نموذجا هاما عن احدى أقـدم البلـدان الحية في المنطقة ، والتي تعتبر أكبر تجمع اقتصادي فيها ، حتى أن أهلها فكروا في مطلع هذا القرن بشق قناة خاصة لجر زيت الزيتون الى حلب كما روت لنا الرحالة الانكلزية بيل سنة ١٩٠٥ !!

خراب خليـل

قرية أثرية قديمة ، تقع الى الشرق من دركوش بمسافة ١٢ كم وجنوب طورين بـ ٢ كم وعن ادلب ٢٣ كم · عدد سكانها عام ٤٥ /٤٠/ ن وعام ٨١ /٥٢/ ن ذكر فرومنت ـ ١٩٢٨ ـ « ان فيها نحوتا جنائزية نافرة على عمود مربع » ولم أجد مثـل هذا العمود حين زرتها ـ ٨٥ ـ وهذا يشير الى مدفن يعود الى القرن الثاني (الكلاسيكي) ، حيث كانت تسود الوثنية فيها ، فهي نحوت مصورة لاصحاب المدافن · وتقع المقبرة في الشمال الشرقي منها، اذ يوجد فيها عدة نواويس لها غطاء مؤلف من قطعـة صخريـة واحدة ، بأربعة رؤوس مسننة ـ أكرو تير ـ بالاضافة الى المدفن القبوي · وهناك ناووس آخر عليه شكـل قرص رسم بداخله صليب · وقد كانت هذه القرية احدى المراكز الرئيسية في انتاج الزيت ، اذ يوجد فيها عشرة معاصر ، وصهاريج مـاء عميقـة بقربها · وفي الشمال بقايا عمود وتـاج ، وبيتا قديمـا · وفي الجنوب بقايا أبنية بيوت تشكل حيا خاصا ، مساحتها متوسطة ،



٥٢ ـ خراب خليل ـ واجهة مدخل بيت ـ القرن الاول الميلادي

لها مدخلان متشابهان في الحجم ـ كما في الصورة ـ بجوانب حجرية ، وساكفة ثقيلة ، يستند السطح عليها ، ويبدو أنها صنعت بأداة حادة • ويعتبر هذا البيت من أقدم الاوابد ، والتي تسبق النموذج الكلاسيكي ، أي يرقى الى القرن الاول الميلادي • وله مثيل في بانقوسا في جبل باريشا وكذلك في شنان في جبل الزاوية • يعتبر خراب خليل من القرى التي تجمع بين العهدين الكلاسيكي الروماني والبيزنطي ، واحدى الضواحي الجنوبية لطورين ، كخراب مجليا احدى الضواحي الجنوبية للبارا !!

طُورين

من أهم وأكبر البلدان الاثرية في جبل الوسطاني كأنها بارا المنطقة[١٧٢] تقع في الجانب الغربي من الجبل بارتفاع /٤٥٠/ م عن سطح البحر ، وتبعد عن دركوش مسافة ١٤ كم • ويطل حيها الغربي على وادي العاصي ، نحو دركوش ، والذي أطلق الفرنجة على هذا الوادي (اسم Valtorentum = وادي تورنتوم[١٧٣] وأن

---

١٧٢ ـ عدل مؤخرا اسم الخراب الى «الحصن» وحبذا لو اعيد اسمه الحقيقي ، والمسجل في الوثائق التاريخية • ذكرها أحمد زكريا ـ ١٩٣٢ ـ باسم «تورين» وهي تبعد عن دركوش كخط نظر مسافة ٤ كم •

(173) B - V - P. 81 , D - T - P. 163 , , Cahen , SN - P. 160

الموقع يدعى lecasal de Valtorentum أي مكانا خاصا لاحدى العائلات الاقطاعية من النبلاء البرجوازيين الذين جاءوا من أوربة خلال الحروب الصليبية ، وهــذا يشير الى انها كانت عامرة حتى العصر الوسيط ، كما كانت كفر تعقاب • واستوطنت حديثا من بعض السكان ، أصلهم من عشيرة طي • وأما استيطانها القديم فقد تم منذ أوائل العهد الروماني ، كما كانت عاصمة المنطقة الادارية في هذا الجبل • ففي الكتابة اليونانية في حصن دويلي ذكرت باسم طورون[١٧٤] في السطر الرابع منها ، وهذا يشير الى أهميتها الادارية والدينيـــة ، اذ رمم المعبـد الوثني في حصن دويلي من قبل خمسة أعضاء (مشايخ) من مجلس بلدة طورون لم يزرها أحد من الرحالة ، لصعوبة الوصول اليها ، ولمرورهم في الطريق الرئيسي من أنطاكية ـ دركوش ـ جسـر الشغر الى أفاميا • غير ان الرحالة برشم ـ ١٨٩٥ ـ أشار اليها باسم «خربة طورين » حصن صليبي ، حسبما ذكره لي الاباء في دير القنية • وعلينا النظر بعين الاعتبار الى هــذه الارض المجهولة ، الممتدة أمامنا نحو ادلب وريحا • وفيما لو اكتشفت ، ستكون معلوماتنــا قيمة عن تاريخ الحروب الصليبية[١٧٥] • أصاب برشم في رأيه ، فحين زرتها ـ ١٩٨٤ ـ أصابتني الدهشة والوهلة ، بلدة أثرية لاتبعد عن ادلب سوى ٢٤ كم ، ولم نسمع عنها الا مؤخرا ، فيها كل هذا الغنى من الاوابد الاثرية ، دون شاخصة تشير اليها أو دراسة عنها • بالامكان القول مرت هذه البلدة تاريخيا بثلاثة عهود : العهد الروماني والعهد البيزنطي والعصر الوسيط • وفي الاخير أصبحت حصنا له ذكر في الحروب الصليبية[١٧٦] ،

---

١٧٤ ـ اسم طورون هكذا محول الى اللغة اليونانية ون الاسم السامي (ين) في العربية • وليتمان يعيد الاسم الحديث طورين الى ذلك كما في ترعية السورية والمشتقة من ترعان الآرامية راجع
Littrnann = 2 zitschrifwr Semitistik , 1 , 1922 P. 169 - 170 , 195

١٧٥ ـ B - V - P - 81 ولكن لي تحفظ حول قوله «حصن صليبي» فهذا لم يتأكد علميا بعد !

(176) D - T - P. 163 , VASN. 3 - P. 127

يسيطر على جميع المواقع الاخرى المجاورة له في جبل الوسطاني كـ خراب خليل ـ خراب سلطان ـ فاسوق ـ مطاقة ـ عمودية تنارية • وهو أحد الحصون التي أعتمد عليه الفرنجة كحصن دفاع خلفي لدركوش • ولم أتمكن من تحديد الحصن بشكل عام لكثافة الاشجار فوق صروح الابنية الخربة فوق بعضها ! فكل البلدة مغطاة باشجار الغار والسنديان والبطم (خسترك) ، ولم أتمكن من تصويرها من الاعلى وأما في العهد الروماني الوثني فكان الجبل الوسطاني وكذلك الدويلي ، من المواقع التي تركزت فيها العبادة الوثنية الى وقت متأخر ، ورغم تنصر بعض سكانها فانهم بنفوذ وضغوط الامبراطور يوليان الجاحد ، عادوا الى الوثنية ، وكما سيرد في بحثنا عن المعبد الوثني في حصن دويلي • وحين تصل اليها تجد مدفنا قبويا وثنيا ، لاسرة بكاملها ، يعود الى القرن الثاني الميلادي• وبقرب هذا المدفن نحتت صور العائلة على صخرة كبيرة ، واجهتها شرقية جنوبية ، وعددهم سبعة ، شوه رسم أحدهم ، واثنان منهم على شكل تمثال نصفي • في الزاوية العليا من اليسار نحت نافر آخر بحجم أصغر ولعله رسم للآلهة • وبقربه الى الشرق معصرة كبيرة ، ولعلها كانت ملكا لهذه الاسرة التي استثمرتها • وهناك مدافن قبوية ، نحتت رسوم أشخاصها



٥٣ ـ طورين ـ نحوت نافرة لاصحاب المدفن ـ القرن الثاني

بشكل نافر ـ رلييف ـ فوق الصخر • فالى الغرب قليلا قرب الطريق نجد مدفنا ثانيا نحتت فوقه رسوم اشخاصه الثلاث ، ومدفنا ثالثا الى الشمال الشرقي • وقبل وصولك الى موقع العمودين ، تجد مقبرة واسعة ، واقعة في الحي الشرقي ، وغنية بالمدافن القبوية ، نحتت فوقها صور أصحابها • وفوق أحدها ، نحتت صور ثلاثة أشخاص على صخرة واجهتها جنوبية ، تمثل الاب والام وولدا واحدا ، يبدو أنه أنثى ، نحتت كتمثال نصفي ، عنقها مائل كأنها ملتفة اليك • وهناك الى الشرق الجنوبي وراء الكنيسة الشرقية ، الى اليمين ، تجد نحتا لاربعة عشر شخصا فوق صخرة مدورة ـ كما في قاطورا جبل سمعان ـ ويمكن القول ان طورين تتميز عن البارا وغيرها ، بكثرة المدافن التي نحتت فوقها صور أصحابها ، كأنها تدمر محافظة ادلب[١٧٧] وفي هذا الحي الشرقي قرب المقبرة الى الشمال تجد عمودين وقعا أرضا بطول ٦ م وقطر ٩٠ سم وتاج كورنثي ، وقاعدة كبيرة • وفي أصله كان هذا المدفن خاصا لاحد أعيان البلدة كما في عمودي سرمدا وبنابل[١٧٨] ويعود هذا المدفن الى القرن الثاني الميلادي • وكثرة هذه المدافن الوثنية ، تؤكد بشكل قاطع على ازدهار طورين ـ وكذلك القرى الاخرى المجاورة ـ في العهد الروماني الوثني ، أي أنها ازدهرت منذ القرن الاول الميلادي ، بينما البارا والقرى المجاورة لها ، ازدهرت منذ القرن الرابع في العهد البيزنطي • وهذا يعود الى موقع طورين الهام بين حصن دويلي والقرى الاخرى ، ودركوش ، وقرب المنطقة من انطاكية ، وتأثيراتها المباشرة عليها ،ولقرب ميناء دركوش النهري منها • واعتقد انه كان هناك طريق غربي مباشر من طورين الى ميناء دركوش ، لشحن المنتجات الزراعية من جبلي دويلي والوسطاني مباشرة الى

---

١٧٧ ـ هناك الكثير من النحوت النافرة ـ رلييف ـ للموتى فوق المدافن ، كما في فركيا في جبل الزاوية وميعز جنوب كفر دريان وخربة شمباصر قرب حارم وغيرها • راجع فصل الفصول ـ المدافن ـ •

١٧٨ ـ سيرد الحديث عنها في الجزء الثالث •

دركوش ، ومنها الى انطاكية • وأما في العهد الروماني البيزنطي (٣٣٠ ـ ٦٣٧ م) فقد استمرت الحياة تدب فيها أكثر ، يشير الى ذلك الاوابد والدارات الكبيرة فيها، ومقابرها الكثيرة والمتميزة وهذا يشير الى أمرين ١ ـ غنى أهلها ورفاهيتهم ٢ ـ عدد سكانها الكبير[١٧٩] ان الثروة والرفاهية التي تمتعت بها هذه البلدة ، تعود الى وقوعها كحلقة وصل واتصال بين قرى الجبل ودركوش كما ذكرنا • وهناك موقع الى الغرب الشمالي منها يدعى « تل الدهب » فيه بقايا معصرة كبيرة ، ووجدت فيه بعض النقود النقود القديمة • ولعله كان محطة شحن البضائع الى دركوش ، واسمه يشير الى أهميته كموقع للاستثمار المالي الرابح ، ودفع الرسوم المقررة للشحن ! ان هذا الازدهار الاقتصادي دفع الكثير بالهجرة اليها ، حتى من جنوب أوربة اذ هناك في الشمال الشرقي من البلدة مدفن قبوي عليه كتابة يونانية قديمة مؤلفة من ثلاثة أسطر تضمنت[١٨٠] في سنة ٤١٣ من التاريخ الانطاكي الموافق ٣٦٤/٣٦٥ م واسم (تورس) موجود فيها ، وهو أحد سكان طورين يحمل اسم أحد ملوك اليريا القدامى ـ واليريا مقاطعة بين يوغسلافيا وألبانيا ـ وصاحب هذا المدفن أحد الجنود المتقاعدين الذين جاءوا من ايليريا ، والذين كانوا من حاملي الرماح المشهورين بالبسالة والاقدام ، ويدعون (كتيبة يوفيا) وهم الجنود الذين كانوا ينتقون بعد اجراء فحص عسكري تدريبي خاص ، وليكونوا الحرس الخاص المرافق للامبراطور ديوقليسيان (٢٤٥ ـ ٣١٣ م) والذي كان أحد كبار الاباطرة الرومان المتأخرين حكم بين ٢٤٨ ـ ٣٠٥ حيث أعاد تنظيم الامبراطورية اداريا واقتصاديا ، فأنشأ النظام الرباعي تسهيلا للدفاع عنها • واحتفظ لنفسه بأمور الشرق ، يساعده قيصر هو غاليريوس • وفي طورين في هذا المدفن عسكري يدعى يوفانس

---

١٧٩ ـ يبلغ عدد بيوتها حوالي /١٥٠/ بيتا • ويمكن القول ، يحدد عدد سكانها وبيوتها كاملا ، بعد اجراء عمليات التنقيب الاثري •

(180) IGLS - 2 - P. 356 - 57

= أحد اتباع وحراس يوفيس وهو الاسم الثاني للامبراطور ديوقليسيان[١٨١]. وهكذا نجد في طورين مركزا هاما أو مدرسة عسكرية عليا، لتدريب كتيبة الحرس الامبراطوري الخاص، حيث ينتقون ويرسلون الى روما فيما بعد. وهذا يؤكد بلاشك على أهمية طورين المتميزة في وأهميتها الادارية في الامبراطورية الرومانية، كمعقل تدريب الحرس الخاص. وهناك كتابة يونانية أخرى جنوب غرب الكنيسة الغربية، فوق المدخل، ضمن تجويف وهي مؤلفة من سبعة أسطر[١٨٢] مضمونها « في سنة ٤٤٣ من التاريخ الانطاكي في شهر دوستروس ـ الموافق شهر آذار ٣٩٥ م ـ عمل هذا المدفن لـ أكويلاس وأنطيوخوس أبناء دومنيوس ودومنيونوس». دفن في هذا المدفن مجموعة عائلية، وهم من الكتيبة العسكرية من حاملي الرماح للحرس الخاص الذي أنشأه الامبراطور ديوقليسيان في القرن الرابع. مع من في المدفن السابق، مدربو هذه الكتيبة الخاصة، ويدعون يوبناي أو يوفي في ذلك العهد. وفي جوانية في جبل باريشا يوجد اسم أنطيوخوس ودومنس، وفي كوكنايا يوجد اسم دومنس أيضا. ويجاور المدفن قبل السابق، مدفن آخر عليه كتابة مؤلفة من أربعة اسطر، مضمونها « في سنة ٤٤٤ من التاريخ الانطاكي في شهر برتيوس أتم صنعه أدمون ـ أدونيس» ويوافق ٣٩٦ م في شهر شباط. ونلاحظ ان هذين الاسمين من الاسماء السامية، فأسطورة أدونيس لها شهرتها في الادب الفنيقي السوري. ولعل أول ما يلفت نظر الزائر كثرة المدافن في طورين، وهي متجمعة في مكانين، الى الجنوب من الكنيسة الغربية، والى الشرق منها. ولكن المقبرة الجنوبية أكبر من الشرقية، فيها كما ذكرنا مدافن تعود الى العهد الروماني الوثني نحتت فوقها صور أصحابها، وأخرى تعود الى العهد البيزنطي،

---

(181) IGLS - 2 - P. 357

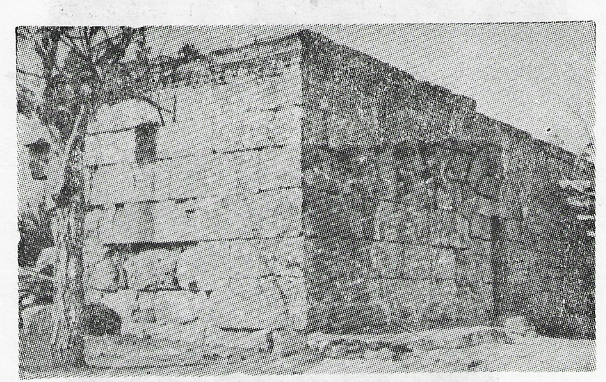
وكان هذا الامبراطور قد أنشأ معامل للاسلحة في أنطاكية (ودمشق والرها) لتكون قريبة من مراكز تدريب قواته.

(182) IGLS - 2 - P. 355 - 56

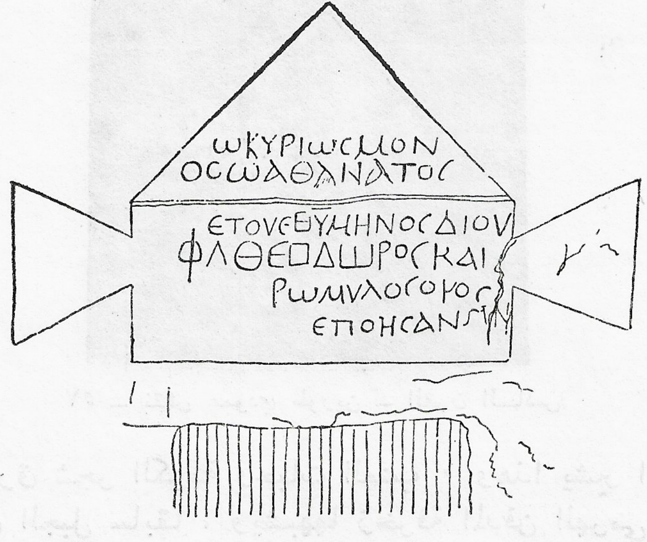
وهي الاكثر ، كنواويس كما في خراب خليل وسلطان وفاسوق وكفر تعقاب ، جميعها نحتت في الصخر ، بداخلها كوى ثلاث لوضع الاجداث · ولها غطاء جميل من قطعة حجر واحدة بطول ٣٥٠ وعرض ١٥٠ سم ، محدب في وسطه بشكل مستقيم ، ذو أربعة رؤوس مسننة · وفي نهاية الطريق نحو الخراب ، يواجهك بناء مستطيل الشكل مدخله الشرقي واسع وذو قنطرة ، يحيط به في أعلاه شريط افريزي — كورنيش — جميل ، مزخرف بنحوت نافرة نحو الاسفل · وهو مدفن له ما يشبهه بالشكل في بلدة سرجلا شرقي البارا · ويعود تاريخه الى القرن السادس الميلادي وان كثرة هذه المدافن العائدة الى العهد البيزنطي ، يشير الى استمرارية ازدهارها وتوسعها في هذا العهد ، كيف لا وقد بني في هذا العهد كنيستان ودير وعدة دارات نقش على واجهتها قرص بداخله صليب وحرفا الفا وأوميغا !! وتعتبر طورين من أوائل البلدان التي آمنت بالديانة الجديدة في المنطقة ، كما تشير الى ذلك الكتابة الموجودة الى الشرق من الكنيسة الغربية في مدفن محفور في الصخر ، وفوق المدخل نقر شكل مستطيل واسع ، على جانبيه زاوية مثلثة ، وفي أعلاه شكل مثلث كواجهة عليا نقر فيها سطران وفي المستطيل أربعة أسطر تضمنت ١ — مفهوم أوميغا = كيريوس وتعني الرب واحد ٢ — المجد لك يا الله الواحد الابدي في الاعالي ٣ — سنة ٤٠٩ الانطاكي شهر دسيوس = ٣٦٠ م شهر حزيران ٤ — فلافيوس — ذذروس وروميلوس الابن الذي انجزه · ويوجد مثل هذه الاسماء في مناطق أخرى : فلافيوس في جوانية في جبل باريشا ، وروميلوس في فسيفساء فركيا ، وذذوروس في دركوش باسم زينو ذوروس ·· وأما الكتابة فلها دلالتها الهامة ، فهي أولى الكتابات الجنائزية النصرانية المعروفة في الجبل بعد كوارو ٣٥٩ و ٣٦١ م · وأما الكنيسة الغربية فيطلق الاهالي عليها قصر البنات[١٨٣] تقع في وسط البلدة ، وهي من النموذج

١٨٣ — هناك عدة مواقع تدعى قصر البنات · الى الغرب من باب الهوا والى الغرب من درسيتا في جبل باريشا، (بانقوسا) وجنوب حاس وقرب دانا المعرة في جبل الزاوية ·

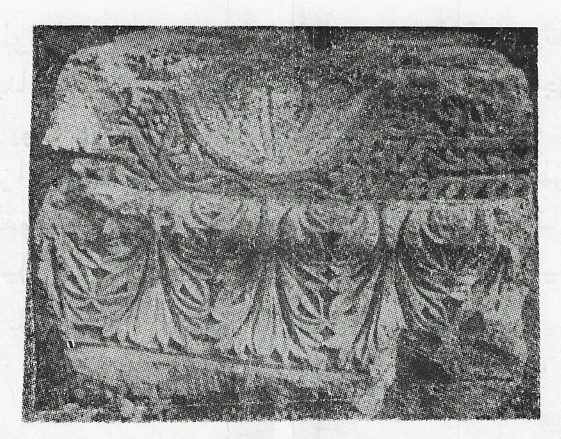
البازليكي. طولها ٣٣ م وعرضها ١٩ م ، مؤلفة من ثلاثة أسواق. لم يبق من بنائها غير الواجهة الشرقية وقسم من الواجهة الشمالية، وفيها مارتيريون (بيت الشهداء) ودياكونيكن (غرفة الشمامسة). نشاهد في الواجهة الشرقية أفاريز جميلة، قسمها العلوي جملوني، ونوافذها المقوسة محاطة بثلاثة أفاريز . تشاهد بقايا مدخلها . الغربي الجميل وأعمدتها الضخمة وتيجانها الكورنثية . ووجدت بداخلها حجرا غنيا بالزخارف الجميلة كان يتوج قوس النصر في الكنيسة ، نقش عليه في القسم السفلي ورق الاكانت وفي



٥٤ ـ طورين مدفن بيزنطي ـ القرن السادس



٥٥ ـ طورين ـ الكتابة النصرانية الاولى ـ ٣٦٠ م



٥٦ ـ طورين ـ نقش جميل في الكنيسة الغربية ـ القرن السادس



٥٧ ـ نقش عمودي طورين ـ القرن السادس

العلوي ورق شجر الكرمة وحبات العنب • وهذا يشير الى وجود الكرمة في الجبل سابقا ، ويشبهها زخرفة المدفن الهرمي الكبير

في البارا ، والعائدة الى القرن السادس الميلادي ويوجد في هذه الكنيسة كتابة يونانية قديمة باسم (ايوسيب) ولعله بذاته عمودي طورين • وكذلك الكنيسة الشرقية من النموذج البازليكي طولها ٣٧ م وعرضها ١٨ م ، وترقى الى القرن الخامس • ويمكن القول ان طورين بلغت أوج ازدهارها في القرنين الخامس والسادس الميلادي • وأما الدير فيقع شرق البلدة ، على مرتفع اطلالته جميلة نحو الجهة الشمالية • وأمامه وجدت بقايا العمودين الضخمين كعمودي سرمدا • له سور وساكفة عليها اشارة الصليب وما زالت بقايا بناء الدير قائمة • وفي داخله ثلاثة آبار وبعض القبور التي كانت لحدا خاصا برؤساء الكهنة • وباب الدير يقع في الجنوب ، ويطلقون عليه اسم « القصر الشرقي » ويعود الى القرن الخامس • وكان في طورين عمودي كعمودي جبل سمعان « القديس سمعان العمودي[١٨٤] » واكتشفته خلال زيارتي الاخيرة منقوشا على قاعدة مدرجة في صورة لها شبيه في خربة باموقا في جبل باريشا على الجدار الجنوبي الشرقي للكنيسة الشمالية • ووراء العمود شعاع يرمز للقداسة ، وعمودي طورين يشبه مارسمعان العمودي الصغير في أنطاكية الذي عاش في القرن السادس ، وايضا يشبه النحت المنقوش في كنيسة قلب لوزة ، لصورة العمودي على الشبابيك الغربية من البرجين • وكذلك في خربة شيخ بركة شرقي معرة النعمان ، يوجد نقش لعمودي في أحد بيوت البدو ، وهو من أجمل النقوش • وكلها تماثل عمودي طورين • ويمكن القول انه عاش في القرن السادس •

وأما بيوتها وداراتها فهي كثيرة ، ولا يمكن الحديث عنها لتراكمها فوق بعضها ، نتيجة الدمار الذي أصابها من الزلازل التي وقعت في هذه المنطقة أكثر من غيرها ، ولوجود الشجر الكثيف بينها ، وتمتاز بسعتها ونقوشها البارزة • وقرب الكنيسة

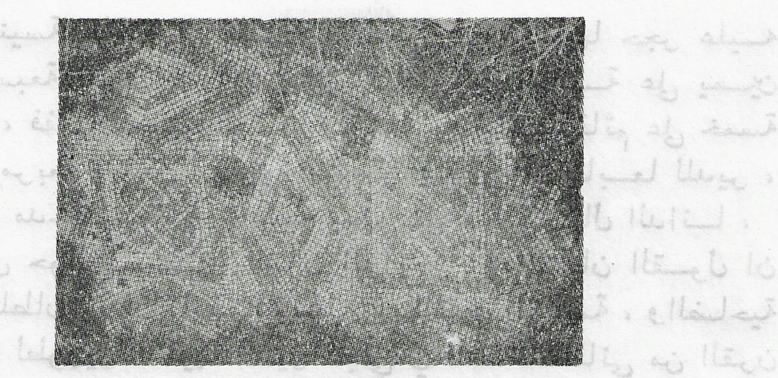
---

١٨٤ ـ سيرد الحديث عنه في الجزء الثالث • وكذلك عن العموديين في فصل الفصول ـ الواقع الديني • ولعله (ايوسيب) الذي نقر اسمه في الكنيسة !

الغربية ، بناء مجاور بجنوبها ، فيه أربعة أجران ضخمة ارتفاعها ٣ م وقطرها ١ ½ ، أسطوانية الشكل ، نحتت كل واحدة منها من صخرة واحدة كالبرميل ، وهي فريدة من نوعها ، صنعت لحفظ الزيت أو النبيذ وهناك معصرة أخرى وصهريج ضخم تحت احدى الدارات • وأخيرا ونحن نودع طورين ، ننوه الى ان اسمها مازال محفوظا في عدة مواقع ، وهذا عائد الى تأثيراتها الحضارية وعلاقاتها التجارية ، كما في اسم جبال طوروس (توروس) الواقعة الى الشمال منها في تركيا ، وفي مدينة تورينو TOURINO = تورين في شمال ايطاليا • السّتم معي الان : أنها تستحق الدراسة والاهتمام الزائد !!

خراب سلطان

قرية أثرية هامة تلي خراب فاسوق مساحة وأكبر من خراب خليل • تقع في الشمال الشرقي من طورين بـ ٣ كم والى الشرق الشمالي من دركوش بـ ١٧ كم وعن ادلب بـ ٣٠ كم • تعتبر من اثار جبل الوسطاني ، وهي غنية بأوابدها الاثرية الهامة من أهمها كنائسها الثلاثة الغربية ذات الصحن الواحد ، والوسطى على يسار الطريق وهي من النوع البازليكي بثلاثة أروقة، مازالت حنيتها قائمة وغرفة المارتيريون (بيت الشهداء) • فيها عواميد متحطمة وتيجان مزخرفة ونقوش الغار وصلبان وبيما (منبر) وفسيفساء بثلاث طبقات ، والتي نلقي الضوء عليها لاول مرة • والصورة المنشورة للطبقة الثالثة منها ، وهي فسيفساء زخرفتها هندسية ، تتشكل من معينات ومربعات ، وضمن المربعات هناك أيضا زخرف ، وتتدرج الوانها من الابيض الى البني • ورسم هذه الفسيفساء له ما يشبهه في كنائس ايطاليا ، حيث كانوا يستعملون مثل هذا الرسم • ولم أجد فيها رسما لصليب لان الامبراطور البيزنطي ثيودوز الثاني (٤٠٨ ـ ٤٥٠ م) منع رسم الصلبان على أرضية الكنائس ، أي ا نالكنائس ظل يرسم فيها الصليب الى أواخر القرن الرابع ، وبالامكان القول ان



٥٨ ـ فسيفساء كنيسة خراب سلطان ـ القرن السادس



٥٩ ـ خراب سلطان : رواق فندق



٦٠ ـ خراب سلطان : ناووس

هذه الكنيسة عائدة الى القرن الخامس · وبجانبها حجر عليه كتابة بسبعة أسطر ؟ وأما الكنيسة الشرقية الثالثة على يمين الطريق ، ففيها صحن واحد ورواق ـ بورتيك ـ قائم على خمسة عواميد مربعة الشكل ، وهو قسم من فندق كان تابعا للدير ، واجهات مدخله شمالية ، شبيه بدير تل عدا شمال الدانا ، والمؤسس حوالي منتصف القرن الرابع · وبالامكان القول ان خراب سلطان ، كان الموقع الوسط بين القرى القديمة ، والضاحية الشمالية لطورين · فيها الدير المبني في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي ، وليكون فندقه محطة استراحة للمسافرين من الشمال الى الجنوب وكذلك هناك بيوت بطابقين نقش فوق مدخلها أقراص بداخلها صليب ، كالبيت المجاور للكنيسة الوسطى زين المدخل بقرص فيه رسم الصليب وزخرفة وريقات ثلاث · وفي داخل البيت جرن حجري كبير ، كان يستخدم للزيت أو النبيذ كما في طورين ، وبقربه تاج أيوني · وفي وسط القرية معصرة فيها فتحة لرمي العنب أو الزيتون ، كما في معصرتي رويحا والبارا[١٨٥] وفي شمالها الغربي تقع المقبرة ـ نيكروبول ـ وفيها الكثير من المدافن التي تدعى بالناغوس ، وهي محفورة بالصخر ومغطاة بغطاء حجري ذي أربعة رؤوس مسننة (أكروتير) كما في الصورة ، وكما في طورين وخراب خليل وسرجلا وغيرها ، وفيها كوى ثلاث لوضع الاجداث ، ويقع بينها بئر ضخم ، ما زال يستخدم حتى الان ، ولم أجد في هذه النواويس اشارة الى صليب أو نقش بارز ، وهذا يشير الى انها تعود الى القرن الثاني والثالث الميلادي ؟ ·

---

١٨٥ ـ ولكنها مستخدمة لايواء الدواب كما في معظم خرائب الجبل ، ونهيب حمايتها وتعيين مراقبين لها ، مع السعي لدراستها من قبل البعثات الاثرية

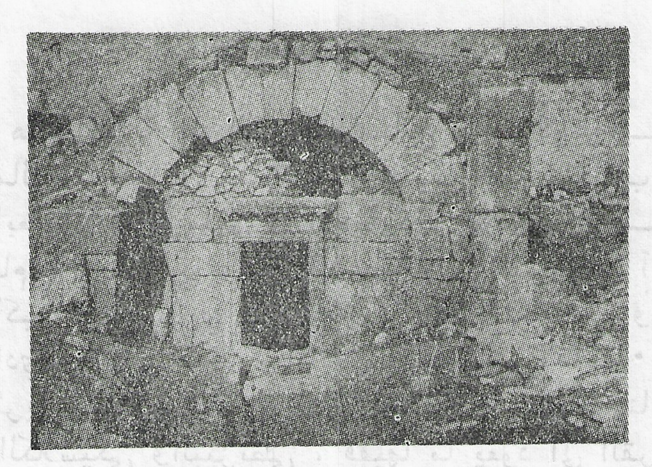
فاسوق

تقع هذه الخربة الى الشرق الشمالي من دركوش بـ ٢٠ كم والى الشمال من طورين بـ ٥ كم وجنوب كفر تعقاب • وهي مزرعة تابعة الى قرية ملس في ناحية كفر تخاريم • بلغ عدد سكانها عام ٤٥/٢٠/ن وعام ٨٦/٨١/ن وتعتبر من آثار جبل دويلي كأكبر تجمع أثري بعد طورين وكفر تعقاب ، واقعة بين حدى الوادي ومازال الكثير من الخراب محفوظا وقائما• وهي لم تدرس أثريا بعد كغيرها من قرى الجبل • نماذج بنائها من العهدين الكلاسيكي والبيزنطي ، ففيها ما يعود الى القرن الاول الميلادي • ومن الاثار الوثنية تلك المدافن الواقعة في الغرب الجنوبي، حيث يوجد تابوت حجري ضخم ، على جانبيه وواجهته نحت نافر (رلييف) عليه زخرف نباتي منتظم ـ ورق الغار

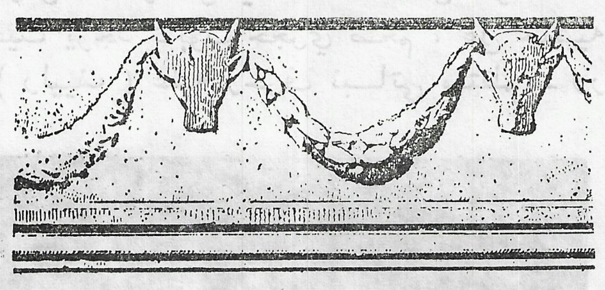


٦١ ـ تابوت حجري وثني ـ القرن الثاني

المعقود ـ ورسم شخص • ويعود الى القرن الثاني الميلادي ، وهو فريد من نوعه في المحافظة • وبالقرب منه مدفن آخر، واجهته الجنوبية المشكلة بجدار قائم في أعلاه افريزان بسيطان بينهما قناة واسعة ، الى اليمين قنطرة في وسط فتحة المدفن ، والى اليسار ناووس بغطاء حجري ذو أربعة رؤوس مسننة (أكروتير) كما

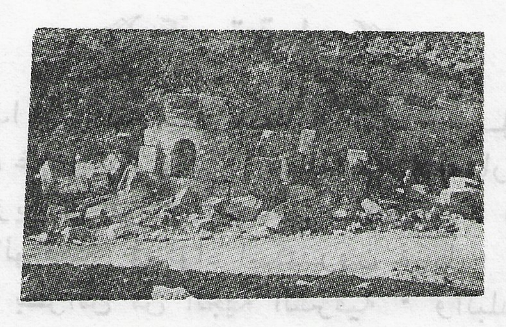


٦٢ ـ فاسوق : مدفن وثني ـ القرن الثاني



٦٣ ـ فاسوق : رسوم المدفن الوثني

في طورين وخراب سلطان وغيرها ٠ ولم أجد فيها ما يشير الى أنها نصرانية ، بل هي مدافن وثنية ٠ ولكن أهم مدفن وثني فيها ، يقع في الجنوب الغربي ، ويلفت نظرك من بعيد وكأنه قبو ٠ وهو محفور في الصخر ، باستثناء واجهته الكبيرة المقنطرة ، وبابه الكبير تقوم فوقه عتبة جميلة ، فهو نصف محفور ، ونصف مبني ، أمامه باحة خاصة به ٠ وتجد داخل المدفن نقوشا ورسوما لرؤوس الثيران ، والتي كانوا يذبحونها للآلهة كشيء مقدس (ولهذه الرسوم شبيه في قنية والمشيرفة في منطقة الجسر وفي بشندلايا في جبل الاعلى) ـ حيث رسمت بشكل نحت نافر ، تتصل قرونها مع بعضها بشريط من ورق الغار المعقود فوق الحفر الخاصة بالموتى ، والتي هي محفورة على اليمين والشمال وفي



٦٤ ـ فاسوق : الكنيسة الشمالية ـ القرن السادس

الصدر ومقياس هذا المدفن المشكل كحجرة مقبرية ٤×٢½٣ م . ويعتبر هذا المدفن فريدا في المحافظة ، وأعتقد أنه مدفن خاص بالكهنة الذين كرسوا أنفسهم للآلهة ، ويعود الى النصف الاول من القرن الثاني . ومن آثار العهد البيزنطي كنيستان : الاولى تقع بجانب الطريق المتجه الى كفر تعقاب ، وهي من النموذج البازليكي القائم على ركائز كبيرة الحجم تحطم معظمها ولم يبق فيها غير الحنية ، تتخللها ثلاث نوافذ من الشرق ، فيها عواميد وتيجان أيونية ونقوش كورنثية جميلة جدا . وفي هذه الكنيسة فسيفساء لم يكشف النقاب عنها بعد وتحتها صهريج كبير ، وتعود الى القرن السادس الميلادي . وأما الكنيسة الاخرى فالى الغرب منها فيها بيما . ووجدت تحت احدى الدارات الجميلة كهفا ضخما يقع قرب الكنيسة الشرقية وتاجا يعودللعصر الوسيط . جمعت هذه القرية الاثرية بين الاثار العائدة الى القرنين الاول والثاني ـ كلاسيكي ـ وبين آثار القرن السادس ،مما يؤكد انها كانت مزدهرة خلال العهدين معا . ان فاسوق التي نلقي النظر عليها لاول مرة تحتاج الى دراسة أعمق وأشمل ، ونحن في عجالة من أمرنا ، وهذه المهمة ندعها للاثريين المختصين ، داعين الى حمايتها مع غيرها من آثار الجبل . وحسبي أني أول من يلقي الاضواء على آثار جبلي الوسطاني ودويلي !

﴿ كفر تعقاب ﴾

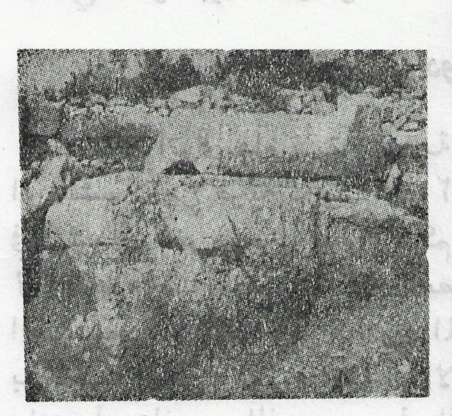
لم يكن هذا الخراب شيئا بسيطا في أيامه ، بل كان بلدة واسعة ، تقع في غرب جبل دويلي ، مطلة على تل عمار الاثري وعين تينة ، وعز مارين في الوادي الشمالي ـ الغربي ، وعلى المهزومة وجبل القصير الواقعتين في لواء اسكندرون غربا • كما تطل على القرية الاثرية بطراش من الجهة الشرقية • والبلدة الآن غير مسكونة وهي تابعة لناحية كفر تخاريم ، وقد تهدمت معظم معالمها الاثرية ، وتحتاج الى بعثة أثرية للتنقيب فيها ، والكشف عن خباياها • وقد كانت من البلدان الهامة في المنطقة ، اذ ظلت الحياة سائدة فيها حتى القرون الوسطى ، كما تشير الى ذلك الحوليات العربية • ذكرها البكري[١٨٦] في معجمه وكذلك الحميري الاندلسي في تفسيره معنى كفربقوله « كفور الشام » أي قراه وفي الحديث « يخرجكم الروم من الشام كَفْرا كَفْرا » مثل كفر مروان وكفر توثا وكفر طاب وكفر تعقاب وغيرها • وانما هي قرى تنسب الى رجال» وكذلك ذكرها الزبيدي في تاج العروس بـ « كفر عاقب • وانما هي قرى تنسب الى رجال» • ولكن هؤلاء لم يحددوا موقعها ، حتى زرت المنطقة وعرفت أنها هي بالذات التي أشار اليها جغرافيو الادلس ، قبل غيرهم من جغرافيي المشرق، غير أن ياقوت ذكر العُقاب بدون كفر قائلا « العقاب بالضم ، وآخره باء موحدة ، بلفظ الطائر الجارح ، والعقاب العلم الضخم والعقاب : الصخرة العظيمة في عرض الجبل • نجد العقاب : موضع يسمى بالعُقاب راية خالد بن الوليد ، عن الخوارزمي وتعريف ياقوت الاخير نأخذ به « نجد العقاب » ، لان هذه البلدة تقع على مرتفع متميز عن غيره ، وسميت بذلك نسبة الى خالد بن الوليد الذي شارك مع ابي عبيدة بن الجراح في فتح المنطقة عام

---

١٨٦ ـ البكري الاندلس أبي عبدالله : معجم ما أستعجم ـ القاهرة ـ ١٩٤٥ ـ ج ٤ ص ١١٣١ ولم يحدد موضعه • والحميري : الروض المعطار • بيروت ١٩٧٥ ص ٤٩٩ •



٦٥ ـ كفر تعقاب : واجهة بيت



٦٦ ـ كفر تعقاب : بقايا زقاق

٦٧ ـ كفر تعقاب : ناووس

١٧ هـ / ٦٣٧ م • هذا والملاحظ في هذه البلدة كثرة البيوت والدارات الدارسة معظم معالمها، بحيث تراكمت أحجارها فوق بعضها ، نتيجة الحروب والكوارث وخاصة الزلازل • وقد وجد في بعض بيوتها أجرانا حجرية ضخمة ، استخدمت لحفظ الزيت والنبيذ ، كما نلاحظ كثرة النواويس ذات الغطاء الحجري المؤلف من قطعة واحدة بأربعة رؤوس مسننة كما هو في الشكل ، وكذلك المدافن القبوية ، التي تشاهد على جانب الطريق نحو عز مارين ،

اضافة الى مقبرة اخرى في الشمال الشرقي ، وهي أيضا ذات مدافن قبوية • وفي البلدة أيضا عدة معاصر كبيرة وصغيرة ، ومغارتان دون زخارف أو كتابات • ويبدو أنها كانت بلدة واسعة بالمقارنة مع القرى المجاورة ، فأزقتها كأزقة مجليا ، احدى الضواحي الجنوبية للبارا ، ولكنها أطول منها ، تتجه من الجنوب الى الشمال والصورة المنشورة لزقاق يقع على يمين الطريق العام ، وهو يتجه من الحي الغربي الى المدافن القبوية في الجنوب • وقد ذكر لي ان فيها كتابات ونقوش جديرة بالاهتمام والمتابعة • ولا بد من زيارة أخرى لها ، للتأكد من وجود بعض الكتابات والنقوش فيها أو هي داثرة بين الدواثر(١٨٧) !!

حصن دويلي

موقع أثري هام ، يقع في قمة جبل دويلي على ارتفاع ٨٤٧ م • الى الشمال من قرية دويلي بـ ٢ كم والتابعة لناحية كفر تخاريم في الشمال الغربي منها بـ ٢٠ كم في منطقة حارم • سميت بالحصن لانهافعلاكانت حصنا(١٨٨) في العصور الوسطى ولها ذكر في الحروب الصليبية • كانت من الحصون المنيعة ، لسورها المحصن ، فدعيت بالحصن ، ولكن سورها متهدم الان سيطر على سهل الروج وخاصة وادي أرمناز ، والذي دعي في العصور الوسطى روج أرمناز ، وبلغت سيطرته حتى وادي العاصي وسهل العمق(١٨٩) بني هذا الحصن على اطلال أثرية قديمة ، وعلى بعد خمسة عشر مترا شمال

---

١٨٧ ـ يمكن زيارة الخراب من الجنوب مرورا بخرائب الجبل الوسطاني بمسافة ١٨ كم عن دركوش ومن ادلب عن طريق مفرق الغفر الى الجبل • ومن الشمال من دركوش ع/ط بلاط بمسافة ١٤ كم وكذلك ع/ط سلقين ـ دركوش • وقد تمكنا من الحصول على كتابة يونانية لم تترجم بعد !

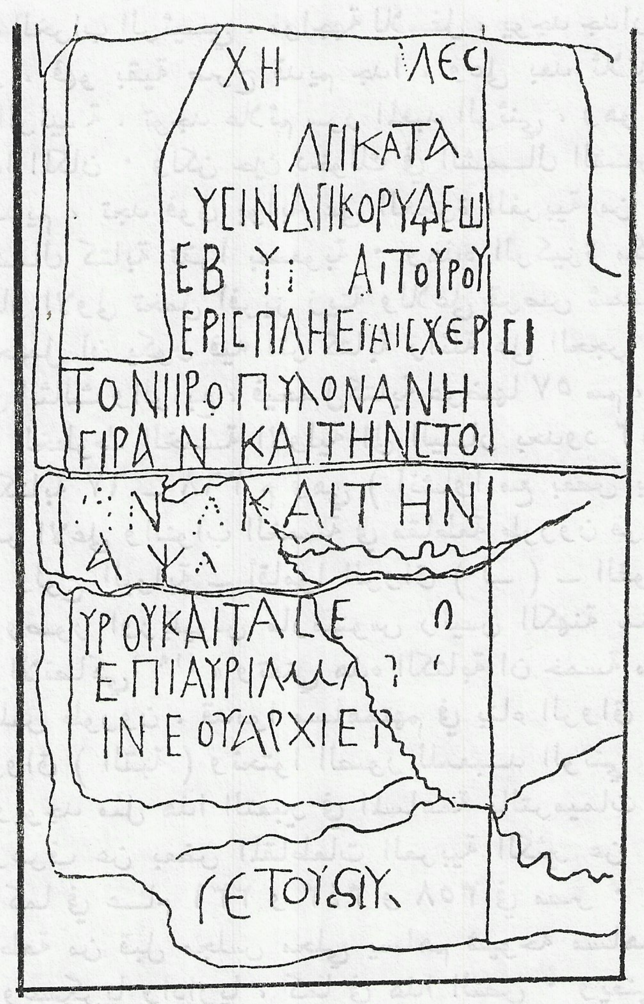
١٨٨ ـ يدعوها الاهالي قلعة الحصن وتدعى اداريا مزرعة رأس الحصن •

(189) Froment. Carte touris et arch du caza Harim N 12 SYRIA - 1930 P. - 239 P. B - VP 81

شمال غرب الخراب الرئيسي ، مواجهة للاسفل ، يوجد جدار ضخم ، وكما يبدو ، فهو بقية صرح قديم جدا ، وعلى بعد ثلاثين مترا من الآبدة الرئيسة ، توجد علائم سور المعبد الوثني ، وهو الاصل الاثري لهذا المكان . ولكن حين دخولك في الشمال الشرقي من الحصن القديم ، تجد فوق بوابة على الحجرة الغربية من الباب المواجه للشمال كتابة تقرأ بصعوبة . وهذه الركيزة مكونة من أربعة أحجار الاولى تحمل أفريز زينة وللاعلى قرص شمس قطره ٢٢ من المحتمل أن يكون فيه أثر كتابة زائلة على الحجر الثاني وأما الحجر الثالث والرابع ، فيحمل كتابة عرضها ٥٧ سم ، ويوجد نواقص في الخطوط الخمسة الاولية الى اليسار بحدود ١٢ سم . وتاريخ الكتابة ٦٧ ـ ٣٦٨ م وهي (أنشأوا مع بعض بين الاب زيوس الآمر الاعلى والنواب الخمسة في مقاطعة طورون قرب نهاية الجبل قبل ولوج البوابة ـ أقاموا الرواق (لـ) ـ القوسة قبل المدخل ـ وصور اوريليوس مارمينوس رئيس الكهنة سنة ٤١٦ من العصر الانطاكي[١٩٠] » وتعني هذه الكتابة ان خمسة من نواب أعضاء مجلس طورون ، قدموا مساهمتهم في بناء الرواق والمدخل وقوس الرواق (القبة) ونحتوا الصور للمعبد الوثني في حصن دويلي ، ويوجد مثل هذا التعبير في المساهمة بالترميمات أيضا في تدمر . وعرف عن بعض المقاطعات العربية الكثير عن مجالسهم الشخصية كما في عام ٣٣١ و ٣٤٣ و ٣٥٨ في مصر . اذ كانت تدار المقاطعة من قبل مجلس محلي يساهم شيوخه مساهمة فعالة أقتصاديا وعسكريا واداريا ، كما في هذا النص . ويعني القسم الاول أنهم ضحوا أو نذروا لرب أسلافهم زيوس كبير الآلهة اليونانية ـ ويدعى أيضا أبو لون ـ ترميم بناء هذا المعبد ، وقد عرف عن السوريين قديما ، اهداءهم نذورهم لآلهة أسلافهم ، ليس افراديا بل كمجموعات . كانت عبادة زيوس منتشرة في المنطقة ، وهو الاله الحامي لسلوقيادي بيريا (السويدية قرب انطاكية)

---

(190) IGLS - 2 - P - 352



٦٨ ـ كتابة المعبد الوثني في حصن دويلي ٦٧ ـ ٣٦٨ م

باسم زيوس كورفيوس، الذي أقيم معبده فوق (كورفايون أوروس) والذي زاره الاباطرة وخاصة يوليان ، فقدم له ذبيحة خاصة يوم تنصيبه قنصلا قائلا: انه يترك الهه هنا وقلبه ملآن أملا وسيظل له مفضلا[١٩١] كما لام يوليان شيوخ مجلس أنطاكية، لعدم اهتمامهم

---

١٩١ ـ من كتاباته التي تحاول التوفيق بين وثنيته والنصرانية « ان العهد القديم يقر التضحية الحيوانية كما تقرها وتتطلبها الوثنية » !

بمعابد هذا الاله ، اله أسلافهم أبولون ، وأوصى المجالس المحلية في المدن ، الذين ارغموا على اتباع المذهب المحلي ـ ومنهم أبناء طورون (طورين) ـ على العناية بالمذهب الوثني الذي دعا اليه ثانية فمن هو الامبراطور يوليان هذا ؟ انه فلافيوس كلوديوس يوليانس Julianus الجاحد (٣٣١ ـ ٣٦٣) المولود في القسطنطينية ، ابن اخت قسطنطين الاول . مال الى العلوم والاداب القديمة، فتنكر للنصرانية وفارقها ، فلقب بالجاحد ، رغم ظهور سمات عليه تدل على انه سيكون قديسا ولكنه كان يضمر غير ما يظهر ، حتى تولى العرش سنة ٣٣١ ، فأعلن العودة الى الوثنية . شبهوه بتراجان في حسن قيادته العسكرية ،وبماركس اوريليوس في الجمع بين الملكية والفلسفة . وأعجب الناس جميعا بعدالة أحكامه ، فخفض الضرائب عن الفقراء ، ورفض التيجان الذهبية التي كانت التقاليد تقضي بأن تقدمها كل ولاية للامبراطور الجديد[١٩٢] ونتيجة اهتمامه بالفلسفة أقر بأصلاح الهياكل الوثنية، وفتحها ، ورد ما صودر من أملاكها ، واعادة ما كان لها من موارد ، ونظم كنيسة وثنية ، وضع نفسه على رأسها ، وانشأ في كل مدينة مدارس تلقى فيها المحاضرات في الدين الوثني . وأجاز هدم الكنائس المسيحية المقامة على الاراضي التي اغتصبت ظلما وعدوانا من المزارات والاضرحة الوثنية جاء الى انطاكية خريف عام ٣٦٢ م وعمل على استيراد القمح من البلدان السورية[١٩٣] ورد على أبناء أنطاكية سخريتهم منه بنشرة أصدرها معنفا وقاحتهم ، وطيشهم ، واسرافهم وفساد اخلاقهم ، واستخفافهم ، بآلهة اليونان . وأمر بمنع اللهو في حديقة دفني المشهورة قرب انطاكية وان تعود مزارا مقدسا . ولكن النيران تلتهمها ، فيأمر باغلاق كنيسة أنطاكية ،

---

١٩٢ ـ ديورانت ـ ول : قصة الحضارة جـ ١٢ ص ٣٤ .

١٩٣ ـ ذكرت في بحث البارك عن استيراد عنبها وخمرها الى روما من قبل الامبراطور ايلا غابال وكذلك مدافن السوريين التجار في ايطاليا واوربا لاتحصى ، وهذا يؤكد على ان سورية كانت تزود روما وامبراطوريتها بالحبوب . حول هذا الموضوع انظر فصل الفصول الواقع الاقتصادي

ومصادرة أملاكها، متهما النصارى بفعل هذا الحريق(١٩٤) وأضاف حمزة الاصفهاني : وغزا العراق في ملك شابور بن أردشير ، فقتل بالعراق ، وكان قد نزل أنطاكية ووزله ثامسطيوس شارح كتب أرسطو(١٩٥) ونعود الى معبد حصن دويلي ، والـذي كان مزارا لجميع أبناء المنطقة المجاورة ، لان المعابـد كانت تشيد في قمم الجبال ، كما في جبل سرير جنوب تل عقبرين ومعبد باقرحا في جبل باريشا ويشرف على هذا المعبد كهنة خاصة به، وكان يدعى رئيسهم أوريليوس من مريامين(١٩٦) أو مارمينوس وهو كبير الكهنة ٠ وان نواب مجلس طورين كانوا ملزمين بجمع نفقات الطقوس من أبناء المنطقة(١٩٧) ٠ وكما ذكرنا فان يوليان توفي عام ٣٦٣ م وتاريخ اعادة ترميم المعبد عام ٣٦٧ أي بعد وفاته بأربع سنوات ، حيث التزم بالتجديد المذهبي بعده مكسمين دازا وان أبناء طورون التزموا بهذا الوفاء ، فساهم مشايخها بترميم المعبد بعده ٠ والمثير للدهشة ان بعض سكان طورين كانوا ـ والارجـح ظلوا ـ على نصرانيتهم خلال حكم يوليان ، اذ هناك مدفن نصراني يعود لعام ٣٦٠ م كما ذكرنا ٠ وكذلك في كوارو في سفح الجبل جنوب معبد حصن دويلي ، يوجد مدفنان نصرانيان مؤرخان في عـام ٣٥٩ و ٣٦١ ٠ ويبدو ان محاولات يوليان لارتداد ابناء المنطقة عن نصرانيتهم وعودتهم الى الوثنية قد أخفقت ، حتى أثناء حكمه ٠ وهذا ما دفعه الى توبيخ مجلس مشايخ انطاكية والمدن الاخرى ومنها طورين ويعتبـر معبـد (زيوس كوريفايوس) في حصن دويلي آخر المعابد الوثنية في المحافظة ، وكتابته ٣٦٧ ـ ٣٦٨ م

---

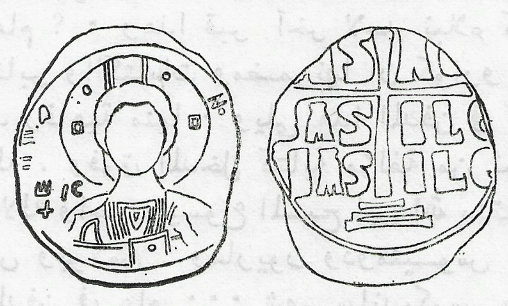
١٩٤ ـ ديورانت ـ ول : قصة الحضارة ج ١٢ ص ٤٢ و ٤٣ ٠

١٩٥ ـ أمين ـ عثمان : نصوص فلسفية ـ القاهرة ١٩٧٦ ص ١٦٨ ٠

١٩٦ ـ هناك قرية تدعى مريمين تابعة لدركوش الى الجنوب بـ ١٠ كم ، وجنوب حصن دويلي ولعل أصله من هذه القرية ٠ وفي شمال مريمين مزرعـة الرسم ، وجدوا فيها لقى أثرية هامة وقطع نقود ذهبية ولعلها كـانت مركز جباية هذا المعبد ؟!

(197) IGLS - 2 - 354

آخر الكتابات الوثنية أيضا . هذا وقد حصلت على قطعة نقود ، وجدت في الحصن، نقش على وجهها الاول صورة السيد المسيح، وعلى الوجه الثاني كتب باليونانية يسوع المسيح ملك الملوك .



٦٩ ـ نقد بيزنطي وجد في حصن دويلي عليه رسم السيد المسيح واسمه

كــوارو

تقع الى الغرب الشمالي من ادلب بمسافة ٢٠ كم ، في السفح الشرقي لجبل دويلي في سهل روج أرمناز ، وهي قرية تابعة لناحية كفر تخاريم في منطقة حارم . بلغ عدد سكانها عام ١٩٢٢/ ١٩٣/ن وعام ٤٥/٢٢٠/ ن . وقدر عام ٨٦/٥١٤ ن . لم يبق فيها من الاثار غير مدافنها العديدة البالغة حوالي خمسة وعشرين مدفنا ، وأغلبها يقع شمال ـ غرب القرية في سفح الجبل وهي محفورة في الصخر ، وتشكل كهوفا جنائزية عليها كتابات هامة(١٩٨) ففي جانب سفح الجبل، الى الشمال من مجموعة القبور نجد قبرا فيه كتابة ضمن اطار مزخرف له جناحان مثلثان ، مؤلفة من أربعة أسطر « في عام ٢٨٣ وفي الرابع من شهر ساندكوس ضريح زاولوس المشرع » الموافق نيسان ٢٣٥ م . وقد تضمن السطر الثالث والرابع الاشارة الى زاولوس ، وهو موظف من درجة ادنى في عمله بالساحة العامة (الآغورا) للبلـدة ككاتب عرائض . وقد مر في بحث مدافن ريحا الحديث عن أحد المستشارين القانونيين ! والى الجنوب من الكتابة السابقة ، توجد

---

(198) PAES - 3 - P. 116 - 118 . IGLS - 2 P. 357 - 60

أخرى فوق مدخل المدفن ، مؤلفة من سطرين ، في السطر الثاني بعض الاحرف المفقودة وتعريبها « هذا ضريح النبيل باسليدس وقد أنجز بناؤه في شهر بانموس من السنة العشرين » الموافق شهر تموز عام ؟ . وهذا قبر آخر لاحد نبلاء كوارو ، ويبدو من كثرة المقابر والكتابات ومضمونها ان كوارو كانت أكبر من ملس ، واشد رفاهية منها . ويلي هذا المدفن في الجنوب ، مدفن آخر مشابه له ، وفوق المدخل كتابة مؤلفة من ثمانية اسطر ، وتعريبها « الاله واحد ! يسوع المسيح ابن الله منقذنا ! يايسوع ، ساعد ابتيوس وبولاس ؟ وماريون ودومتيوس وأمنوس (؟) . انهوا هذا المدفن في عام ... شهر سانديكوس » الموافق شهر نيسان عام ؟ وهو كما يبدو مدفن مسيحي ، لكن الكتابة التي تؤرخه غير واضحة تماما ، والارجح أنه يرقى الى القرن الرابع ويوجد مثل اسم ماريون في برج باقرحا ، واسم دومتيوس في كفر فنشه في جبل باريشا . والى جنوب المجموعة نفسها نجد فوق ضريح مشابه كتابة تعلوه ضمن اطار مزخرف ، فوقهانقش حرفا الفا وأوميغا . وهي مؤلفة من ثمانية أسطر « في الخامس والعشرين من شهر برتيوس في عام ٤٠٧ الانطاكي أتمه أركاس» وتوافق شباط ٣٥٩ م وهو مدفن مسيحي . وفوق الكتابة اليونانية نقشت أحرف عربية لا إله إلا الله » . وفي نفس المجموعة من المدافن الى الغرب من القرية ، فوق مدخل المدفن ، وضمن اطار مزخرف له جناحان مثلثان ، كتابة مؤلفة من اثنتي عشر سطرا « في عام ٢٧١ الانطاكي وفي الثامن عشر من شهر برتيوس كرس هذا المدفن لزاراناس وبالتوس ؟ وايوناس وثرتاس وزوراس بن زيبناس . يحظر رهنه أو بيعه أو الاشتراك فيه ، ولو حاول أحد ما ان يشترك فيه ، فعليه ان يدفع الى الكنز المقدس الفي دراخما » (شباط ـ ٢٢٣ م)[١٩٩] تشير الكتابة الى ان هذا المدفن كان وقفا لايجوز التصرف او المساهمة فيه ، دون الرجوع الى

١٩٩ ـ قرأ برنتيس تاريخه ٢٧٥ = ٢٢٧ مع شكه بذلك . بينما موترد وجالامبر قرأ تاريخه ٢٧١ = ٢٢٣ وأخذت بالرأي الثاني .

٧٠ ـ كوارو : الكتابة اليمنى ٣٥٩ م واليسرى ٦١ ـ ٣٦٢ م

دائرة الكنز المقدس والتي تعني بيت المال[٢٠٠] الذي كان موجودا اما في كوارو أو في معبد حصن دويلي ؟ ، وبعد دفع المبلغ المقرر بالعملة السائدة (دراخما) وهي العملة المستخدمة حتى الان في اليونان ٠ وأما اسم زاراناس فالارجح هو زعران وهو اسم سامي ويطلق اسم زعرور على ثمر شجر معروف ، وكذلك على اسم اسم عائلة[٢٠١] وفي السريانية زعورا ٠وأما اسم زيبناس فأصله تدمري ، ويمكن ان يكون زبنا ٠ ووجد مثل هذا الاسم في كتابة جلين في حوران ٠ وفوق أحد المنازل القديمة حجرة جنائزية فيها كتابة مؤلفة من تسعة اسطر ، في وسطها شق طولاني فيها تاريخان « في عام ٤٠٩ الانطاكي في شهر بانموس = تموز ٣٦١ م وهذا التاريخ يشير الى بدء العمل في المدفن « وفي عام ٤١٠ شهر هبر برتيوس = ٣٦٢ م شهر تشرين الاول ٠ ويشير الى انتهاء العمل فيه ٠ وفي هذا المدفن ثلاث كوى صخرية لوضع الاجداث ، كما

---

٢٠٠ ـ وجود بيت المال يشير الى غنى البلدة أو المنطقة في ذاك الوقت ٠ وقد استمر هذا العرف سائدا (الوقف) في العصر الوسيط والعهد العثماني ، حيث كان يكتب على واجهات الخانات وأماكن الوقف « يحظر بيعه أو رهنه أو التصرف فيه ولعنة الله على مؤجره ومستأجره !! »

٢٠١ ـ كثير من العائلات أصل اسمها آرامي راجع كتاب « ادلب البلدة المنسية !»

في غيره • والى الجنوب قليلا مدفن آخر ، فوق بابه كتابة من سطر واحد ، ولكنها غير واضحة • والجدير بالذكر أن جميع كتابات كوارو باللغة اليونانية القديمة ، ومؤرخة بالتاريخ الانطاكي • والى الجنوب من القرية وجدت بقايا آثار بيوت وعواميد وتيجان وهذا يشير الى ان القرية القديمة كانت جنوب الحالية ، والمدفن في شمال القرية القديمة ، وهذا يؤكد بلا شك الى سعة القرية ، وازدهارها في القرنين الثالث والرابع الميلادي(٢٠٢) •

﴿ مِلِسْ ﴾

تقع الى الغرب الشمالي من ادلب بمسافة ١٨ كم وهي قرية تابعة لناحية كفر تخاريم في منطقة حارم • بلغ عدد سكانها عام ١٩٢٢/٢٩٨/ن وعام ٤٥/٥٩٠/ن وقدر عام ٨٦/١٥٢٥/ن اعتبرتها البعثة الامريكية الثانية ١٩٠٤ ــ ١٩٠٥ مع كوارو تابعة لاثار جبل الوسطاني ، رغم أنها تقع في سهل روج أرمناز ، مجاورة المسفح الغربي لجبل الاعلى ، على الطريق من ادلب الى كفر تخاريم • وهي من القرى القديمة التي حظيت بموقع جيد ، بين جبلي الاعلى ودويلي ، في السهل الذي كان ممرا اجباريا للقوافل • وأما اسمها القديم فيدعى ملسين(٢٠٣) • ومن آثارها الباقية تلها القديم الواقع الى الغرب منها ، ومدافنها التي تبلغ حوالي العشرة وكهوفها القديمة الى الشرق منها في سفح الجبل • وتشاهد بعض مدافنها على يمين الطريق ، وفي بعضها كتابات يونانية ، ومنها المدفن الواقع جنوب القرية ، في الجانب الشرقي من الوادي ، الذي تقع فيه قريتا ملس وكوارو ، وهو محفور في الصخر ، شكل واجهته كالجلمود ، نجد فيه كتابة منقورة على لوحة في مجموعتين ، كل منها من ستة اسطر • وبجانبها أربعة

---

٢٠٢ ــ تدعى « كوارو الان أم الرياح ! مع ان الوثائق التاريخية قد حفظت اسمها الحقيقي كوارو ؟! •

٢٠٣ ــ D - T - P. - 177 ومازال السكان يعثرون بين التل والقرية على الاوابد الاثريــة !! •

أحرف وهي AK ,ω وهي الاولى ، وتعريبها « بني هذا الضريح في الثلاثين من شهر دسيوس عام ٢٤١ لـ مار كلاس العبدة ما كسمينا ابنة ماتوناس لراحة نفسها من أموال سادتها • تريسنس بن اراببيوس حفر (هذا المدفن في الصخر) من أجل أموال سادته(٢٠٤) •• » وهي بالتاريخ الانطاكي وتوافق حزيران ١٩٣ م نلاحظ بين هذه الاسماء اسم أراببيوس والتي تعني العربي فهل الذي حفر هذا المدفن معمار أصله من بلاد الجزيرة العربية الذين هاجروا الى المنطقة ! ونجد أيضا ان النساء كن يستخدمن رقيقا في المنطقة ولكن بشكل نادر ، فغالبية أبناء المحافظة ، كانوا في رفاهية من العيش ، ولا يقبلون ان يكونوا رقيقا لاحد ــ راجع فصل الفصول ــ • وفي اعلى القرية قرب بيت شعبان نجيب القديم يوجد ضريح محفور في الصخر ، فتحته مستطيلة الشكل ، تحت تقويسة تشكل رواقا • وفوق المدخل كتابة مؤلفة من سطرين « في العام ٤٠٧ من التاريخ الانطاكي في شهر برتيوس = شباط ٣٥٩ م » وعلى بعد مائة متر جنوب شرق الجبل نحو مدخل مدفن واجهته للغرب محفور في الصخر الكبير ، فيه كتابة من أربعة أسطر وهي « مناتي ، في العام ٤٠٥ من التاريخ الانطاكي ، في شهر دستروس » = آذار ٣٥٧ م تشير الكتابة الاخيرة الى اسم المتوفي (مناتي) دون غيره ، ولعله اسم سامي قريب من اسم مناة ــ منى ــ منال • نستخلص من هذه الكتابات أنها قبور وثنية ، وخاصة الاول ، لان النصرانية لم تنتشر في هذه المنطقة الا مؤخرا اضافة الى ان هذه القبور لم نجد فيها نقوشا أو رموزا نصرانية بالمقارنة مع غيرها ، مما يؤكد فرضيتنا ! ولكن ألا يوجد ما يشير

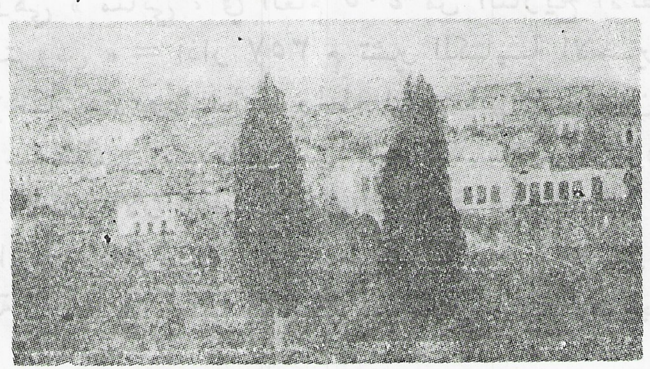
---

٢٠٤ ــ IGLS - 2 - P. 349 - 50 PAES - 3 - P. 118 يرى برنتيس الترجمة : ماركلاس عبد ماكسيمياس بن مطانس بينما جالابير ترجمها عبدة ، وهذا ماأرجحه بالمقارنة مع العبدة ايرينا في مدفن فركيا • واعتبر برنتيس العبارة الاخيرة لراحة السيد أي الكنيسة ، ولكن هذا غير مقبول في عام ١٩٣ م ، اذ لم تتنصر المنطقة بعد !

الى المعالم النصرانية القديمة؟ لاشك في ذلك ، فالمغر الواقع في أعلى سفح الجبل والمحفور في الصخر الحي ، وغيره ، يعتبر مكانا للنساك الذين عبدوا ربهم ، بعيدا عمن لم يؤمن بالديانة الجديدة ، حيث نشاهد معاقل الوثنية واضحة في المنطقة ، ولوقت متأخر كما ذكرنا ، فأرادوا الابتعاد عنهم ، في مكان آخر عال ومنعزل !!

مدينة سلقين

وهي مركز الناحية المسماة باسمها في منطقة حارم، تقع غرب ـ شمال ـ غرب ادلب بمسافة ٤٥ كم ، وجنوب حارم بـ ١٠ كم يحتضنها واد خضر نزه جميل ، تطوقه أشجار الزيتون ٠ وهي احدى المراكز الرئيسية في انتاج الزيتون ليس في المحافظة فقط، بل في سورية الشمالية ، وتتوزع على منحدرات السفح الشمالي لجبل دويلي ٠ وكانت تدب الحياة فيه كثيرا قبل سلخ اللواء ـ ١٩٣٨ ـ حيث يتبادل أهلها التجارة مع أنطاكية واسكندرون ، وكذلك مع لاذقية ٠ وهي احدى أقدم البلدان في المحافظة ، اذ يعود تاريخها الى ما قبل الميلاد ، ذكرتها حوليات الملك الفرعوني تحتمس الثالث عندما غزا سوريا عام ١٤٦٠ ق٠م ؟(٢٠٥) ٠ وقد



٧١ ـ سلقين ـ ١٩٠٥ ـ البلدة والسروتان

---

٢٠٥ ـ هذا رأي الباحث أستور ، وان لم يرجح هذا الموقع كل الترجيح ، اذ ذكرتها الحملة باسم « ش ـ ر ـ ك ـ ش ـ = شاراكوشي وفي رأيه ص ٢٢٤ أنها زلاكيا ، وهي سلقايا الحالية بين انطاكية وجسر الشغور أو سلقين ٠ مجلة الحوليات الاثرية المجلد ٢٦ عام ١٩٧٦ ٠

ذكرت الرحالة الانكليزية بيل عندما زارت سلقين ـ ١٩٠٥ ـ أن محمد علي آغا بن رستم آغا ذكر لها « أن سلقين كانت احدى مناطق السلوقيين ، وقد أوجدها سلوقس الاول ، اذ كانت مصيفا لسكان انطاكية • وأن المكان الذي كنت أخيم فيه ، والحديقة التي خلفه هي موقع مدينة السلوقيين • وأين يحفرون يجدون قبرا تبرز منه أحجار منقوشة وأحيانا كتابات •• » • وتضيف الرحالة « •• ليس مستغربا ان يختار سكا نانطاكية هذه التلال مكانا لبناء بيوتهم • ولكن لا يوجد دليل قاطع لأؤكد هذه المقولة(٢٠٦) وزارها عام ـ ١٩٢٨ ـ الفرنسي فرومنت فقال « نتمكن من الوصول الى سلقين عن طريق حارم أو كفر تخارين ، مركز ناحية واحدى أجمل المواقع السكنية في المنطقة • وبما تؤكده « الاسطورة » انها كانت مكان استيطان قديم لملك أنطاكية ، والذي ترك اسمه « سلوقس» ومنه اشتق اسم سلقين المذكور بين شجرتي سرو حيث أرخ تأسيس البلدة في ٩٨ ق•م • يعبر البلدة ممر عميق واسع بعض الشيء ، وهي الاجمل بزيتونها في دولة حلب • ويسيل نهر العاصي في هذه المنطقة بطيئا ومتعرجا ، ويصعد الرعاة حتى دركوش دون جسور(٢٠٧) » تضعنا هذه النصوص في حالة تساؤل هل هذه البلدة قديمة أم لا ؟ أعتقد أنها قديمة كما ذكرت في مطلع البحث وفرضيتي تستند أولا ـ أن هناك صلات بين أنطاكية وهذه المنطقة لانهم كانوا يعتبرونها « عمق انطاكية » وامتدادا لها ، وما جلبهم الاحجار الضخمة من دركوش لبناء سورها ، الا دليل أكيد على عمق هذه المنطقة وحيوية الصلات بينهما• ثانيا عرف عن السلوقيين (٣١٢ـ٦٥ ق•م) بناءهم المدن،

---

(206) B - D - P. 313

٢٠٧ ـ Fr. Cart - T - P. 288 - 89 in Syria - 11 - 1930 ويتابع القول «والنهر يفصل منطقة حارم عن أنطاكية وجسر المكسور ، والمدعوة باسم محل جسر قديم •• » وهذا المكان يتبع سلقين الان • وقد ذكر طومسون ـ ١٨٤٦ ـ ان سلقين « تبدو كأنها كانت مدينة مهمة ، وبالقرب منها جسر حديدي جميل ، يعبر منه الى نهر العاصي » أنظر
R. E - P. 1098

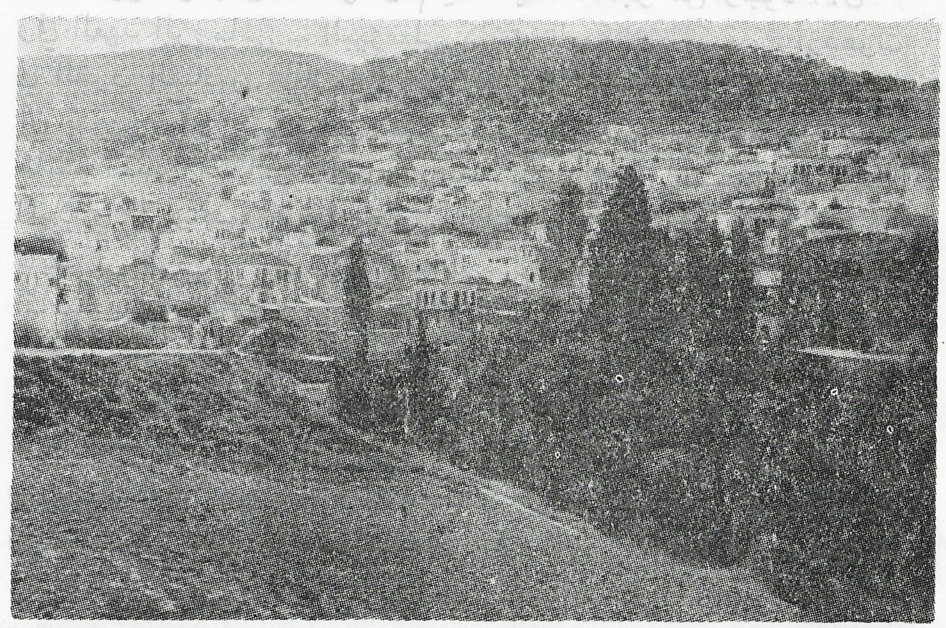
وتسميتها بأسمائهم كـ انطاكية باسم والدسلوقس (أنطيوخوس) ولاذقية باسم والدته (لاوديسا) وأفامية باسم زوجته (أبامي) والتي هي أميرة فارسية ، و (سلوقية دوبيرية) باسمه ، والتي هي على شاطىء السويدية في لواء اسكندرون والمسماة الان السويدية(٢٠٨) ومن الطبيعي أن يبنوا موضعا يتخذونه متنزه لهم ، وموقع سلقين من المواقع الجميلة في المنطقة · كما ان اسمها ان اعتبرناه باصله يونانيا ، اشتق اسمه من اسم سلوقس Seleucus وهو اسم أحد الامراء السلوقيين ·· وان اعتبرناه اسما آراميا ، باعتبار ان لغة الشعب السائدة هي الآرامية في ذاك الوقت ، فتعني سلقين = الصاعدون ، وهذا ينطبق تماما على موقعها، اذ تقع في حوض واد ، وترى ابنيتها القديمة تتسلق أطراف الوادي ، حتى كادت تصل الى رأسه ، وهي تحاول الصعود دون كلل(٢٠٩) وهكذا بالامكان القول انها تعود الى ما قبل الميلاد، ويؤكد ذلك اسمها ، وتلك الكتابات والنقوش التي حدثتنا عنها بيل ، وأما قول فرومنت أن هناك حجرا عليه نقش يؤرخ تأسيس البلدة عام ٩٨ ق·م ، فهذا التاريخ صحيح ، لانه استند الى البعثة العلمية التي رافقها(٢١٠) ، ولكن ليس لزمن سلوقس الاول كما

---

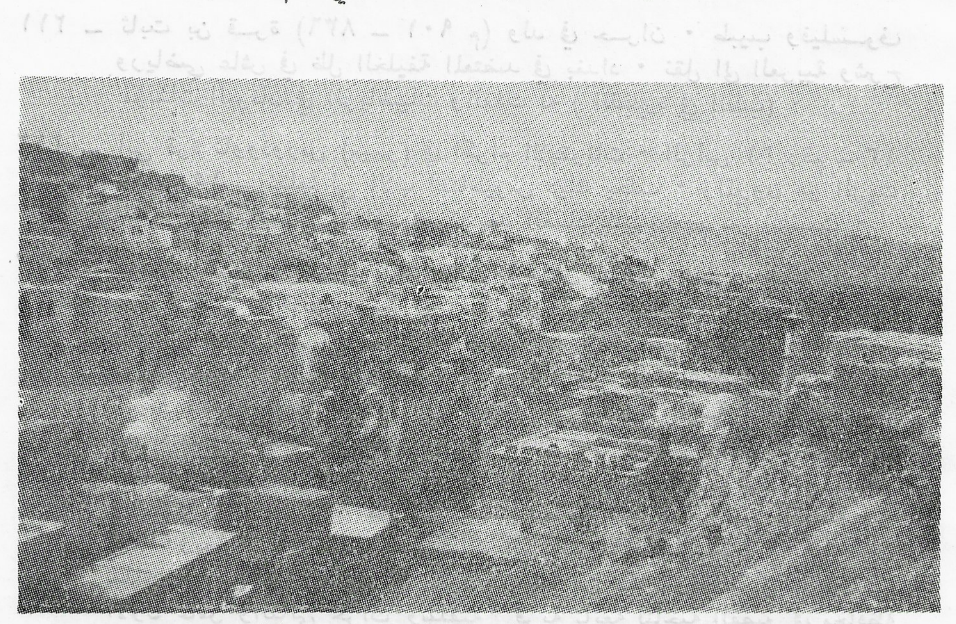
٢٠٨ ـ ألفت عدة كتب وأبحاث عن بناء السلوقيين للبلدان في عهدهم وتسميتها باسم أمرائهم ومدنهم انظر :
العابد ـ مفيد رائف : أنشاء المدن في اطار السياسة السلوكية · لهلينية ـ سورية ـ القاهرة ١٩٧١ و
(G) Downey : Ahistory of Antioch in Syria from Selucu to the Arab Conquest - New Jersy 1961

٢٠٩ ـ راجع « معجم اسماء بلدان محافظة ادلب وقراها »مادة سلقين ـ قيد الاعداد ـ

٢١٠ ـ كان فرومنت ضابط الحامية الفرنسية في حارم · رافق البعثة العلمية الاثرية الفرنسية عام ـ ١٩٢٨ ـ والتي تجولت في انحاء منطقة حارم وهما جالابير وموترد وكلاهما على اطلاع ومعرفة باللغة والتاريخ اليوناني القديم · نشرا ابحاثهما في خمسة مجلدات ضخمة بعنوان IGLS



٧٢ ـ سلقين : منظر من الشمال الغربي عام ١٩٣٦



٧٣ ـ منظر من الشمال الشرقي عام ١٩٣٦

روت بيل الى زمن متأخر. ولم يعد لهذا الحجر من وجود الان . وفي العهد الروماني ـ البيزنطي كانت تابعة لانطاكية ، وازدهرت في القرن السادس الميلادي . ثم أصبحت احدى كور أنطاكية بعد أن فتحها « أبو عبيدة بن الجراح » عام ١٧ هـ / ٦٣٧ م . كما كانت احدى الاماكن المقدسة عند النصارى في القرن التاسع الميلادي . والتي كانوا يقصدونها كمزار للتبرك بها كما ذكر ثابت بن قرة(٢١١) أن« الشاهد على ذلك أليشع النبي : أن عظامه أقامت ميتا بعد موته ، وهي حتى اليوم بيد النصارى ، ينبع منها ميرون ينقي البرص ، كما قدرأينا نحن بأعيننا . وهذه العظام المقدسة في قرية يقال لها سلقين من كورة أنطاكية وفي غيرها(٢١٢)» يشير هذا النص الى وجود كنيسة(٢١٣) في سلقين حتى القرن التاسع والتي لم أجد الان ـ ٨٦ ـ ما يشير الى وجودها ، فهي داثرة وعندما غزا الفرنجة المنطقة عام ١٠٩٨ م استولوا على سلقين ،

---

٢١١ ـ ثابت بن قرة (٨٣٦ ـ ٩٠١ م) ولد في حران . طبيب وفيلسوف ورياضي عاش في ظل الخليفة المعتضد في بغداد . نقل الى العربية وشرح مؤلفات اليونان في الرياضيات والفلك له (الذخيرة في الطب) .

٢١٢ ـ أبي قرة ثاوذورس (ميمر) في اكرام الايقونات . الرأس ٢١ رقم ـ ١٣ ١٤ ـ ١٥ ـ نقلها لي الاب أغناطيوس ديك بحلب . والميرون هو الزيت المقدس الذي يمسح به المسيحيون بعد العماد عند منحهم سر التثبيت .

٢١٣ ـ اعتمد بعضهم على رواية الغزي ٤٩٥/١ عن سلقين ، وهي مأخوذة من ابن شداد دون تحقيق اذ قال « ومن تلك الاماكن أيضا (سلقنة) ويقال لها سلقين وكانت كنيسة لارتاح يقصدها النصارى) وهذا غير صحيح ، فسلقنة قرية أخرى ورواية ابن شداد ـ وعنه أخذ ابن الشحنة ـ أن أرتاح مدينة صغيرة تهدم سورها ولها حصن منيع وبها كنيسة كانت مقصودة من النصارى يقال لها سلقنة » وفي مكان آخر يذكر حصن سلقين من أعمال حلب التي استولى الخراب عليها ، بحيث صارت قرى غير دامغة ولامانعة . » ص ٨٥ من ابن شداد الطبعة الفرنسة وابن الشحنة ص ١٧٧. وبما ان ابن شداد ـ وكذلك ابن الشحنة ذكرا سلقنة في غير مكان سلقين ، ومن غير المعقول أن يكون كلامهما عن مكان واحد، بل مكانين : الاول عامر والثاني خراب. وسلقنة قرية تابعة لناحية القصير في محافظة أنطاكية . وهناك موقع جنوب سلقين يدعى (مقبرة النصارى) حتى الان

وصارت حصنا يدعى « حصن سلقين » وظل هذا الحصن قائما الى القرن الثاني عشر ، ثم أصبح خرابا • وقد استرد نور الدين حصن سلقين مع حصن تل عمار من الفرنجة في شهر حزيران عام ١١٤٩ م / شهر صفر ٥٤٤ هـ ، ولكنهم استردوه فيما بعد، نظرا لنفوذ آل فرينل الذين شكلوا اقطاعية حارم شرق أنطاكية ، منذ عام ١١١٠ م ، وتأصل هذا النفوذ عندما تزوجت أورغيوز من بوهسمند الثالث قبل عام ١١٦٨ م ، وقد عرف من سادة هذه العائلة في سلقين جان (يوحنا) Jean (١١٦٠ ـ ١٢٠٠ م)[٢١٥] ولكن سلقين تستعيد حياتها ثانية بالرغم من خراب حصنها ، وخاصة بعد رحيل الفرنجة عن المنطقة ، وانتهاء الحروب الصليبية وفي العهد العثماني تصبح مركز ناحية ، كما أشارت الى ذلك الوثائق العثمانية العائدة الى الربع الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ، ثم تحولت مرة أخرى الى قرية ثم الى قصبة كما ذكرتها سالنامة عام ١٣١٤ هـ/١٨٩٦ م أن فيها « جامعان ومكتب واحد لتعليم الصبيان وحمام واحد وقهوة واحدة وخمسون دكانا و ٥٤٤ خانة و ١٨٢٦ نسمة عدد نفوسها وهي قصبة » بينما أضافت سالنامة ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م « أن فيها ثلاث معاصر وخان واحد وفرن وطاحونة واحدة ومصبنة واحدة وعدد نفوسها ٢١٧٤ نسمة » وبلغ عددهم عام ١٩٢٢/١٩٠٠/ن وعام ١٩٣٠ /٥٠٠٠/ن وعام ١٩٤٥/٤٦٠٠/ن[٢١٦] وقدر عددهم عام ١٩٨٦/١٤١٠٨/ن • وفيها الان ـ ١٩٨٦ خمسة جوامع • ويعد الجامع الكبير من أقدمها • أما جامع السوق فقد جددت منارته عام ١٣٠٥ هـ • وقد كان فيها زاوية الشيخ محمد ولكنها دثرت • وكانت سلقين في منتصف القرن السابع عشر وقفا للصدر الاعظم المتوفي (ابراهيم باشا) ، ومعفاة من الضرائب والالتزامات

---

٢١٤ ـ Cahan : La Syrie de Nord. P . 384 لم يذكرها حصنا بل ذكر سلقين ، ولكنها كانت حصنا حسب الحوليات العربية وسير البحث • اذ ذكرها ابن شداد (ت ٦٨٥ هـ) باسم حصن سلقين والذي أصبح خرابا في عهده •

(215) Ibid - P. 540



٧٤ ـ سلقين ـ مسجد ومدخل السوق ١٩٨٦

بموجب الاوامر السلطانية ، الصادرة عن السلطان العثماني حسب قيود الحرمين الشريفين ، وسبب اعفائها تخصيص هذا الوقف من أجل الحرمين . وفي عام ١٢٣٧ هـ/١٨٢٢ م تعرضت الى زلزال دمر بعض معالمها ، سجله لنا الشاعر الشيخ محمد المطلبي بقوله :

وفي المعرة كم من نسوة فجعت ★ وأرض ريحا وسلقين لقد صدعت

ولنرافق الان بعض الرحالة ، يحدثوننا عن موقعها النزه الجميل ، كأنها ظلت منذ العهد اليوناني السلوقي ، منتجعا للنزهة عبر العصور .

١٨١٥ ـ الكيالي : «[ونحن في كفر دخارين] وفد من سلقين بعض الاقارب ، فدعونا فلم يمكن ان نعرض عنهم أو نوارب حيث عاينوا تشريفه لاماكن هم به منها أحق وأولى ، فعرضنا ذلك عليه فأبى أولا ثم أجاب بالهام المولى فحينئذ امتطينا جواد العزم الى قصبة سلقين المصانة ، فخرجوا لملاقاتنا بالاعلام والزردخانة،

٢١٦ ـ SRANFF مادة سلقين .

فدخلنا الى حضرة الشيخ بطوش وشاهدنا ذلك الضريح الذي بالانوار مرشوش ، ورأينا من المهابة والجلالة ما لايملك الشخص بهما حاله، ولقد من الله علي أن بت تلك الليلة في حضرته،وقرأت ما تيسر من القرآن وأهديت الثواب له ولذريته الى ان أصبح الصباح ، عكفنا على البلد راجعين » ٠٠

١٩٠٥ ـ بيل : « اتجهنا من حارم جنوبا ، وسارت بنا العربة على طول منحدر جبل الاعلى الى سلقين ٠ هذه المنطقة النزهة لن تنسى لجمال أرضها المتزايد في طريقنا ٠ ولم أر مثل هذه الخصوبة الوافرة في جميع انحاء سورية ٠ فكروم الزيتون واللوز، تتقاسم هذه الارض الخصبة ، مع الشعير والشوفان ، والادغال المتشابكة مو نبات الرتم أو القندول (نبات يصنع منه المكانس) والدفلة والعليق ، على طول الطريق ٠ وتبدو كل حزمة من أشعة الشمس زرقاء نتيجة تجمع قوس قزح ٠ تقع سلقين في واد يحتوي على عدد لا حصر له من أشجار الزيتون المنتشرة حتى سهل العاصي[٢١٧] ٠

١٩٣٢ ـ زكريا : « سلقين بليدة جميلة ، من أبهج وأنزه ما رأيته في أعمال حلب ٠ عدد سكانها ٣٠٠٠ مسلمون عرب ، علوها عن البحر ٢٥٠ مترا ، تشرف على سهل العمق ، بنيت بين ضفتي واد جميل ظليل ، فيه أشجار باسقة مثمرة ثمارا وبقولا جيدة ، وعيون وأرحاء ، وجامع كبير حسن ، وحمام وسوق حافل،

---

٢١٧ ـ حول نص الكيالي فهو من مخطوط خاص ، والشيخ بطوش مازال مقامه موجودا داخل المدينة ٠ وقبل بيل ذكرها الرحالة الدانمركي نيبور ـ ١٧٦٦ ـ من معرة مصرين الى سلقين ٦ ساعات و ٤ أميال ص ٢٢ ٠ وأما بيل ـ ١٩٠٥ ـ فقد أشارت الى غنى وازدهار سلقين عن غيرها في الزراعية، لعنايتهم الزائدة بزراعة الزيتون اذ تم زرع عشرة آلاف غرسة بين الاعوام ١٩٠٠ ـ ١٩٠٥ ٠ وجلبهم صناديق بيض دودة الحرير من فرنسة ، وزراعتهم شجرة التوت ، ورغبتهم بتجارة الحرير ـ B - D - P 313 وقد ضرب المثل بجودة تين سلقين فقيل (ما في تين الا بسلقين) وينادي البياعة في ادلب (عسل ياتوت سلقيني ياتوت) ٠

ودور أنيقة رحبة ، أصحابها ذوو وجاهة وحفاوة يلقبون بالآغوات ، معظم ثروتهم من الزيتون الذي يكثر وجوده في هذه الهضاب(٢١٨) » ٠٠

* الخاتمة *

وأخيرا ٠٠ آن لنا التوقف عن رحلتنا في ربوع محافظة ادلب الخضراء فالوقت ليس ملكنا ، وربما كان الملل قد تسرب الى نفس القارىء العزيز ، وربما زاد ضجرا طفله الذي يبكي يريد خبزا ، رغم أن عيسى /ع/ قال «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان» بل «في البدء كان الكلمة» ٠٠ وفي القرآن الكريم « ن ، والقلم وما يسطرون» ٠ وتذكرت قول رسولنا الكريم محمد ﷺ « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به » ٠ ولست أملك الا الاخيرة ، لتكون زادا لابناء محافظتي الكرام !

* * *

---

٢١٨ ـ ز ـ ج ـ ص ٨٤ ٠ ذكر عددهم ثلاثة آلاف ٠ بينما صاحب الرحلة التاجية ذكر خمسة آلاف سنة ١٩٣٠ ؟ انظر « الرحلة التاجية في سوريا الشمالية ـ حلب ١٩٣٠ ص ٧٦ وهو كتاب يعرض رحلة الشيخ تاج الدين الحسني، رئيس حكومة سوريا الى الشمال السوري سنة ١٩٣٠ وقد زار سلقين وجرى له استقبال حافل ٠ وكانت مطالب الناحية اصلاح الطرق ٠ تقدم اليه أحد الاطفال قائلا : سيدي فخامة الرئيس الجليل ، سادتي الكرام ٠ أنا طفل صغير ٠ لم أبلغ العقد الاول من عمري ، وتلميذ من مدرسة سلقين الاميرية (سماها قصبة) حيث شرح وضع المدرسة السيء قائلا «فيا صاحب الفخامة استحلفكم باسم العلم والعرفان ، وباسم المروءة والشهامة أن تأخذوا بأيدينا وأن تأمروا وتصدروا ارادتكم المطاعة ببناء مدرسة أميرية على الطراز الحديث بأقرب وقت » ص ١٠١

﴿ تنـويه واسـتدراك ﴾

أ ـ ورد في الجزء الاول ص ١٧١ عرضا لكتابة مدخل خان مراد باشا في معرة النعمان ، والاصح مايلي ·

١ ـ قد بنى هذا الواجب لله تعالى ، حامي الـدفاتر الديـوان السلطانية مراد جلبي ٢ ـ فغني منع فقيرا ودوابـه يتشتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس بطرق شتى سنة ٩٧٤ هـ ·

وتعني كلمة الواجب في السطر الاول ان هذا البناء (وقف) وهذا ما أوضحناه في الجزء الاول · وأما «حامي الدفاتر الديوان السلطانية» رغم الخطأ اللغوي فيها ، فتعني في زمنها أنه كان في ديوان السلطان باسطنبول · وقد أشار كرين (ص ١٦٨) أنه كان دفتر دارا ، أي أمينا للخزينة في حلب ثم فيما بعد في دمشق وهذا صحيح ، اذ ذكره احد المؤرخين العثمانيين ، بأنه كان دفتر دارا في حلب والعراق والمقاطعات الفارسية ، ثم أصبح دفتردارا في آسيا الصغرى عام ٩٦٥ هـ[١] ·

ب ـ ذكرنا في الجزء الاول ص ١٩٦ ان «أبا الهدى الصيادي» وصل الى سدة الحكم في أسطنبول كصدر أعظم ـ رئيس الوزراء والاصح انه استلم مشيخة الاسلام في الدولة العثمانية ، وليس صدرا اعظم ·

جـ ـ كما ورد في بحثنا عن خان السبل ص ١١٦ وما يليها أن بناء الخان تم عام ١٣٧١ م · كما ان الدكتور ريحاوي ذكر بناءه عام ٧٣٣ هـ/١٣٧٢ م بل الاصح ٧٧٣ هـ / أي ما يعادل ١٣٧١ ـ ١٣٧٢ م ، كما تشير الكتابة المنقوشة فوق الباب · وقد نشرها (سوفاجية) في دراسته عن خانات القوافل المملوكية ومنها

---

١ ـ نقل هذه الكتابة العلامة ليتمان (١٩٠٥ كما ذكرنا أعلاه ، وقد ذكر التاريخ ٩٧٦ هـ والاصح ٩٧٤ هـ ·

خان السبل[٢] وتمكن من قراءتها كما يلي :

١ ـ بسملة ٠ أمر بانشاء هذا الخان السبيل وعمارة هذا البر الجزيل ٠٠٠ في المكان ؟ ٠٠٠ ورسم بعمارته مولانا السلطان الملك الاشرف ٢ ـ ناصر الدنيـا والدين شـعبان بن الملك السعيد حسام الدين حسين ابن مولانا السلطان السعيد ؟ الملك الناصر ناصر الدنيا والدين سيّد ؟ الملوك والسلاطين محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون الصالحي خلّد الله سلطانه ٣ ـ ٠٠٠ السعي على ؟ العمارة وتأسيسها واتمامها مولانا ملك الامراء المقر الاشرف السيفي أبي سعيد منجك ابن عبدالله الملكي الاشرفي أعز الله نصره وشكر سعيه المبرر وضاعف أجره وبدل نعمة جهده و ٠٠٠ له أهله ٤ ـ حتى كملت العمارة وتمت في شهور سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة والوقف على هذا الخان٠٠مزرعة الملك المتصلة ٠٠٠على مصالح الخان والحصر للغربي في هذ ٠٠٠ ٥ ـ ٠٠٠٠٠٠٠٠ ٦ ـ وذلك ٠٠٠ السيفي شاد ٧ ـ العمائر السعيدة ٨ ـ وملعون من يغيروه أو ٩ ـ ٠٠٠٠

وأما تعليقاتنا الواردة في الصفحة ١٢١ ، فاننا نتراجع عن الطرح المقدم فيها ، ونؤكد مايلي : أولا ـ يعود بناء الخان الى ماقبل مراد جلبي ، اذ أمر بانشائه السلطان الملك الاشرف ، وتابع العمل فيه وتأ سيسه ملك الامراء الاشرف السيفي ابي سعيد منجك عام ٧٧٣ هـ ٠ ثانيا ـ رواية احمد وصفي زكريا عام ١٩٣٢ قريبة من تاريخ البناء ٠٠٠٠ ! ثالثا ـ ماذكره السيد شحادة بوجود كتابة تذكر بانية (مراد جلبي) فهذا غير صحيح ، لان الكتابة التي نشرها سوفاجية ودراسته القيمة عن الخان (والتي سنعود اليها في فصل الفصول) توضح ذلك٠رابعا ـ وأما تسميته بـ «خان مرعي» فهذا ما اتفقنا عليه ، وقد أكده سوفاجية في

---

2 — Sauvaget (J) Rev Ars Islamic T , VII , 1940 .

حواشيه نقلا عن الرحالة تيفنو وغيره · وهناك وثائق ذكرت وجود خان مرعين في قضاء سرمين تعود لعام ١٠٧٠ هـ وثانية تعود لعام ١٠٨٣ هـ «قرية خان مرعي» في قضاء سرمين ، وأخرى تاريخها ١٠٨٥ هـ ذكرت «قرية دانيث البقل» التابعة لقضاء سرمين والداخلة في وقف ابن منجك السيفي[٣] ونخلص الى القول : ان خان السبل كان يدعى خان منجك كما أشار الى ذلك ديغو نشير[٤] أنه يقع بين سرمين ومعرة النعمان ، ثم خان مرعي (كبريت تيفنو وكرين والوثائق) ، ومؤخرا خان السبل · وأخيرا ·· وليس اخرا نطلب من القارىء الكريم العذر ، فلكل جواد كبوة ، وكبوتنا نقربها ، للحقيقة العلمية ، ليس غير ·

د ـ ريحا : لقد أشرنا في هذا الجزء الى ازدهار ريحا في العهد البيزنطي ، كونها صلة الوصل بين سكان الجبل والسهول المجاورة ولم تخلو من الاثار العائدة الى هذا العهد ، فالى الجنوب الغربي من الجامع الكبير ،في حارة (دويك)[٥] توجد بقايا بناء يرقى الى هذا العهد ، وأخصها بوابة جميلة ، من البوابات الشائعة في القرى الاثرية في جبل الزاوية وباريشا ، وتتجه نحو الغرب ، ذات افاريز جانبية بدون نقوش ، وفوق ساكفة البوابة نجفة بثلاثة أفاريز ذات نقوش لها ما يماثلها في القرى الاثرية والارجح هي مدخل كنيسة وكذلك هناك نجفة تحت كتابة مئذنة الجامع الكبير ، وهي في أصلها رومانية ، لان موقع الجامع الكبير من المواقع الاثرية الرئيسية في ريحا ، ونظرة بسيطة الى اسس الجدران الخارجية للجامع، نجد في قواعد الجدار الشمالي، عواميد رومانية ، وفي الجدار الشرقي نجفة رومانية ، ذات افريز ، مبنية

---

٣ ـ انظر التفاصيل في كتابنا القادم «ادلب ·· البلدة المنسية» ·

٤ ـ انظر الهامش رقم ٥٤ في بحث سوفاجيه ·

٥ ـ ولعله اسم باني هذه الكنيسة أو أحد رهبانها ، اذ يطلقون عليه «الشيخ أو الولي دويك» ·

بشكل غير صحيح كما في العواميد ، وفوقها بناء مملوكي وأخيرا بناء أحدث عهدا • داخل الحرم في الجدار الجنوبي فتحة من الاسفل الى الاعلى ، مربعة الشكل ، بنيت لاستخدام الناقوس ، وهذا المسجد الجامع كأن في أصله كنيسة حتى مطلع العهد المملوكي ، الى ان حرر ريحا السلطان الظاهر بيبرس من الصليبيين وحوله الى مسجد جامع عام ٦٦٧ هـ/١٢٦٨ ـ ١٢٦٩ م ، ولم تكن مئذنته قد بنيت والمدخل الشمالي تم بناؤه في عهد الملك الظاهر بيبرس كما تشير الى ذلك الكتابة المنقورة على نجفة الباب ، المؤلفة من ثلاثة اسطر :

١ ـ بسمله • جدد هذا المكان لله في حكم مولانا السلطان •

٢ ـ الملك الظاهر (ناصر) الدنيا والدين والدين المعز ملكه تبرع في العهد •

٣ ـ الملاذ ؟ الى الله على بن الشيخ مزبور شيد(ه) العادل محمد ؟ (من أجل) الجميع سنة سبع وستين وستمائة • وفوق الكتابة رسم (رنك) قنديل وهو من الشعارات المملوكية المستخدمة في هذا العهد[٦] • وأما المدخل الشرقي ، فتم احداثه بعد الشمالي ، كما هو موضح من خلال الكتابة في الجدار الجنوبي

١ ـ قد سعى بتشييد هذا المسجد الملك الكامل العادل معلا المقر كتبغا محمد •

---

٦ ـ شاع رسم الرنك فوق الابنية والاوعية المعدنية والزجاجية كالقناديل في العهد المملوكي ، وكل سلطان له رمز خاص به يرسم على الانجازات التي تمت في عهده ، أو على مقتنياته وممتلكاته • وكان الاسد رنك السلطان بيبرس • ورسم الرنك على شكل القنديل يرمز هنا الى مشكاة الايمان • والمصابيح الزجاجية أو المشكاوات ، تعتبر أبدع ما أخرجه الصناع السوريون ، تعلق بثلاث سلاسل أو أكثر من الفضة أو النحاس ، تتصل بمقابض بارزة مثبتة في زجاجها ، وقد كانت هذه المصابيح تضيء بنورها كثيرا من المساجد الكبيرة •

٢ ــ في عهد محمد مخلطار كشتبار.؟٠

والكتابة غير مرتبة ولكنها تشير الى ان بناء المدخل الشرقي تم في عهد محمد في حكم الملك العادل زين الدين كتبغا، أحد سلاطين المماليك البحرية في مصر والشـام (٦٣٩ ــ ٧٠٢ هـ/١٢٤١ ــ ١٣٠٢ م) وهو دفين دمشق تولى الحكم ١٢٩٤ ــ ١٢٩٦ م ٠ ثم تولى بعد خلعه عن السلطنة مملكة حماه وأعمالها سنة ٦٩٩ هـ واستمر بها الى ان توفى ٠ ويمكن القول ان ريحا كانت تابعة الى مملكة حماه عام ٧٠٠ هـ وان المدخل الشرقي ، قد تم تشييده في هذا العام ، في عهد الملك كتبغا الذي كان شجاعا ودينا فسعى الى تحسين هذه المنشأة الدينية ٠

في عهده وهو التجديد الثاني ٠ والمدخل الشرقي للجامـع يشبه في بعض زخارفه بوابة المدرسة الظاهرية في دمشق بعض الشيء ، وكذلك مدخل جامع الطواشي في حلب ، وأما نقوش قنطرة الواجهة فتشبه ، نقوش الكورة الجدارية لجامع التيروزي في دمشق ، وجميعها من العهد المملوكي ٠ وأما اللوحة الثانية في الجدار الشمالي للمدخل الشرقي فمؤلفة من خمسة أسطر :

١ ــ شيده العالم شفاء الكمال الظاهر الملي ؟

٢ ــ الارشد الملك المخلد لله الملاذ فبطل الملعون ٠

٣ ــ ما لك هذا الوقف المعلا محمد الغافقي وذلك ٠

٤ ــ بسعي المقام الاشرف الحاجي لنا الشفا صاحب دار النور

٥ ــ في سبع واربع (وسبعمائة) بسمه ظهر المنشاته ٠٠٠؟

ويبدو ان هذه الكتابة تعود الى زمن بناء المئذنة والتي تمكنا من قراءة كتابتها كما يلي وليس كما ورد في الصفحة ٣٥ :

١ ــ عمر هذه المأذنة في ملك (أو لله ؟) مولانا السلطان ٠

٢ ــ المظفر الحاجي بن الناصر ؟ العزيز خلد الله ملكه ٠

٣ ــ من مولى الامير هذا العزيز النابلي الملك الكاملي ٠

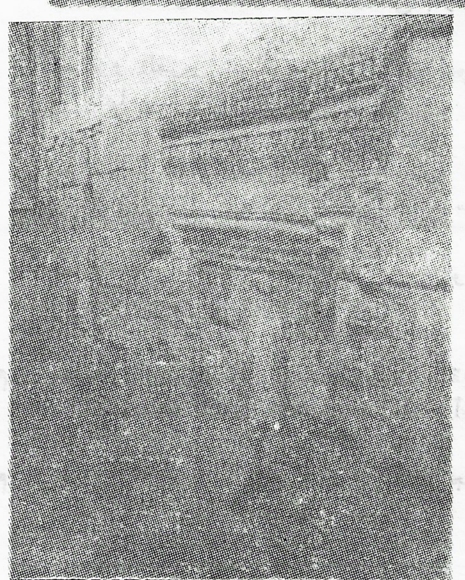
وهي بلا تاريخ ، ولكنها تشير الى المظفر زين الدين حاجي الاول بن الناصر محمد الذي حكم سنة ١٣٤٦ م/٧٤٧ ه وهو من السلاطين المماليك البحرية • وبذلك يتوضح لنا تاريخ بناء المئذنة والذي تلى بناء المدخل الشمالي والشرقي • وجميع هذه التجديدات تمت في العهد المملوكي • وقد كتب على المنبر الخشبي كتابات اسلامية مملوكية = لااله الا الله هو الحي الباقي ، وأخرى حديثة • ويعتبر مسجد البيانية ، من المساجد القديمة أيضا ، يعود الى ما قبل عام ٩٣٠ ه ؟ كما هو منقور فوق نافذته الغربية ١ ـ بسملة ـ جدد هذا المكان المبارك ٢ ـ العبد الفقير الى الله تعالى ـ من شهور سنة ثلاثين وتسعمائة ؟ وهذا التجديد تم من خلال استخدام احجار المسجد القديم ، اذ تشاهد على جدرانه بعض الاحجار غير المتناسبة ، ذات النقوش الاسلامية العائدة الى العصر الوسيط وبقربه بناء السراي (دار الحكومة) القديمة العائدة الى العهد العثماني ، وكانت مقر مديرية الناحية • وأما مسجد التكية فقد جدد مؤخرا (١٩٧٥) • ومئذنته من أعلى المآذن في المحافظة ، ولكن مئذنته القديمة والعائدة الى العهد المملوكي أيضا ، أزيلت رغم كونها قائمة فوق أقواس أربع مشكلة رواقا (ويدعوه الاهالي زباط) ، وتشبه مئذنة الجامع الكبير في شكلها المربع وارتفاعها • وهناك لوحة مكتوبة تعود الى مطلع هذا القرن ـ ١٩٠٩ م في سطرها الاول (تكية الصدر الجليل أبي الهدى الصيادي) وسمي مسجد التكية لاتخاذه مكانا لرواد الطريقة الصوفية الرفاعية ، التي انتشرت في المنطقة بجهود ابي الهدى واتباعه • وبالنسبة الى قسطل السوق فقد روى انه كان هناك كتابة فوقه تذكر السلطان بيبرس ، وهذا ما نتفق عليه بعد ظهور الكتابة المغمورة فوق المدخل الشمالي للجامع الكبير ، ولكن أصل هذا القسطل يرقى الى العهد الروماني ، وكما يبدو من القنوات الممتدة من الجبل ، وجدده بيبرس كما جدد الجامع الكبير • وهناك قسطل جميل من اجمل القساطل التي رأيتها في المحافظة تحت تقويسة زقاق غادري، يعود الى عام ١١٣٣ ه ، تحته نحت نافر

جميل وقوله تعالى (وسقهم ربهم شرابا طهورا) وفوقه لوحة نقر عليها ١ ـ قسطل بالماء هامي ـ لم يزل يروي الظامي ٢ ـ فعل من خار فخارا ـ وعلى الاقارن سامى ٣ ـ قلت لما تم التخ ـ خيرا سمعيل اناتامي • ويبدو ان ريحا كانت من البلـدان الغنيـة بقساطل المياه العذبة ، كما هي جميلة بقناطر أزقتها ، وأحيائها المبلطة ، ومتنزهاتها الغناء ، وهي تستحق أكثر من ذلك •



٧٥ ـ من نقوش

مدخل الكنيسة :



٧٦ ـ ريحا ـ مدخل الكنيسة القرن الرابع ـ الخامس الميلادي

TABLE CHRONOLOGIQUE

جدول الاحداث الهامة

١٤٦٠ ق٠م ـ	الملك الفرعوني تحتمس الثالث يقود حملته الى سورية الشمالية ، ويفتتح معظم مدن المحافظة وقراها منها : أورم الجوز ـ تنارية ـ بشمارون ٠
٣٣٠ ق٠م ـ ٦٣ ق٠م ـ	العهد اليوناني ـ السلوقي ٠
٦٤ ق٠م ـ ٣٢٩ م ـ	العهد الروماني ٠
٣٣٠ ـ ٦٣٧ م	ـ العهد البيزنطي ٠
٢٨٤ ـ ٣٠٥ م	ـ عهد الامبراطور ديوقليسيان ـ احداث مدرسة عسكرية بطورين في جبل الوسطاني ، لتدريب الحرس الامبراطوري الخاص بروما ٠
٣٣١ م ٣٦١ م	ـ يتولى العرش الامبراطور البيزنطي يوليان الجاحد ، ويرتد عن النصرانية ، ويسعى لعودة الوثنية الى المنطقة٠
٦١٤ م	ـ غزو الفرس شمال سورية واحتلالهم البارا ٠ واندحارهم عنها سنة ٦٢٨ م ٠
١٧ هـ/٦٣٧ م	ـ العرب المسلمون يفتحون أراضي المحافظة : ريحا ـ البارا ـ أورم الجوز ـ دركوش ـ سلقين٠
١٠٩٨ م	ـ الافرنج يغزون المحافظة ، ويحتلون البارا ، ويجعلون منها مركز أسقفية المنطقة ٠
٥٤٤ هـ/١١٤٩ م	ـ نور الدين زنكي يسترد حصن سلقين من الفرنجة ، بعد أن استرد حصن كشفهان من أمير أنطاكية ٠
٥٤٦ هـ/١١٥١ م	ـ نور الدين زنكي يسترد من الفرنجة كفر لاثا وغيرها في جبل الزاوية (جبل بني عليم) ٠
١١٥٧ م	ـ زلزال يدمر مدينة البارا الاثرية ٠

٥٨٤ هـ/١١٨٨ م — السلطان صلاح الدين الايوبي يحرر حصون كشفهان — شغر — بكاس — كفر دبين — كفر بلميس ·· وغيرها من احتلال الفرنجة ·

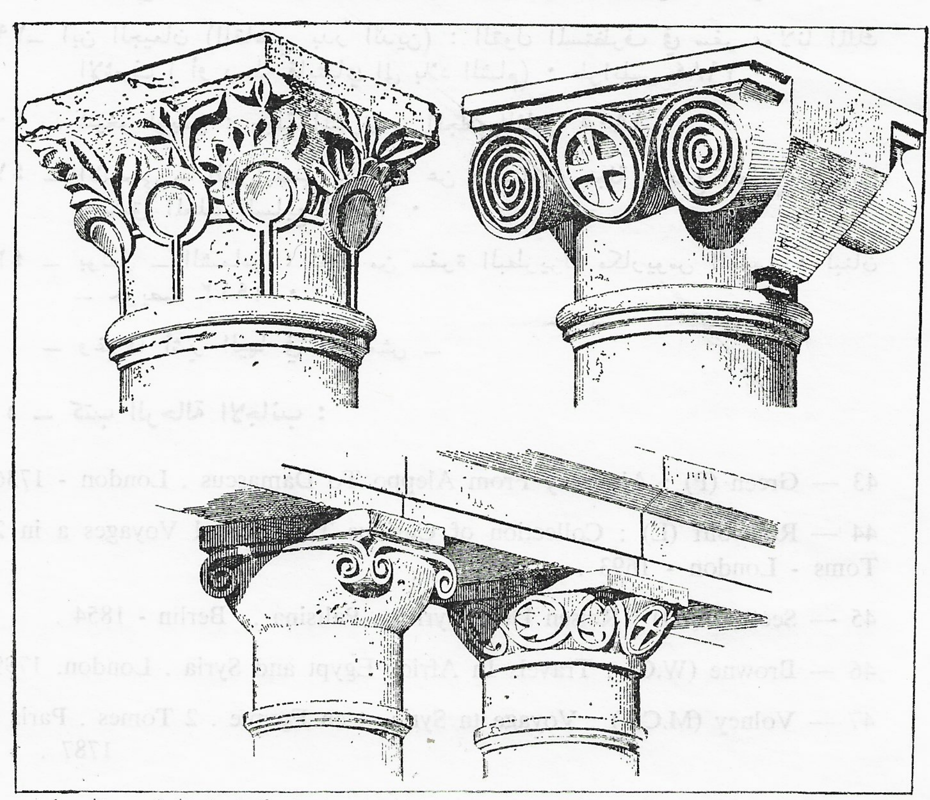
٦٦٦ هـ/١٢٦٧ م — الملك الظاهر بيبرس يفتح حصون دركوش — بلميس — كفر دبين ، بعد ان كانت بيد الفرنجة ·

٨١١ هـ/١٤٠٨ م — زلزال يدمر حصني شغر — بكاس والمواقع الاخرى المجاورة ·

١٥١٦ م — السلطان العثماني سليم الاول يتسلم مفاتيح ريحا ، ويجعل من سرمين المركز الاداري الرئيسي في المنطقة ·

١٠٦٩ هـ /١٦٥٨ م — السلطان محمد خان الرابع يوعز للصدر الاعظم (رئيس الوزراء) محمد باشا الكوبرلي الاهتمام بالمنطقة ، وبناء أكبر خان من اسطنبول الى مصر ، وهو خان جسر الشغر·

١٨٢٢ م — زلزال يصيب المنطقة : ريحا — مرعيان — معرة النعمان· جسر الشغر — دركوش — ادلب — سلقين ·



من التيجان المزخرفة في جبل الزاوية — سترد التفاصيل في كتابنا القادم «الحضارة في جبل الزاوية »

المصادر والمراجـع

جـ ـ كتب الرحالة باللغة العربية :

٣١ ـ خسرو (ناصر) : سفر نامة ـ القاهرة ١٩٤٥ ٠

٣٢ ـ شيخ الربوة (شمس الدين الانصاري) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ـ ليبزيج المانيا ـ ١٩٢٣ ٠

٣٣ ـ ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة بيروت ١٩٦٤ ٠

٣٤ ـ ابن جبير : رحلة ابن جبير القاهرة ١٩٥٥ ٠

٣٥ ـ كبريت (محمد بن عبدالله الحسيني الموسوي) ، رحلة الشتاء والصيف بيروت ١٣٨٥ هـ٠

٣٦ ـ محمد علي باشا : الرحلة الشامية ـ القاهرة ١٩١١ ٠

٣٧ ـ الهروي : الاشارات الى معرفة الزيارات ـ دمشق ١٩٥٣ ٠

٣٨ ـ الكيالي محمد : الحلة السنية للرحلة الشامية ـ مخطوط خاص ٠

٣٩ـ ابن الجيعان (القاضي بدر الدين) : القول المستظرف في سفر مولانا الملك الاشرف (أو رحلة قايتباي الى بلاد الشام) ٠ طرابلس ١٩٨٤ ٠

٤٠ ـ شيخو لويس : مجلة المشرق ـ المجلد الثامن ١٩٠٥ ٠

٤١ ـ الادهمي ـ الطرابلسي : مقال عن رحلته في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد السابع ١٩٢٧ ٠

٤٢ ـ بولس ـ الشماس : نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي ٠ لبنان ـ حريصا ١٩١٢ ٠

ـ وغيرها أشير اليها في الهوامش ـ

د ـ كتب الرحالة الاجانب :

43 — Green (P) : Ajourney From Aleppo To Damascus . London - 1736

44 — Rauwolff (L) : Collection of Curious Travels and Voyages a in 2 Toms - London - 1693 .

45 — Seetzen (UJ) : Reisen Duch Syrien , Paltsina ... Berlin - 1854 .

46 — Browne (W.G) : Travels In Africa Egypt and Syria . London. 1799

47 — Volney (M.C,F) : Voyage tn Syrie et en Egypte . 2 Tomes . Paris - 1787 .

48 — Loarty Hadji : La Syrie , Palestine et La Judee . Paris . 1854.

49 — Morone : La Terra Santa . Italia 1696 .

50 — The venot : Into the Levant London 1971

هـ ـ مصادر ومراجع أخرى :

٥١ ـ ابن العديم : زبدة الحلب تحقيق سامي الدهان ٣ جزء دمشق

٥٢ ـ ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٠ أنقرة ١٩٧٦ ٠

٥٣ ـ ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٠ القاهرة ٥ جزء ١٩٥٣ ـ ١٩٧٧ ٠

٥٤ ـ ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ط ١ الرياض ١٣٩٦ هـ

٥٥ ـ ابن شامة المقدسي (شهاب الدين) الروضتين في أخبار الدولتين مجلدان في أربعة أجزاء القاهرة ١٩٥٩ ٠

٥٦ ـ ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ـ القاهرة ١٩٠٩ ٠

٥٧ ـ الحموي ـ ياقوت : معجم البلدان دمشق ١٩٨٣ ٠

٥٨ ـ البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ـ القاهرة ٣ أجزاء ـ القاهرة ١٩٥٤ ٠

٥٩ ـ القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ١٢ جزء القاهرة ؟

٦٠ ـ كرد علي (محمد) : خطط الشام ٦ أجزاء في ٣ مجلدات دمشق الطبعة الثالثة ١٩٨٣ ٠

٦١ ـ أبو الفداء : تقويم البلدان باريس ١٨٤٠ ٠

٦٢ ـ زيادة (نقولا) : الرحالة العرب ـ القاهرة ١٩٥٦ ٠

٦٣ ـ الدبس (يوسف) : تاريخ سوريا ٨ أجزاء بيروت ١٨٩٣ ـ ١٩٠٥ ٠

٦٤ ـ الظاهري (غرس الدين) : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك باريس ١٩٨٤ ٠

٦٥ ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ليدن ١٩٠٩ ٠

٦٦ ـ الاصطخري : مسالك الممالك ـ ليدن ١٩٢٧ ٠

٦٧ ـ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ـ ليدن ١٣٠٢ هـ ٠

٦٨ ـ ابن خرداذبة : المسالك والممالك ٠ ليدن ١٨٨٩ ٠

٦٩ ـ الحميري (محمد بن عبد المنعم) : كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ـ بيروت ١٩٧٥ ٠

٧٠ ـ البكري الاندلسي : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٤ جزء القاهرة ١٩٤٥ ٠

٧١ ـ بكري (حسين بن محمد) :تاريخ الخميس ـ ٢ جزء القاهرة ١٢٨٣ ٠

٧٢ ـ العمري (ابن فضل الله) : مسالك الابصار في ممالك الامصار ـ القاهرة ١٩٢٤ ٠

٧٣ ـ عاشور (سعيد عبد الفتاح) : الحركة الصليبية ط ١ ٢ جزء القاهرة ١٩٦٣ ٠

٧٤ ـ ابن الوردي (عمر) : تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) ٢ جزء بيروت ط ١ ١٩٧٠ ٠

٧٥ ـ الدويهي (اسطفان) : تاريخ الازمنة (١٠٩٥ ـ ١٦٩٩) مجلة المشرق مجلد ٤٤ ـ ١٩٥٠ ٠

٧٦ ـ حتي ـ فيليب : تاريخ سورية ٢ جزء بيروت ١٩٨٣ ٠

٧٧ ـ الحزيري ـ علي بن أحمد : الاعلام والتبيين في خروج الفرنج تحقيق سهيل زكار ٠ دمشق ١٩٨١ ٠

٧٨ ـ الغزي ـ نجم الدين : لطف وقطف الثمر ٢ جزء دمشق ١٩٨٢ ٠

٧٩ ـ رافق ـ د٠ عبد الكريم : بلاد الشام ومصر ط ٢ دمشق ١٩٦٨ ٠

٨٠ ـ رافق ـ د٠ عبد الكريم : المشرق العربي في العهد العثماني دمشق ١٩٨٢٠

٨١ ـ الجندي سليم : تاريخ معرة النعمان ٣ جزء دمشق ٦٥ ـ ١٩٦٧ ٠

٨٢ ـ باشى : قاموس الاعلام استانبول ١٣٠٦ هـ ٠

٨٣ ـ التقويم الياباني في معرفة السنين الهجرية والميلادية ٠

٨٤ ـ المعاجم والقواميس والموسوعات العربية والاجنبية ٠

٨٥ ـ الكتاب المقدس ٠

٨٦ ـ عدد السكان والمساكن حسب التقسيمات الادارية ١٩٨١ ـ محافظة ادلب ـ الصادر عن المكتب المركزي للاحصاء ٠

٨٧ ـ الزركلي ـ خير الدين : الاعلام ١١ مجلد بيروت ١٩٦٩ م ٠

٨٨ ـ الواقدي ـ محمد بن عمر : كتاب المغازي ٣ جزء بيروت ١٩٦٤ ٠

٨٩ ـ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي مجلدان بيروت ١٩٧٠ م

٩٠ ـ البلاذري : فتوح البلدان ـ بيروت ١٩٧٨ ٠
ـوغيرها من المراجع والمصادر الواردة في الهوامش ـ

فهرس الاماكن الواقعة في المحافظة

ح

ز

س

ش

جدول الخطأ والصواب

ص	سطر	خطأ	صواب
الجزء الاول			
٣٣	١٠	٧٠ كم	٧ كم
٣٥	٩	٥١٦٨٢	١١٨٠
٤٧	١٠	١٥٦٨٢	٥١٦٨٢
٤٧	١١	٤١٦	١٥٣
٥٩ و ٦٧ و ٧١		سيد	سعيد
١٨٤	٦	الحلبي	الجلبي
الجزء الثاني			
٢٩	٩	١٣٣٧	١٢٣٧
٧٥	١١	كفر دبرتا	كفرا دبرتا
٨٠	٩	أكواخ مآو	أكواخ ومآو
٩٦	٢١	Apamerae	Apamenae
٩٦	٢٥	إـه	إله
٨٤	٢٩	والسريانية واحدة حذفها	
١٧٨	١٥ و ١٦	سطران زائدان حذفهما	

﴿ فهرس الاعلام ﴾

ستر الاعلام الخاصة بالمواقع الاثرية في جداول ملحقة في الجزء الرابع ·
وأما أعلام الرحالة والمؤلفين فقد تجاوز ذكرهم ، لورودهم المكرر ·

ت

ج ـ ح

د ـ ر ـ ز

س ـ ش

ص ـ ط

ع ـ غ

••*•*•*•*•*•*•*•*•*•*•*•*•*

ـ زوروا سورية مهد الحضـارات ...

ـ أرض الثلاثة آلاف موقع ...

ـ ولاتنسـوا محافظـة ادلب ...

ـ ذات الالف مـو قـع ...

••*•*•*•*•*•*•*•*•*•*•*•*•*

« محافظة ادلب بوابة الحضارة السورية »

ـ أول موسوعة تؤرخ وتوثق أثريا هذه المنطقة في القطر العربي السوري ... صدر منهـا :

١ ـ الرحالة في محافظة ادلب ـ الجزء الاول .

٢ ـ الرحالة في محافظة ادلب ـ الجزء الثاني .

٣ ـ حصن شغر ـ بكاس (حطين الثانية) وسيصدر منها :

٤ ـ حارم ... دمشق الصغرى (قيد الطبع) .

٥ ـ ادلب ... البلدة المنسية ! قيد الانجاز .

٦ ـ الحضارة في جبل الزاوية ـ قيد الاعداد .

٧ ـ معجم أسماء بلدان محافظة ادلب وقراها ـ قيد الاعداد .

٨ ـ الرحالة في محافظة ادلب ـ الجزء الثالث (قيد الاعداد) .

٩ ـ الرحالة في محافظة ادلب ـ الجزء الرابع .

١٠ـ محافظة ادلب في العهد العثماني . وغيرها مما هو قيد النظر النظر والدراسة ...

DÉPARTEMENT D'IDLEB

PORTAIL DE LA CIVILISATION SYRIENNE

2

FAYEZ KOSARA

Les voyageurs à travers le département d'Idleb

PANORAMA HISTORIQUE

VOLUME 2